الفيصل

- العالم السياسي الأمريكي جريجوري جوز: الديمقراطية ليست الحل!
- الساموراي الأخير: صايغو تاكاموري
- حمام أبو لوزة: إلى متى الصمود؟
- الطفولة.. نظرة جديدة

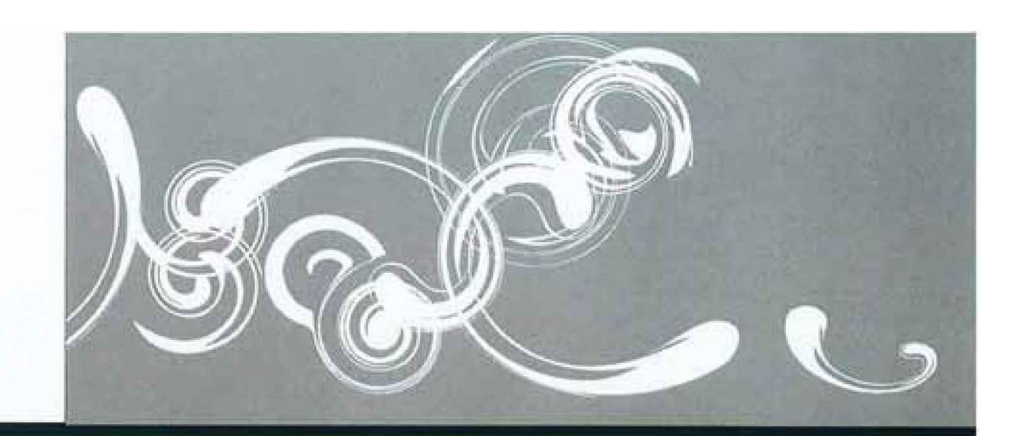
مجلة ثقافية شهرية - الربيعان ١٤٣٢هـ/ فبراير - مارس ٢٠١١م

٤١
٤١



مرتزقة في خدمة الحكومات


www.alfaisal-mag.com



المحتويات

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

حوى النبي علي صالح

سيد علي الجعفري

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥، ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية

٤١/٢٤٥٠

ردمد ٨٥٢٠-٠٤١١

الناشر

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com

contact@alfaisal-mag.com

alfaisalmagazine@yahoo.com



الشركات العسكرية الأمنية الخاصة هي تطور حديث لمؤسسات المرتزقة التي ظهرت عبر مراحل التاريخ، كما يُطلق على هذه الشركات أسماء: شركات عسكرية أمنية خاصة، أو شركات الحماية الأمنية، أو المتعاقدون، أو المقاولون الأمنيون، وغيرها. وهي تضم مرتزقة من جميع أنحاء العالم تمّ توظيفهم في تلك الشركات لتأدية مهام قتالية، أو حربية، أو تجسّسية، أو لوجستية، وغيرها من مهام.

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
  في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها. وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها. ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات ـ الكويت ٨٠٠ فلس ـ الإمارات ١٠ دراهم ـ قطر ١٠ ريالات ـ البحرين دينار واحد ـ عُمان ريال واحد ، الأردن ٧٥٠ فلساً ، اليمن ١٠٠ ريال ، مصر ٤ جنيهات ، السودان ١٫٥ جنيه ، المغرب ١٠ دراهم ، تونس ٢٥٠ ، ١دينار ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٨٠٠ فلس ـ سورية ٤٥ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنكاً ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع، هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١) ، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١) ، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢ ... سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٢٠١ هاتف ٨١٢٨٣١٢ ، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ، ١١ ، ٠٠٩٦٣ ، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ، ٣ نهج المغرب ـ ص.ب ٧١٩ ، فاكس ٣٢٣ ـ ٠٠٧١٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ، ٧١ ، ٠٠٢١٦ ـ قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ، ٠٠٩٧٤ ، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ، فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ، ٦ ، ٠٠٩٦٢ ، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ، فاكس ٥٣١٢٨١ ، ٠٠٩٧٣ ، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢ ، فاكس ٣٦٦٩٨٢٧ ، ٤ ، ٠٠٩٧١ ـ الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ، فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ، ٠٠٩٦٥ ، المغرب ـ الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٣٢/٢٤٠٠٤٠٣١ ، ٠٠٢١٢ ، ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ ، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢/٠١٩٩٠٣٠ ، ٣ ، ٠٠٩٦٧ ـ فاكس ٩/٧ـ ٠١٩٠٣٠



• عدد متميّز

لقد استمتعت بقراءة العدد المميّز من مجلة الفيصل (المحرم- صفر ١٤٣٢هـ)، الذي جاءت موضوعاته متنوعة ومملوءة بالمعلومات القيمة. وقد أعجبني استطلاع (فنلندا.. زيارة ذات خريف)، الذي أعدّ إعداداً جيداً من هيئة التحرير، وفيه كثير من المعلومات القيمة، وكذلك تحقيق ضبا مدينة السياحة المنسية، وتحقيق صنعاء مدينة القصور.

وإني إذ أشكر لكم اهتمامكم بتثقيف أبناء العالم العربي بتأصيل المعلومة بعمل التحقيقات والاستطلاعات الصحفية القيمة على المستويين المحلي والإقليمي، ونقل ثقافات الشعوب الأخرى إليه عبر مجلتكم الغراء على المستوى الدولي، لأتمنى لكم التوفيق والسداد.

د. محمود إبراهيم الدوعان

جامعة الملك عبدالعزيز - جدة

التحرير

نشكر لك هذا الرأي المشجّع، ونأمل أن تكون جميع مواد المجلة وفق ما يهوى القارئ الكريم، لكننا نتمنى من أمثالكم المساهمة بالكتابة لإغناء المجلة، وتحقيق التفاعل والتواصل الضروريين بين المجلة وقرائها.

• سحر خاص

سُررتُ كثيراً باهتمامكم الملحوظ بالاستطلاعات المصوّرة عن بعض الدول والمدن والأمكنة التاريخية؛ لأن المعلومات القيمة التي تتضمنها تمثّل زاداً مهماً للقارئ. ومع أن هذه المعلومات قد تكون متاحة عبر الإنترنت إلا أن المادة المطبوعة لا تزال تتمتع بسحر خاص، خصوصاً لجيل لم يعتد بعد على التعامل مع التقنيات الحديثة، أو لا يجد فيها تلك الحميمية.

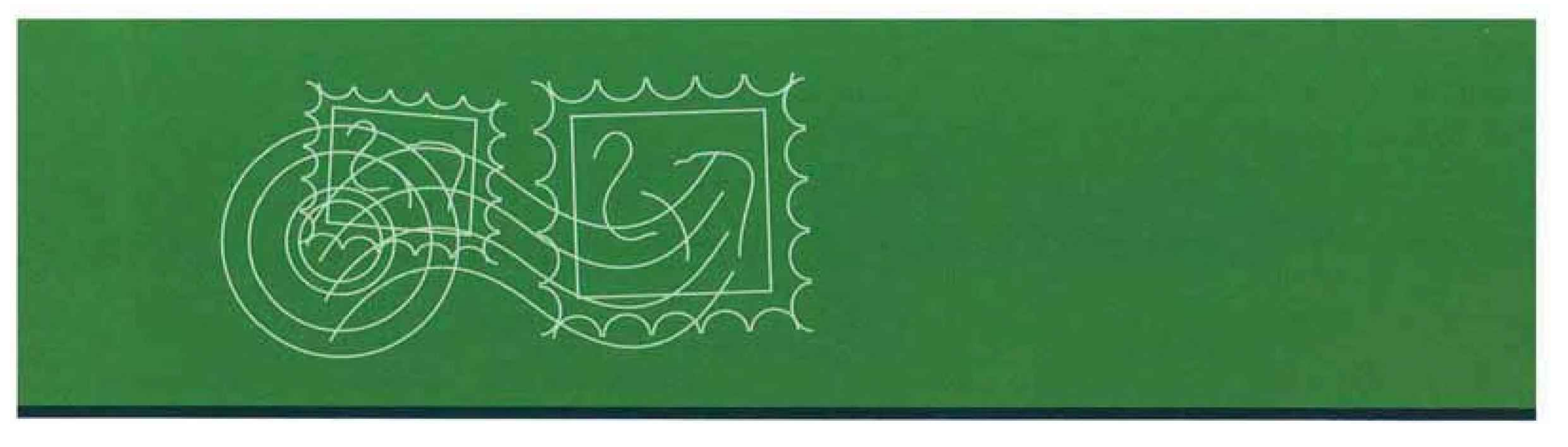
إنني أشكر لكم هذا الجهد، وآمل أن أعدّ لكم استطلاعاً عن محافظة أسوان التي أنتمي إليها؛ لأن فيها أمكنة تاريخية لم تتم الكتابة عنها بشكل تفصيلي.

وتقبلوا وافر تحياتي.

صبري قورتي

القاهرة - مصر





التحرير

نشكر لك إطراءك، ويبدو أن الاستطلاعات تستهوي قرّاء كثيرين، ولعل السرّ في ذلك مشاركة بعض الكتّاب بالكتابة عن الأمكنة التي يمتلكون معلومات عنها، وبعضها لا يُعرف عنه كثير. ونحن إذ نبدي ترحيباً بمشاركتك لنشير إلى أنه سبق الكتابة عن أسوان وغيرها من المحافظات المصرية، وقد أعدّت هيئة التحرير استطلاعاً عن المتحف النوبي في أسوان، لكن هذا لا يمنع المزيد من الكتابة ما دام فيه الجديد المفيد.

- سدود في المنطقة الشمالية

أنا مواطن سعودي محبّ من المنطقة الشمالية، متابع لمجلتكم الغراء، التي آمل أن تولي اهتماماً بهذه المنطقة بالكتابة عنها، وعن معالمها التاريخية، وواقعها الحياتي.

ولعلي عبر مجلتكم أشير إلى ما تجده المنطقة من قيادتنا الرشيدة من اهتمام كبير، ينعكس فيما تشهد من تطوّر. وفي هذا الإطار أودّ أن أقترح إنشاء سدود في بعض مدن المنطقة؛ مثل: رفحاء، وعرعر، وطريف؛ لتوفير المياه العذبة التي تحتاج إليها الزراعة والرعي، إلى جانب حماية الطيور وغيرها من مقوّمات الحياة البيئية والطبيعية من الانقراض.

وتقبلوا تحياتي، مقدّراً لكم ما تبذلونه من جهد.

فهد صالح الهزيمي

السعودية - الدمام

التحرير

نشكر لك ثقتك بالمجلة، وليتك تستطيع أن تعدّ استطلاعاً عن هذه المنطقة العزيزة من المملكة، ونأمل أن يصل مقترحك إلى السادة المسؤولين.



حمام أبو لوزة.. تحفة معمارية صامدة

● هيئة التحرير

تصوير: مسعر الششي

نزار العبدالجبار شاب سعودي مختصّ بالآثار، يحفظ عن ظهر قلب أهم الآثار الموجودة في المنطقة الشرقية بحكم التخصص في الآثار، ثم لشغفه بالتاريخ وما ترك الأقدمون من معالم وآثار تستحق الاهتمام لكونها ذاكرة الشعب التي يجب أن تحفظ بعيداً من أيدي العابثين.

استطاع نزار أن يحوّل تركيزنا من الموضوع الذي جئنا من أجله إلى منطقة القطيف، وهو إعداد استطلاع مصوّر عن موسم صيد الروبيان، وما يتصل به من تفاصيل حياتية، إلى موضوع الآثار، الذي وجدناه شائقاً بما فيه من جدة وعمق، إلى جانب

الهيئة العامة للسياحة والآثار أبدت اهتماما بهذه العين، وهناك مفاهمات تمت مع مؤسسات مختصة بالترميم

حسن العرض الذي يميّز نزار، وقدرته على نقل ما في داخله من عشق للآثار إلى من يتحدث معهم.

من بين الموضوعات الشائقة التي طرحها علينا كان حمام أبو لوز؛ مما شجّعنا على زيارته، فوجدناه كما وصف: تحفةً معماريةً جديرةً بالاعتناء على الرغم من عوادي الزمان والإنسان البادية عليه.

لماذا أبو لوز؟

في طريقنا إلى العين طلبتُ من الأستاذ نزار عبدالجبار إعطاءنا نبذةً من هذا الحمام الذي لا يزال صامداً، فقال: حمام أبو لوز من النماذج المعمارية التراثية التي تميّزت بها المنطقة الشرقية، ويقع في قرية البحاري بالقطيف، وهو يبرز روائع الإبداع المعماري الفني المحلي والبناء التقليدي في المنطقة.

سألته عن سرّ هذه التسمية، فأجاب: اسم حمام أبو لوزة شاع بين الأهالي نسبةً إلى ثمرة اللوزة، وهي من أنواع الفاكهة المحلية التي تكثر في المنطقة، خصوصاً أن القبة المشيّدة على بناء الحمام على شكل نصف لوزة.

البحاري حاضنة العين

عندما وصلنا إلى حيث العين، كان سؤالنا: أين نحن؟ فأجاب مرشدنا: نحن في بلدة البحاري، وهي تقع على الطريق العام الذي يؤدي إلى العوامية وصفوى، وهي كما ترون عند أطراف القطيف، وهي ذات نخيل، وتشتهر بوجود مزارع وبساتين وعدة عيون. وأخذت هذه القرية اسمها من مهنة أهلها، الذين ارتبطوا بالبحر، فكان جلّهم يعملون في بلدة في البحر، ويصطادون الأسماك. وعين أبو لوزة واحدة من عيون المنطقة، التي من أشهرها: عين البشري، وعين الرواسية، وعين القطبنية، وعين قصاري، وعين الخباقة. أما عين أبو لوزة فكانت مقصداً للباحثين عن العلاج من الأمراض الجلدية وآلام المفاصل وأمراض الظهر؛ لما تميّز به ماؤها من حرارة وغازات كانت تنبعث منه.

سعودي على طراز تركي

وعن نمط العمارة، وإلى أيّ عهد يعود، أوضح نزار أن تاريخ تشييد البناء يرجع إلى الدولة السعودية الثانية؛ إذ أمر ببناء

الباحث مع وفد «الفيصل» داخل الحمام

بحاري.. تعليلات وآراء

بحاري قرية تقع على الطريق العام المؤدي إلى العوامية وصفوى في محافظة القطيف بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وعلى بعد ميل ونصف الميل من مدينة القطيف (من الناحية الجنوبية لحاضرة القطيف القلعة)، وتقع مباشرةً في الجهة الجنوبية الشرقية من بلدة القديح، ويرجع تاريخها إلى عام ١١٠٠هـ. أما عن تسميتها بهذا الاسم، فلكبار السنّ من سكان القطيف آراء وتعليلات مختلفة؛ منها ما يأتي:

- سبب هذه التسمية هو قربها من البحر.
- نسبةً إلى أن معظم أهلها يعملون في البحر وصيد الأسماك.
- نسبةً إلى الحاج الفقيه عبدالله الشيخ علي البحاري القطيفي.

والأقرب إلى الصحة هو أنها سُمّيت بالبحاري بسبب قربها من البحر، واشتغال سكانها بالعمل فيه.

المصدر: موسوعة الساحل

الحمام مهدي بن نصر الله - القائم على أحوال القطيف - المتوفّى سنة ١٢٨١هـ في عهد المغفور له الأمير فيصل بن تركي بن عبدالله، الذي حكم خلال مدتين: ١٢٥٠-١٢٥٤هـ، و١٢٥٩-١٢٨٢هـ.

أما تصميم بناء الحمام، فقد جاء على نمط الحمامات التركية التي كانت منتشرةً في ذلك الوقت في مدن كثيرة كانت خاضعة للحكم العثماني، خصوصاً في بلاد الشام والعراق. ويبيّن نزار أن بناء الحمامات قد شاع في عهود إسلامية سابقة للخلافة العثمانية، وقد استمدت أصولها من حقبة قبل الإسلام.

أما الملامح المعمارية لبناء الحمام، فهي محلية: إذ قام بإنشائه بنّاؤون محليون، واستخدموا المواد التقليدية المستعملة في المباني؛ مثل: الحجر البحري، والجص، وجذوع النخيل. وكان الهدف من تشييد البناء فوق النبع المحافظة على بقاء الماء حاراً أطول مدة ممكنة، إلى جانب ضمان نظافته، وحمايته من التلوث. ويرى باحثون أن سبب بناء الحمام هو حماية مرتاديه من البرد شتاءً، ومن حرارة الجو صيفاً، والاحتفاظ ببخار الماء المتصاعد من العين ليشكّل ما يشبه حمامات السونا في وقتنا الحالي. كما أنه يمنحهم خصوصية، ويشكّل ساتراً لهم من عيون المارة.

التصميم والتقسيم

يشتمل الحمام على قسمين: الرئيس منه خاصّ بالرجال، والقسم الثاني مخصّص للنساء، وهو يقع في الناحية الخلفية، وتغذّيه قناة متجهة من النبع الرئيس الخاص بالرجال.

أما التقسيم الداخلي للحمام، فيتكون من مرفق بسيط له مدخل صغير على شكل نصف قوس يؤدي إلى غرفة مستطيلة مخصّصة لخلع الملابس، وتحيط بجدرانها (روازن)، وهي كوّات لوضع الأمتعة الخاصة بكل شخص، كما تحيط بها (الدكات) أو المصاطب المخصّصة للجلوس وأخذ الراحة، خصوصاً للشخص

> تصميم بناء الحمام جاء على نمط الحمامات التركية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت في مدن كثيرة كانت خاضعة للحكم العثماني

أهم العيون في بحاري

- حمام أبو لوزة: مياهه معدنية، وهو الحمام الأثري الوحيد، ويرجع إلى العهد العثماني، ويتكون مبناه من قبة كبيرة تغطّي النبع الخاصّ باستحمام الرجال، ولها مدخل لغرفة مستطيلة بنّية في جوانبها مصاطب لنزع الملابس، وفي الجانب الشمالي مباشرةً يقع حمام للنساء، وهو بركة مستطيلة بالنبع، ويتألف من غرفتين، وبجانبه من الشرق إصطبل للخيل والحمير التي كانت وسائل النقل في ذلك العهد، وإلى جوار القبة من الغرب مسجد لأداء الصلاة.

- الخباكة: هي على بعد عشرين متراً تقريباً إلى الشرق من حمام أبو لوزة، وهي مخصّصة للرجال، وإلى جوارها من الشرق حيّ صغير مؤلّف من الأكواخ يسمى فريق الخباكة.

- القصاري: مخصّصة للنساء فقط، وتقع إلى الغرب من حمام أبو لوزة على بعد مئة متر.

- الرواسية: مخصّصة للرجال، وتقع على بعد خمسمئة متر من المقبرة غرباً على الطريق المؤدي إلى قرية الأوجام.

المصدر: موسوعة الساحل



الباحث يوضح ما أصاب الحمام من شقوق تهدد بقاءه

الذي لا يتحمل حرارة الماء وشدة البخار.

ويضيف نزار: سقف هذه الغرفة منحنٍ على هيئة نصف أسطوانة، وهذا الأسلوب من مميّزات العمارة المحلية. أما غرفة النبع، التي تقع خلف غرفة خلع الملابس، فتتصل بغرفة خلع الملابس عن طريق مدخل صغير على شكل نصف قوس، وعند الدخول يوجد في المقابل دكّات للنزول إلى جوف النبع، وهو ذو شكل دائري. وهناك مصطبة علوية على طول محيط النبع للجلوس عليها، خصوصاً للأشخاص الذين لا يجيدون السباحة، والمصطبة الأخرى في الأسفل.

قبة نصف دائرية

شيّدت فوق غرفة النبع قبة على شكل نصف دائرة مدبّبة في الأعلى على نمط قباب المساجد التركية، واتُّخذ في بنائها نظام المقرنصات المعروف في بناء القباب خلال الحقب الإسلامية، الذي يعتمد على التدرّج من السطح المربع إلى السطح الدائري الذي تقوم عليه القباب. وأوضح العبدالجبار أن الهدف من ذلك فنيّ؛ حتى يتم توزيع الجهد والثقل على كل ركن من أركان الحجرة المربعة عند بناء قبة فوقها مستديرة الشكل. ويوجد في أعلى القبة فتحات دائرية كي ينفذ منها الهواء والضوء، وتساعد على تخفيف البخار الذي يكون كثيفاً في فصل الشتاء. ويوجد في غرفة النبع قناة تغذّي القسم الخاصّ بحمام النساء، وقناة تصريف متّجهة إلى خارج البناء؛ كي تغذّي الحقول المجاورة التي تعتمد عليه.

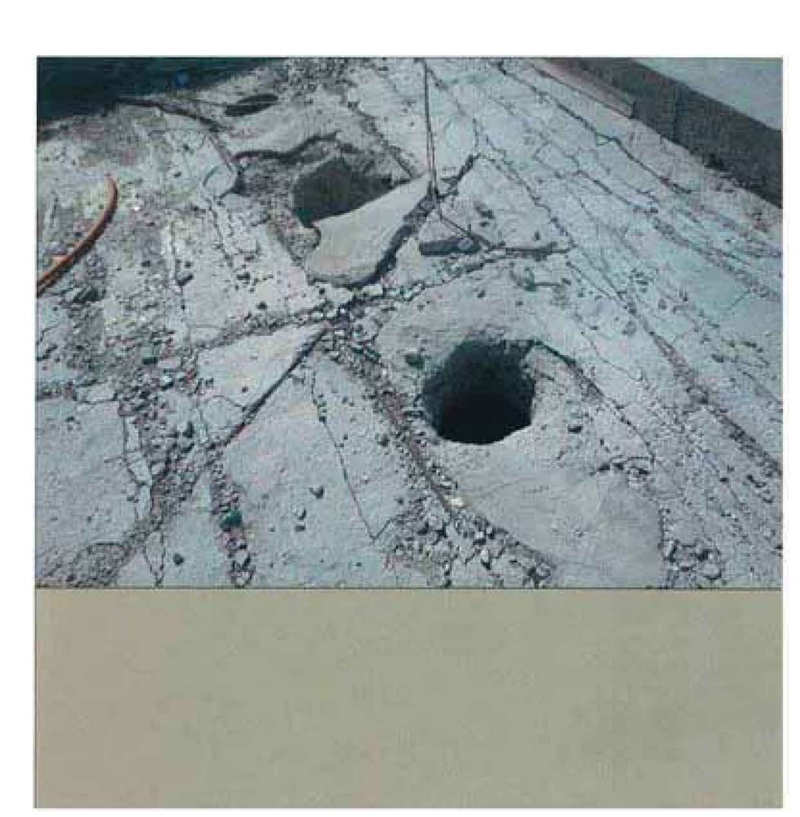
حمام النساء الواقع في الناحية الخلفية يأتي على شكل قاعة بها بركة تغذّيها القناة الممتدة من النبع الرئيس، وخلال هذه الأيام لم يبقَ من هذا الحمام إلا بناؤه.

حال الحمام

وعن حال الحمام في الوقت الحالي، قال نزار: الآن أصبحت الحركة في الحمام معدومة؛ نتيجة ضعف ماء النبع بسبب الإهمال وعدم العناية، وقد قامت بلدية القطيف بمحاولة لإعادة الحياة إليه وترميمه من التصدعات والشقوق، وأثمرت هذه الجهود صيانة الحمام ولياسته من الداخل والخارج. لكن لم تكن عملية الترميم التي أدخلت على بناء الحمام الأثري منذ نحو ٣٠ عاماً تتوافق مع طابعه القديم، بل تمّت إضافة عناصر جديدة عليه؛ مما أفسد شكله الذي كان عليه، وأوجد تنافراً بين القديم والجديد.

وما يُلاحظ في الحمام وجود شخبطات على جدرانه؛ إذ كتب بعض الزوّار أسماءهم، وتواريخ الزيارة، وغير ذلك مما اعتاده الشباب في كل مكان لا توجد فيه رقابة صارمة.

ويؤكد نزار أن الهيئة العامة للسياحة والآثار أبدت اهتماماً بهذه العين، وتفاءل بأن يتم رصد ميزانية خاصة لترميمه في القريب وفق تصوّر علمي يتجاوز ما كان من أخطاء في الترميم الذي تمّ من قبل، الذي غيّر المعالم المعمارية الأصلية وشوّهها، وأوضح أن هناك مفاهمات تمّت مع مؤسسات مختصة بالترميم، إلا أن وجود تجويفات في العين جعل الأرض متحركة؛ مما يتطلب معالجة التجويفات قبل البدء بالترميم.



اسم حمام أبو لوزة شاع بين الأهالي نسبة إلى ثمرة اللوزة، وهي من أنواع الفاكهة المحلية التي تكثر في المنطقة



الساموراي الأخير: صايغو تاكاموري

يحيى بولحية
وجدة - المغرب





اهتم المخرج الأمريكي إدوارد زويك Edward Zwick، من خلال فلمه الطويل (The Last Samurai) عام ٢٠٠٣م، الذي كتب قصّته جون لوغان، وقام ببطولته توم كروز، برصد بعض الأحداث الفاصلة في تاريخ اليابان الحديث. ويستند السيناريو إلى الوقائع السياسية التي أعقبت انهيار نظام التوكوجاوا وقيام عهد الميجي عام ١٨٦٨م، وما نتج من ذلك من صراعات بين تيار الانفتاح على الغرب ممثّلاً في شخصيات مهمة: مثل: إيتو هيروبومي، وأوكيبو طوشيميشي، وكيدو تاكايوشي من جهة، وتيار انحاز إلى التشبّث بخصال الساموراي وثقافة الانتماء المحلي، ومن أبرز ممثّليه سايغو تاكاموري - زعيم مقاطعة ساتسوما التي أعلنت عصيانها النظام الإمبراطوري عام ١٨٧٧م - الذي كانت تواليه فئات عريضة من طبقة الساموراي المنحلة، ومنهم إينوموتو تاكيكي الذي شارك في حرب البوشين مع النقيب الفرنسي جول بروني (توم كروز).

وبغضّ النظر عن سيناريو الفلم، ومدى دقته في تجسيد الوقائع التاريخية، فإنني أعدّ شخصية سايغو تاكاموري البطل الحقيقي الذي يصدق وصفه بالساموراي الأخير.

«لم تكن الانتفاضة السياسية عام ١٨٦٨م كأيّ حدث تاريخي آخر مفاجئة ومن دون سابق إنذار، بل كانت محصّلة للإنماء المستمر عدة عقود سابقة»[1]. ذاك ما يقوله كثير من اليابانيين عن أنفسهم بنوع من النرجسية والاعتزاز. كما يرفض كثير منهم الحديث عن مصطلح ثورة؛ ففوكوزاوا يوكيتشي[2] يستبدل بذلك مصطلح الإحياء، ملمحاً إلى أن جذور تحولات عهد الميجي ظلّت كامنةً في تاريخ اليابان الطويل، وأن العهد الجديد لم يقم سوى بإحيائها بعد أن أنضجتها الظروف الداخلية والخارجية.

عاش اليابانيون مدة عزلة طوعية دامت أكثر من ٢٠٠

عام، مكتفين خلالها بقيمهم الشرقية، ونظامهم الفيودالي الذي فرض عليهم الانضباط تحت إدارة نظام التوكوجاوا الذي اغتصب السلطة السياسية من الإمبراطور.

أحدثت حملة بيري الأمريكية زلزلةً شعوريةً ونفسيةً عميقةً حتّمت على اليابانيين إثارة الأسئلة، وترتيب الأجوبة بشكل يدلّ على الفهم: استعداداً لموقع جديد يمكّنهم من فهم ما حدث في أفق الاستجابة له بالتحدي والمنافسة.

نهاية نظام الفيودالي

كان اليابانيون يبحثون عن طريق جديدة تسير عليها الخطى التنموية الحديثة، وكان إلغاء النظام الفيودالي بداية السبيل للتخلّي عن أنماط العلاقات المجتمعية السالفة، والتحلّي بمظاهر التحديث الغربي الوافدة. وقد أدركت الأوليغارشيا الحاكمة ضرورة توقّف عجلة نظام التوكوجاوا[٣] الفيودالي بعد أن استنفدت أغراضها وأدوارها التاريخية، وقرّرت الانتقال بالمجتمع



نحو عجلة جديدة مختلفة في جوهرها وأشكال دورانها. ولا شك أن سرعة التحولات والتغييرات التي عرفها عهد الميجي تفصح عن حجم الجرأة التي امتلكها القادة اليابانيون الجدد في صياغة المجتمع بمقاسات جديدة وجريئة، وفي مقدمتها إلغاء الامتيازات التي كانت تتمتع بها فئات الحظوة الاجتماعية: «فقد زالت التفرقة القانونية التي كانت تميّز طبقة الساموراي من غيرها من الطبقات الأخرى خلال سنوات قليلة، إلى أن أصبحت مجرد مجموعة لها دلالاتها التاريخية فقط في السجلات الرسمية»[٤].

وإذا كان عهد التوكوجاوا قد حاول التوفيق بين اعتبارات الوراثة والكفاءة في إسناد المناصب الحكومية: ففي عهد الميجي «تم إلغاء الامتيازات التي كانت تمنح للأفراد على أساس المركز والتوارث، كما تمّ التخلّي تدريجياً عن معايير القرابة والمصاهرة والمحاباة لمصلحة معايير الإنجاز والكفاءة»[٤].

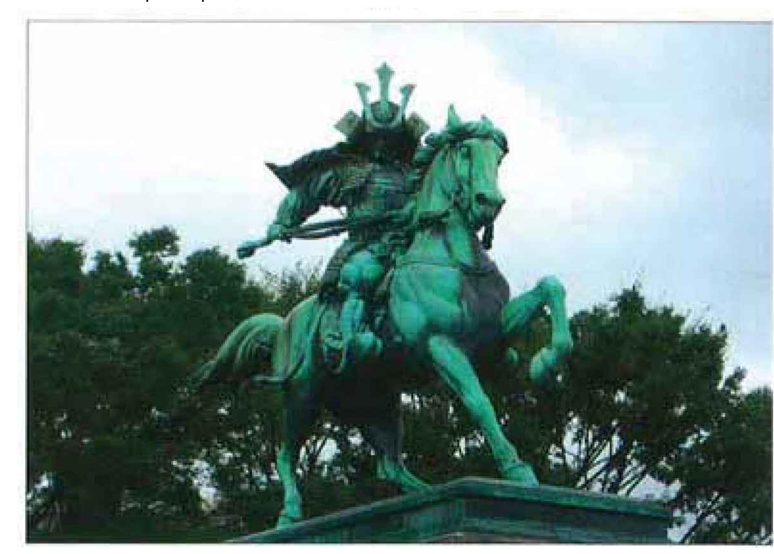
ولم تمرّ هذه المقدمات من دون نقد: فقد خرج من صفوف

كان بإمكان صايغو أن يبقى في الحكومة، متلقيا الدعم من رجال الزايباتسو الداعين إلى مزيد من الانفتاح على الغرب، وكان يمتلك من الإمكانات البشرية والعسكرية ما يفايض بها

النخبة اليابانية مَن حمل بشدة على التوجّهات الجديدة، وفي مقدمتهم صايغو تاكاموري Saigo Takamori (١٨٢٧-١٨٧٧م)، الذي عدّه فوكوزاوا يوكيتشي «البطل الكبير في عهد الميجي، وأنه لا يمثّل حالةً خاصةً بقدر ما عبّر عن صورة المجتمع الياباني برمّته»[٦].

ينتمي الرجل إلى مقاطعة ساتسوما Satsuma، وأفرد له إفان موريس Ivan Morris في كتابه (La noblesse de Lechec) أوصافاً رفعته في نظر اليابانيين إلى مقامات القديسين. وتمكّن موريس - بدرجة متميزة - من اختراق نفسيته القلقة والشجاعة من خلال ما قاله عنه مفكّرون ومبدعون يابانيون، أو من خلال تأملاته الفلسفية، وأشعاره

تمثال تكريمي لصايغو تاكاموري في أحد المتنزهات بطوكيو Ueno Park أقيم عام ١٨٧٩م



المبّرة، وقراراته الفولاذية، وانحيازه المطلق إلى تطلّعات الفئات المعوزة داخل مجتمع التحديث الياباني الذي بدأ في إنتاج الفوارق والامتيازات والاحتكارات.

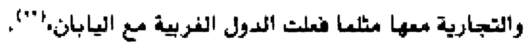
«اكتسب صايغو شعبية واسعة، وتم عدّه نموذج الساموراي الأصيل من خلال تمتّعه بقيم الولاء والشجاعة والصلابة في مواجهة الموت، وعدم الارتشاء، وصفات الرحمة والعدل»[٧].

اختلف صايغو مع رفاق الأمس حول تحديث اليابان، ودرجة الانفتاح على الغرب، وظلّ يؤكد مبدأ تخصيص الإمكانات المالية المتوافرة للمسألة العسكرية[٨] بدلاً من الاستغراق في التحديث المدني ومتطلباته المالية المرتفعة. ومن هنا تحمّس بشدة لغزو كوريا، مستغلاً الغياب الحكومي في بعثة إيواكارا المشهورة عام ١٨٧١م.

رفع قادة الميجي شعار (بلد غنيّ، وجيش قويّ). وفي أثناء عملية التنزيل الواقعي لهذا الشعار، وادراكهم حجم الصراعات السياسية والعسكرية في أوربا وآسيا، تحوّل إلى مقولة (جيش قويّ، ويابان غنية). ولا شك أن إعادة ترتيب الكلمات أسهمت بشكل كبير في تغيير هندسة المجال الجغرافي الحيوي لمجتمع الميكادو[٩]. والدفع به نحو خيار العسكريتاريا. وهو الاختيار الذي استمات صايغو تاكاموري في الدفاع عنه حتى الموت، مختلفاً في ذلك عن باقي أقطاب الأوليغارشية الحاكمة: بحجة عدم نضج المناخ الدولي في الشرق الأقصى آنئذ لتقبّل المغامرة اليابانية في كوريا. كانت «الأوليغارشية المحيطة بالميجي مقتنعة بوجاهة موقف تاكاموري، لكنها رفضت تنفيذ الفكرة: بسبب تكلفتها، ونتيجة الانشغال بتركيز الاستثمارات في مسيرة التحديث الاقتصادي»[١٠].

غزو كوريا

حاول صايغو تاكاموري، ومَن بقي معه من أنصار النظام الإمبراطوري، غزو كوريا، وكانت حجتهم في ذلك «رفضها (كوريا) إقامة علاقات دبلوماسية، وفتح قنوات التبادل التجاري مع اليابان»[١١]. وتلقّى صايغو دعم كلّ من «إيتاكاكي تايسوك Itagaki Taisuk وكوتو شوجيرو Goto Shojiro من مقاطعة توزا، وإيتو شيمبي Eto Shimpei وسوجيما تانيومي Soejima Taneomi من هيزن، الذين اتفقوا على ضرورة القيام بغزو كوريا، وفرض العلاقات الدبلوماسية



والتجارية معها مثلما فعلت الدول الغربية مع اليابان»[٢٢].

ولا شك أن الخطوة/ المغامرة كانت محفوفةً بالمخاطر في وقت كانت الدبلوماسية اليابانية تبحث فيه عن مصداقيتها داخل الدول التي زارتها، كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وهولندا، وهي دول كانت لها مصالحها الاقتصادية والسياسية في منطقة الشرق الأقصى.

لم يستسغ الساموراي الأخير إقدام الحكم الجديد على حلّ طبقة الساموراي، وإلغاء امتيازاتها القديمة المتوارثة؛ لذا عدّه بعضهم محافظاً، ونموذجاً حقيقياً للساموراي الأصيل، الذي يبحث عن المعنى، ويعيش لقيم الشهامة والبسالة. ولا غرابة أن يتخلف الرجل عن قادة بعثة إيواكارا عام ١٨٧١م إلى مجموعة من دول العالم المسيحي والإسلامي؛ فقد كانت له مواقفه الخاصة والصارمة من موجة التحديث الذي ازدادت وتيرته في اليابان بسرعة مفرطة. «ومن بين أفراد الأوليغارشية اليابانية الحاكمة، كان تاكاموري أحد اثنين لم يزورا قط إحدى الدول الغربية»[٢٣].

انتصر صايغو تاكاموري للفكرة الآسيوية، وانتقد ما نعته بتيار التغريب، الذي بدأ يهدّد ثقافة الساموراي، مختلفاً بذلك مع رفاق الإصلاح والتغيير، وعبّر عن ذلك من خلال النص الآتي: «بخصوص التحلّي بالأنماط الوافدة من الغرب بحجة تطوير نمط حياتنا أظنّ أنه من الأفضل والأساس وضع بلدنا على قواعد متينة، وتطوير الروح المعنوية الشعبية، وبعد ذلك فقط يمكننا دراسة الأنماط الوافدة ومساءلتها، وعلى العكس من ذلك، إذا قلّدنا الغرب بشكل أعمى تضيع سياستنا الوطنية، وتزول تقاليدنا بشكل نهائي»[٢٤].

لم يقدّر لأفكار تاكاموري أن تجد لها مكاناً مناسباً داخل المشهد التنموي السريع داخل يابان الميجي، وتطور الأمر إلى



لم يستسغ أعضاء بعثة إيواكارا فكرة غزو كوريا، وهم الذين شهدوا حقيقة القوة الغربية، وعقدوا مع دولها الاتفاقيات الملزمة

مواجهة عسكرية بين أنصاره والجيش الإمبراطوري.

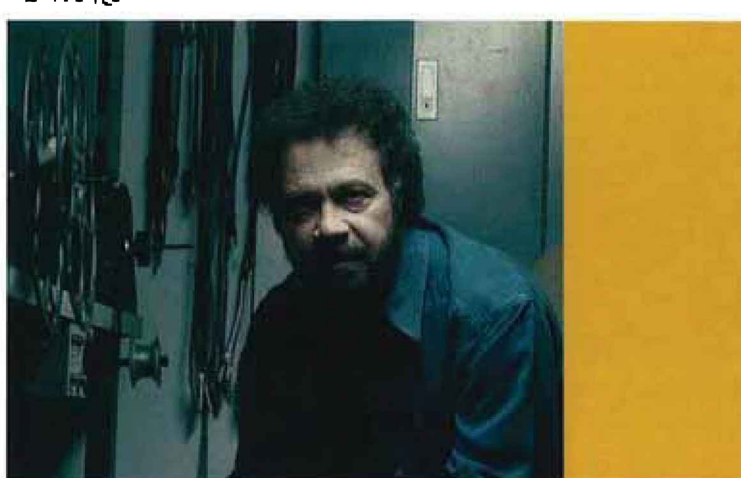
بُذلت محاولات كثيرة لإبقاء تاكاموري، وعودته إلى الطاقم الحكومي، واستفادته من امتيازات السلطة، لكن الرجل بقي ثابتاً في مواقفه، وانحاز إلى الفئات التي همّشها العهد الجديد. ويبدو أنه كان واعياً باستحالة العودة إلى الوراء؛ نتيجة حجم التغييرات التي حدثت في مجتمع النيبون، ودور الكارتيلات - الزايباتسو - المتنامية في الدفع بخيار التحديث نحو مزيد من الانفتاح على الغرب وأدواته المادية.

كان تاكاموري، المتشبّع بخصال الساموراي، يبحث عن مكان له في ذاكرة المجتمع الياباني؛ ليكون موضوعاً للتأمل والاستلهام: فبعد مواجهات عنيفة، وعندما بقي في قلة من أنصاره، قرّر ممارسة شعيرة السيبوكو[١٤]، واضعاً حداً لمساره الحافل بالأمجاد، ومنتصراً لقيم النبل والعيش للمبادئ والتصورات النابعة من خصوصيات أرض الميكادو.

لم يكن تاكاموري حالةً فرديةً منفصلةً عن سياقها المجتمعي، بل مثّل شريحةً واسعةً من أبناء الساموراي، وقدّر لأفكاره الداعية إلى الحفاظ على منظومة القيم الداخلية أن تعيش بعد زوال الانبهار بالنموذج الغربي. ألم يقل ياسوموزا كورودا: إن القيم تعود من جديد «عندما يبلغ المجتمع مرحلة النضج»؟[١٦].

تحوّل الشخص بعد انتحاره إلى رمز وذاكرة، ومنحه الإمبراطور العفو، ووضعت له النصب التذكارية؛ اعترافاً له بالجهد المتميز الذي بذله في الإطاحة بنظام التوكوجاوا، وإرجاع السلطة المغتصبة إلى الإمبراطور، والسماح لليابان بدخول نادي القوى الكبرى عند بداية القرن العشرين.

المخرج إدوار زد ويك



ثلاثة عظماء

من عظماء عهد الميجي ثلاثة شبّان أدوا أدواراً رئيسة في عملية البناء، هم: سايغو تاكاموري Saigo Takamori (٢٦ عاماً)، وأوكيبو توشيميتشي Okubo Toshimichi (٢٣ عاماً)، وكيدو تاكايشي Kido Takayochi (٢١ عاماً)[١٧].

ولا شك أن أوجه الاختلاف ظلّت عميقة بين الرجلين الأولين؛ فعلى الرغم من انتمائهما إلى المقاطعة نفسها (ساتسوما)، ودراستهما في الفصل الدراسي نفسه؛ فقد مثّل سايغو التيار المناصر لثقافة الساموراي الأصيلة، ودافع باستماتة من أجل إرجاع السلطة إلى الإمبراطور، لكنه اختلف مع رفاقه في درجة الانفتاح على الغرب، ويمكن عدّ غيابه عن لائحة أعضاء بعثة إيواكارا دليلاً على ذلك.

ويمكن تلخيص الصراعات السياسية والفكرية الأولى الناتجة من سياسة الانفتاح في تيارين أساسيين، مثّلهما كلّ من سايغو تاكاموري وأوكيبو توشيميتشي. فقد مثّل سايغو «الأسطورة، والحصانة الثقافية والمعنوية. إنه المثال، والفن، والهوية، والجمال. إنه اليابان الذي يرى الليل منفلتاً من كل الضغوط. أما أوكيبو، فإنه يمثّل الواقعية، والتطبيق، والفعالية، والاقتصاد، والإنتاج، والمقاولة. إنه اليابان الجديد التراتبي لأجل الإنتاج: يابان العمل»[١٨].

ما يمكننا استخلاصه من هذه الخلافات والصراعات وجود روح وطنية مشتركة، كان يتم على أرضها، ومن خلالها، تصريف عناصر الأزمة والتوتر. وقد أنتجت الهجمة الغربية اختلافاً في سبل مدافعتها، والرد على تحدياتها المادية والمعنوية، وكان من الطبيعي أن تختلف النخب الفكرية والسياسية في هذا المجال، وأن يتطور الأمر إلى حدّ المواجهة العسكرية.

لكن ما يلفت أنظارنا داخل هذه الثنائية، خصوصاً في الحركة الاحتجاجية للساموراي الأخير (سايغو) ورفاقه غياب فكر المفتم والمغرم، وحلول فكر المواطنة في تجلياته المثيرة والجذابة.

كان بإمكان سايغو أن يبقى في الحكومة، متلقياً الدعم من رجال الزايباتسو الداعين إلى مزيد من الانفتاح على الغرب، وكان يمتلك من الإمكانات البشرية والعسكرية ما يقايض بها لأجل دعم نفوذه الشخصي والحصول - كما حصل زملاؤه

شعيرة السيبوكو أو الهراكيري

تقام السيبوكو في مكان عمومي أمام عدد محدود من الأشخاص. ويلقي الساموراي في ميدان المعركة قبل الإقدام على العملية خطاباً أو أبياتاً من الشعر تحمل طابع الوداع. ويرتدي الساموراي في حالات السلم لباساً أبيض، ويكتب شعراً وهو جالس على ركبتيه، ويقوم مرتين بطعن بطنه. وبمجرد انتهاء الطعنة الثانية يقوم المساعد الواقف خلفه بتوجيه ضربة سيف سريعة، يقطع بها رأسه للقضاء على الألم.

ولم تقتصر ممارسة شعيرة السيبوكو على تجسيد قيم الشجاعة والنبل كما كان يراهما اليابانيون، بل ارتبطت بالمفاهيم الأسطورية، والعمق الاعتقادي بأسطورة الشمس وتجلياتها الاجتماعية والرمزية.



كان تاكاموري، المتشبع بخصال الساموراي، يبحث عن مكان له في ذاكرة المجتمع الياباني؛ ليكون موضوعاً للتأمل

الذين سمّاهم بالمرتشين - على الثروة والسلطة، لكن شيئاً من هذا الأمر لم يحدث، وكان الثبات على الموقف والدفاع عنه حتى الموت علامةً مضيئةً في تاريخ الرجل ورفاقه من الساموراي.

لكن ما حدود دائرة الإشعاع التي مارستها شخصية تاكاموري؟ وما القيمة المضافة التي حقّقتها جهوده وإنجازاته على المستويات الحضارية والإنسانية؟

الأكيد أن ذلك لم يتعدّ حدود الثقافة اليابانية المحلية، وبقي الرجل بقيمه الشهمة والنبيلة حبيس الانتماء القبلي والوطني الضيق، وفقد خاصية القيم ذات البعد الإنساني، خصوصاً بعد إلحاحه المستمر على غزو كوريا مع ما يعنيه ذلك من مآسٍ وآلام اكتوت بنارها شعوب لا تنتمي إلى أرض الميكادو.

ومن سياق الأحداث يبدو أن تاكاموري توسّل من وراء غزو كوريا بعثرة أوراق تيار الانفتاح، ووضعه أمام مأزق دبلوماسي، كما حاول إعادة تعبئة الداخل، وتوجيه طاقة الرفض المنبعثة من بقايا طبقة الساموراي المنحلة، نحو جبهة خارجية: لعلها تعيد بعض الوهج إلى ماضيها الوميض. لم يستسغ أعضاء بعثة إيواكارا فكرة غزو كوريا، وهم الذين شهدوا حقيقة القوة الغربية، وعقدوا مع دولها الاتفاقيات الملزمة، وأنجز أعضاؤها تقارير تدفع في اتجاه

تعديل المقدمات اليابانية لتتلاءم مع التحديات الخارجية المتزايدة.

وتفصح الوثائق اليابانية عن المسوّغات التي أجّلت الغزو، ومنها ما صرّح به أوكيبو توشيميتشي (بيسمارك اليابان) في رسالة مطوّلة، ورد فيها: «إن الأسباب التي تجعلني أقول: إنه من المبكّر إرسال حملة إلى كوريا هي:

- أن أسس حكومتنا لم يتم إرساؤها كاملاً بعدُ.
- أن النفقات العمومية اليوم ضخمة، والمداخيل قليلة، وبناءً عليه، إذا أعلنّا الحرب، وأرسلنا بضعة عشرة ألف جندي إلى الخارج، فإن ذلك يكلّفنا مادياً.
- لقد شرعت حكومتنا في تنشيط الصناعات، ونحتاج إلى عدة سنوات للحصول على النتائج المرجوة، وإذا قمنا اليوم بحرب غير ضرورية، وخصّصنا مبالغ مالية ضخمة لها.. فسنعرّض عمل الحكومة للخطر.
- بالنسبة إلى وضعية تجارتنا الخارجية، فإن العجز وصل إلى مليون ين سنوياً، كما بدأت تتراجع احتياطاتنا من الذهب، وستتأثر معها وضعية ديوننا الخارجية، وهو ما يؤدي إلى تفاقم التضخم، وإلى صعوبات معيشية لشعبنا، في وقت تعاني فيه صادراتنا مجموعةً من العراقيل.
- أنه إذا أعلنا الحرب من دون الأخذ في الحسبان وضعنا الاقتصادي والعسكري فإن جنودنا سيعيشون زمناً صعباً، كما سيتعرّض آباؤهم لعدد من المشكلات.
- بالنظر إلى وضعنا الدبلوماسي، فإن روسيا وبريطانيا دولتان مضادتان.. ويكتنف العلاقات معهما بعض الغموض، وأخشى أن تتدخل روسيا إذا لم نؤمّن استقلالنا.
- بالنظر إلى الوضعية في آسيا، فإن بريطانيا قوة أساسية تنظر إلى المنطقة بتنمّر، ولها ديون علينا، وإذا حدثت مشكلات بسببنا في المنطقة، وأصبحنا في وضعية الحاجة، فإنها بالتأكيد ستتدخل في شؤوننا الداخلية، مسوّغةً ذلك بغزونا كوريا.
- انظروا إلى الهند.. ولاحظوا جيداً المسار الذي حوّلها إلى مستعمرة إنجليزية، يجب علينا - إذاً - بناء صناعتنا، وتنمية صادراتنا.. ويجب عدّ ذلك من الأعمال الأكثر إلحاحاً.
- أن الاتفاقيات التي عقدتها الولايات المتحدة وأوربا مع اليابان غير متكافئة، وهي قضية تضرّ باستقلالنا.. ويتوجب علينا في البدء معالجة هذه الاتفاقيات، أما مسألة كوريا فتأتي لاحقاً»[١١].

دافع توشيميتشي عن موقفه بأدوات تروم الإقناع، وحجج تؤكّد الأخذ بمبدأ الواقعية السياسية، والنظر إلى الأمور ببراغماتية واضحة.

ونحن إذ أوردنا هذه الوثيقة نتوسّل بها الكشف عن تأثير الرحلة إلى الغرب في تبنّي وجهات نظر جديدة، وممارسة لون جديد من الفعل السياسي بمنطقة الشرق الأقصى؛ فنحن أمام نخبة يابانية تدرك قواعد العلاقات الدولية، وتعدّ امتلاك القوة شرطاً أساسياً للدخول في متاهاتها المتشابكة.

لم يُلغِ أوكيبو، ومن ورائه تكتّلات الزايباتسو الناشئة، مسألة غزو كوريا، لكنه أجّلها إلى حين تتمكّن اليابان من تحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي والمالي.

يعود تاريخ النصّ إلى أكتوبر عام ١٨٧٣م، وقد دخل اليابان من خلال عهداً جديداً لم يكن من السهل الرجوع عنه؛ فقد أضحى الانفتاح على الغرب، والتأسيس لمخارج القوة اليابانية على مقاساته، سيلاً متدفقاً عجز صايغو تاكاموري - الخصم العنيد لأوكيبو - ورفاقه عن مدافعته، والتنكّر لحجمه وتحدّياته، حتى عندما رفض الساموراي الأخير الانصياع لمنطق التوازنات الداخلية، وقرّر ممارسة شعيرة السيبوكو؛ فإنه كان يدرك استحالة كسب المعركة، لكنه أراد بعمله هذا التأسيس للحظة النبل والشرف بوصفهما قيمتين أخلاقيتين يستحيل على الساموراي الأصيل أن يتخلّى عنهما ولو بالموت في ساحة المواجهة؛ بممارسة طقس الانتحار، وهو ما نفّذه في أثناء المواجهة غير المتكافئة بين الطرفين.

تحوّل تاكاموري بعد انتحاره إلى رمز وذاكرة، ومنحه الإمبراطور العفو، ووضعت له النصب التذكارية؛ اعترافاً له بالجهد المتميز الذي بذله في الإطاحة بنظام التوكوجاوا



تقاليد الساموراي لاتزال مصدر إعجاب

الهوامش والمراجع

(١) ناغاي مينشيو وميغال أورونشيا، نهضة اليابان، ترجمة: نديم عبده وفواز خوري، مركز بحوث التجربة الإنمائية اليابانية، بيروت، وجامعة الأمم المتحدة، وطوكيو، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٣م، ص٤١٤.

(٢) فوكوزاوا يوكيتشي (١٨٣٥-١٩٠١م): مفكّر وفيلسوف ورجل تربية ياباني، ازداد في منطقة أوساكا، برزت منذ البدء ميوله التعليمية، والتحق بمدرسة التعليم الهولندي، وأتقن اللغة الإنجليزية، وأرسلته حكومته في رحلات دبلوماسية وتعليمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا وروسيا. تأثر بفكر الأنوار الإنجليزي الذي مجّد الاستقلال الذاتي للفرد؛ مما جعل يوكيتشي يحمل بشدة على الثقافة الصينية المنتشرة في اليابان، راهن على التعليم وسيلةً أساسيةً لتحقيق التنمية، وأسّس عدداً من المنابر التعليمية، في مقدمتها جامعة كيو Keio، ويعدّ من أبرز التربويين اليابانيين الذين أسهموا في التحوّل التنموي لعهد الميجي، لترجمة خاصة انطلاقاً من سيرته الذاتية التي اعتمدتها في هذا المقال، انظر- فوكوزاوا يوكيتشي، سيرة فوكوزاوا يوكيتشي، ترجمة: كامل يوسف حسين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١م، ص٣١٧.

(٣) التوكوجاوا: هو اسم الأسرة التي حكمت اليابان منذ مطلع القرن السابع عشر حتى عام ١٨٦٨م، وقد نهجت سياسة العزلة الطوعية، وأسهمت في ترسيخ السلام الطويل الذي حقّق الأمن الداخلي للبلاد. كما أسهمت في ترسيخ علاقات الإنتاج الفيودالي، وتعرّضت هذه الأسرة لتحديات خارجية صعبة عام ١٨٥٣م عندما دخلت السفن الأمريكية السواحل اليابانية، وفرضت عليها الخروج من دائرة العزلة.

(٤) أدوين رايشاور، اليابانيون، ترجمة: ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٣٦، ١٩٨٩م، ص٢٢٥.

(٥) أحمد بهيّ الدين قنديل، الثقافة السياسية اليابانية، مجلة أوراق آسيوية، العدد ٣٠، فبراير عام ٢٠٠٠م، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، مصر، ص١-٣٠.

(6) Ivan Morris. La noblesse de Lechec. traduit de Langlais par Suzanne Nitillard. Gallimard. Paris. 1980 page269.

(7) Mark Ravina. The last samurai: the life and battles of Saigo Takamori. Hoboken. N. J Wiley 2004. page6.

(8) En.wikipedia.org/wiki/Takamori__Saigo 514 - www.jref.com/glossaire/saigo__takamori.shtml.

(٩) الميكادو Mikado: مصطلح قديم يعبّر به عن الإمبراطور الياباني.

(10) Bill Gordon .Japan>s march toward Militarism. In http://wgordon.web.wesleyan.edu/papers/jhist2. htm.Page1.

(11) Marius B. Jansen. The Emergence of Meiji Japan. Publié 1995. Cambridge University. page223.

(12) Ibid. page223.

(13) Ivan Morris. La noblesse de Léchec. op.cit. Page302.

(14) Ibid. page303.

(١٥) السيبوكو seppuku: شعيرة الانتحار الياباني التي توصف بالنبل والشهامة، وتقام أساساً داخل المعبد بشق البطن بشكل عرضي بواسطة سيف قصير من الأعلى إلى الأسفل، وقريباً منها هناك مصطلح هارا كيري، وترجمته الحرفية هي قطع الأحشاء. وقد كان هذا الفعل معروفاً لدى مقاتلي الساموراي، وكانوا يلجؤون إليه لتفادي الوقوع في أيدي العدو، أو لمسح عار الهزيمة، والتكفير عن الخطأ، كما كان يدلّ على النبل والطاعة. كان الساموراي في كثير من الأحيان يعيّن أحد المقرّبين إليه ليقطع رأسه بضربة سيف بعد أن يقوم ببقر بطنه بنفسه، وهو ما قام به سايغو تاكاموري.

(١٦) كورودا ياسومارا، التحديث والاغتراب في اليابان، مجلة المستقبل العربي، عدد ٦٩، عام ١٩٨٤م، ص١٣٧.

(١٧) إتسوشي كادوواكي، الشباب اليابانيون، ضمن خفايا المعجزة اليابانية، مرجع سابق، ص٦٩.

(18) J.C.Goudry. Les japonais. Op cit. page145

(19) David John Lu. Japan A Documentary History. op. Cit. page325. 326

احتضار البخور

عبدالمجيد محمد التركي
صنعاء - اليمن

كان سنّ الحليبِ
إذا زعزعته السكاكرُ
نتلو عليه تعاويذنا في خشوع
ونلقي به صوب شمسٍ تقهقهُ من حلمنا:
هاكِ أيتها الشمس سنّ حمار
خذيه إلى حيث لا يعرف الحبُّ
سوسَ القلوب
ولا يعرف الوردُ زيفَ الندى
فايضينا بسنِّ غزالٍ
فإن الفناء يحاصرنا
ليتني أستطيع الإنابة من كل شاحةٍ
أكلت من فمي
ها هو الموت ينذرني باكراً
حين يخرج من لثة السِّين منتصراً
يتحيَّن لثغي بكل الحروف

***

على كرمي وسخاء يدي
كنت أبدو كرمانةٍ
فجَّرت نفسها للمناقيرِ
لكن إذا جاءني الموت يمدُدُ لي كفَّه
هل سأمنحه
- مثل قرش المساكين -
روحي
ليبقى العلا من نصيب يدي؟!
ليتني كنتُ ماءً أسيلُ على كل مجمرةٍ
تستلذُّ احتضار البخور

أحسّ به الآن مختبئاً
تحت جلدي كما البنسلين
يقيس حساسيتي
وارتجافي
ويشطب أمنيتي في احتضان ابنتي
وانبطاحي على جنةٍ أورقت
تحت أقدام أمي
ترى حين يصعقني
هل سيترك ذاكرتي
لأحضَر لي كل يوم صديقاً
ينادمني عن سوالف أحلامنا بالخلود
وأشغل وقتي
بتطهير ما اقترفته يدايَ
من الشعر والأصدقاء

***

أعود إلى مسقط الروح
أبحث عن جزء عمّ
وعن ربع ياسين
عن ولد
قلبه كان أبيض من غير سوء
يضيء بعينيه كُحل المساجد
عن رفقةٍ غادروا
قبل أن يستلذّوا بسنِّ الجنون
ورائحة الليل حين تقضّ وسائدهم..
عن صبايا
رسمن بكل كراريسهن ثياب الزفافِ
وقطّعن أكمامهنّ
ليخفين فيها الحروز
وقارورة العطر
والنقش
والخجل المشتهى
والأماني التي قلب الموت أحرفها
فاستحالت منايا
مجلّلةً بالسواد

قصيدة



قضية

الطفولة: نظرة جديدة

عبدالمجيد إبراهيم قاسم
الحسكة - سورية

الطفولة ذاك العالم السحري الجميل، الزاخر بالرؤى والخيالات، والمملوء بالأحلام والألوان. العالم الذي يفيض بالعفوية والوداعة، ويرمز إلى الطهارة والنقاء. بل عوالم زاهية مجنحة، تضج بالحركة والحيوية، وتهدر بالوثوب والانطلاق الذي لا تحده حدود. عوالم آسرة تملك على المرء كيانه، وتأسره كل ما فيها من دفء وجمال: دفء قلوبهم اليانعة، وجمال روحهم المشرقة.

والأطفال نشيد الحياة الخالد وبهجتها. إنهم كائنات ملائكية طافحة بالعذوبة والجمال والرقة. من نظرة عيونهم تتجلى آيات البراءة والصدق. وفي قلوبهم وبين أيديهم تتبرعم سنابل الصباح، وتزهر مواسم الأمل. تقول سام براون: «إن هذه الأيدي الصغيرة الرقيقة تمسك بقلوبنا إلى الأبد».

الطفولة: مفهومها وأهميتها

كان الأطفال على مرّ العصور محطّ مودة الأهل ومحبتهم، وامتداداً يرسم للشعوب بقاءها وديمومتها. ويظهر هذا في الأمثال التي قيلت فيهم، وما أكثرها!. فنجد في أمثال الإغريق: «الأولاد زينة الإنسان». وفي الهند: «بيت من دون طفل كالقبر». وفي إسبانيا: «أسمى حبّ هو حبّ الأطفال». ويقول أحد أمثال الكرد: «الأطفال فاكهة البيوت». وأيضاً: «الأطفال كرات مذهبة».

كما أن مرحلة الطفولة كانت مثار جدل كبير، وموضع اختلاف الآراء والمفاهيم؛ إذ تباينت النظرة إلى طبيعتها ومكانتها، وأشكال التعامل معها، بوصفها عالماً يصعب الولوج إلى مكنوناته، وسبر أغواره؛ فقد عدّها القديس أوغسطين وعاءً للخطيئة، وشبّه بوسي حياة من يعيشونها بحياة الحيوان. أما أرسطو، فقد عدّها مستودعاً للنفس الشهوانية. وجاء جان بياجيه فعدّ الطفل كائناً في صيرورة بلوغ. ثم جاءت الدراسات الحديثة لتؤكد وجود موهبة طفولية خلاقة، فنجد بودلير يقول عنها: «إن العبقرية ما هي إلا العودة الإرادية إلى الطفولة». أما بيكاسو، فيقول: «لقد قضيت خمسين



عاماً من عمري لأتعلّم الرسم كالأطفال... هل عادت إليّ الطفولة أو عدتُ إليها؟ .

على أي حال، فإن مرحلة الطفولة تعدّ اليوم أهم مراحل النمو في حياة الكائن البشري، وأكثرها تأثيراً في تكوين شخصيته؛ لأن معالم الشخصية الإنسانية الأساسية تتشكّل فيها. وتتبلور معالمها وملامحها ومقوماتها، وترتسم فيها الخطوط العريضة لما سيكون عليه الطفل في المستقبل، وتتحدد قيمه واتجاهاته المعرفية والوجدانية والسلوكية.

كما تعدّ هذه المرحلة من أكثر المراحل قابليةً للتفاعل مع ما تتعرض له من مؤثرات خارجية، تترك بمختلف مشاربها بصمات واضحة في جميع المراحل التالية.

ويعرّف الدكتور علي حداد مرحلة الطفولة بأنها المرحلة العمرية الأولى التي يمرّ بها الإنسان في بواكير وجوده الذاتي والاجتماعي، التي تُحدَّد سماتها في أنماط من السلوك والميول، وأوجه النشاط المؤسّسة على خصوصية في البناء الجسدي والعقلي، والتمثيل اللغوي، وأساليب اللعب والحركة، ووسائل التعبير عن المشاعر والأحاسيس، والحاجات وسبل إشباعها.

> مرحلة الطفولة تعدّ اليوم أهم مراحل النمو في حياة الكائن البشري، وأكثرها تأثيرا في تكوين شخصيته؛ لأن معالم الشخصية الإنسانية الأساسية تتشكل فيها

مراحل الطفولة واحتياجاتها

يعدّ النمو من أهم السمات الظاهرة في حياة الكائن البشري، ويتجلى في أنواع متعددة جسمياً، وعقلياً، وحسياً، ولغوياً، واجتماعياً، وتظهر أبعاده بشكل متصل ومترابط، إلا أن النمو لا يتخذ طابعاً واحداً؛ فالأطفال يختلفون باختلاف أطوار نموهم، ويتمايزون حسب المراحل الفرعية التي يعيشونها؛ لأن لكل منها خصائص تختلف عن غيرها من المراحل، كما أنهم مختلفون في درجة التأثر بالموروثات، وفي تمثّل الثقافة والقيم.



وكذلك، فإن الطفولة تختلف وتتباين من جيل إلى جيل، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر. ومع كلّ ذلك، فإن مرحلة الطفولة تشكّل بوجه عام وحدة مترابطة. وكلاً متكاملاً متتابعاً. لا حدود أو فواصل قاطعة بينها. يشكّل كل طور حلقةً رابطةً بين سابقة وتالية. ولصعوبة تقسيم دقيق يميز تلك الأطوار يلجأ العلماء إلى تقسيمات شكلية لتسهيل البحث والدراسة ليس إلا. وحسب تقسيم علماء النفس. فإن مرحلة الطفولة تقسم حسب الخصائص البارزة عدة أقسام، هي:

- مرحلة المهد (الرضاعة): التي تمتد من لحظة الولادة حتى العام الثاني. ويحتاج فيها الطفل إلى الرعاية بمعناها الصحي والغذائي من طعام ونوم وراحة ونظافة، وكذلك الحاجة إلى الدفء العاطفي. وتشكّل الأم في هذه المرحلة المصدر الأول لإشباع احتياجاته، وتضطلع بدور أساسي في تنشئته، والقيام بأعباء رعايته. فيتلقى الطفل ترنيمات الأم، وهدهداتها، ثم أغانيها وحكاياتها بمتعة وتشوّق. ويحسّ فيها بالأمان والسكينة.
- مرحلة الطفولة المبكرة، أو مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية: وتمتد من (٣-٥) سنوات، ويرى علماء النفس والتربية أن هذه السنوات هي من أهم السنوات في حياة الأطفال: إذ تتحدد فيها معالم الشخصية إلى حدّ كبير، وترتسم خطوطها العريضة. فتتشكّل مدارك الطفل. ويكتسب مهارات أساسية كالمشي والكلام. وينمو قاموسه اللغوي نمواً متسارعاً. إضافةً إلى اكتسابه كثيراً من السلوكيات. ومن مميزات هذه المرحلة أيضاً: تشوّق الطفل إلى معرفة البيئة المحيطة، ومحاولة اكتشافها بحكم تنامي غريزة حبّ الاستطلاع لديه، وكذلك الميل إلى جذب انتباه الآخرين واهتمامهم، والميل إلى الحركة واللعب. ومع أن الطفل في هذه المرحلة يمتلك خيالاً حاداً إلا أن هذه المرحلة تسمى (مرحلة الخيال المحدود بالبيئة)؛ لأن محيطه الضيق يجعل خياله محصوراً فيما يرى وما يسمع. ويقع على عاتق الأسرة العبء التربوي الأكبر في هذه المرحلة.
- مرحلة الطفولة المتوسطة: وتمتد من (٦-٩) سنوات، وفيها تتسع مدارك الطفل، وتزداد خبراته. كما تتسع علاقاته الخارجية بحكم دخوله المدرسة، ونموه الجسدي، ونضجه العقلي. ومن صفات الطفل في هذه المرحلة: شغفه باكتساب الخبرات والمعارف. وسرعة تأثّره بما يراه ويسمعه. وميله إلى الاعتزاز بالنفس. ورغبته في المنافسة والعمل مع الجماعة. وتسمى هذه المرحلة (مرحلة الخيال الحر أو المنطلق).
- مرحلة الطفولة المتأخرة، أو مرحلة البطولة والمغامرة: وتمتد من ١٠ سنوات إلى بداية مرحلة المراهقة. وهي من أخطر مراحل نمو الطفل. وفيها تظهر عليه تغيّرات جسمية ونفسية، وكذلك الميول الاجتماعية والدينية والتعلّق بالمثل العليا. كما تميّز سنوات هذه المرحلة الاستقلال الذاتي في سلوكه. فيحاول أن يظهر كالكبار. ويميل إلى تقليدهم، ويظهر التفاوت النسبي في الاهتمامات بين



الجنسين. كما يميل طفل هذه المرحلة إلى حبّ التعلّم والمعرفة، وتعرّف الاختراعات، وتجريب الأشياء بنفسه.

وفي المرحلتين الأخيرتين، تسهم - إضافةً إلى الأسرة - مؤسسات مجتمعية أخرى: كالمدرسة، وجماعة الرفاق، ووسائل الإعلام، في النهوض بأعباء تربية الأطفال.

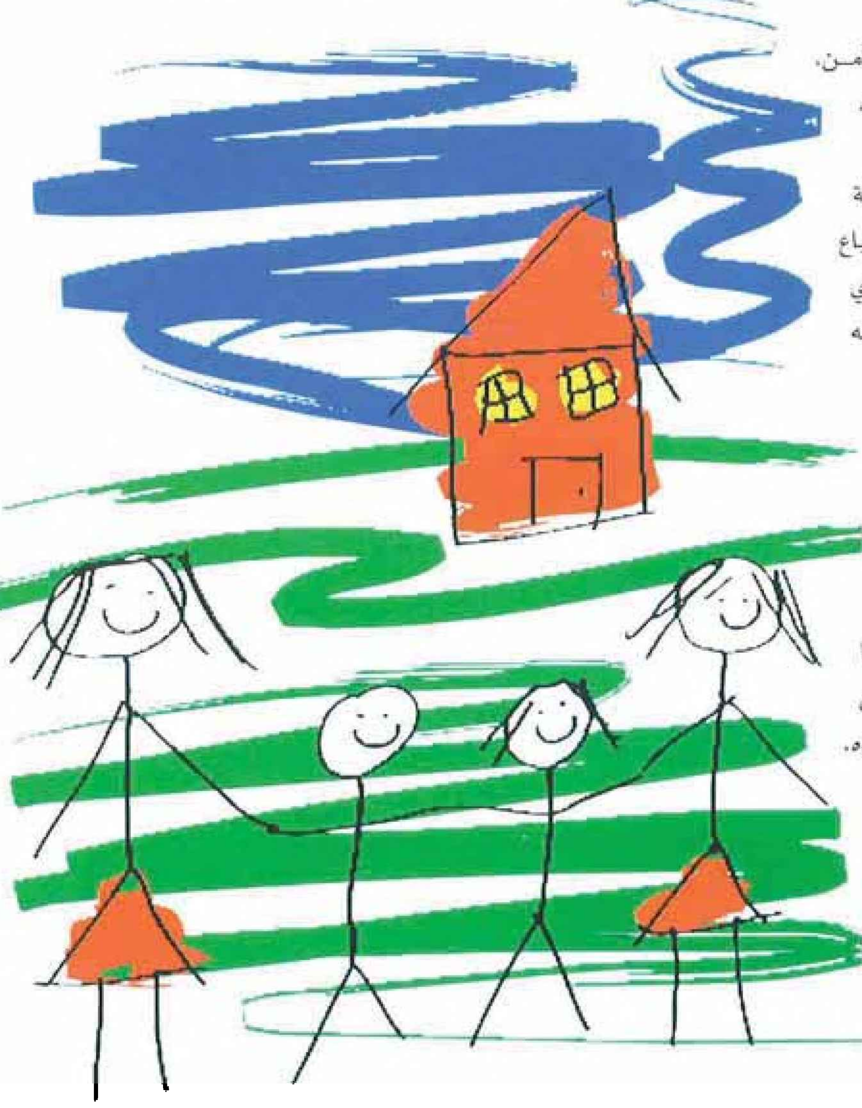
ولمراحل النمو تلك احتياجات متباينة، تتصل بمختلف جوانب شخصية الطفل، الجسمية منها، والعقلية، والنفسية، والاجتماعية. ويؤدي تأمينها دوراً أساسياً في تشكيل شخصية الطفل، وتتنوع تلك الاحتياجات وتتعدد حسب المرحلة التي يمر بها الطفل، ومن أهمها:

- الاحتياجات البيولوجية: كالحاجة إلى الهواء، والماء، والغذاء، والراحة البدنية.
- الاحتياجات النفسية: كالحاجة إلى الأمن، والطمأنينة، والمحبة، والحنان، ودفء العاطفة، والشعور بتقدير الآخرين كيانه الخاص.
- الاحتياجات المعرفية: كالحاجة إلى المعرفة والاطلاع، وإرواء الفضول الطفولي، وإشباع رغباته إلى كلّ ما ينمّي خياله، ويغذّي تصوراته، وكذلك يحتاج إلى ما يستثير نشاطه المعرفي والحسي.
- الاحتياجات الاجتماعية: كالحاجة إلى الاستقلال الذاتي، والتقدير الاجتماعي، والحاجة إلى الاتصال والمشاركة، والشعور بالانتماء.
- الاحتياجات الحركية: التي تتجلى في ميل الطفل إلى الحركة الدائمة والنشاط، وأهمها الحاجة إلى اللعب الذي يؤمّن كثيراً من الحاجات، فتتفتّح مخيّلة الطفل، وتطوّر ذكاءه، وتحرّر طاقاته الانفعالية.

النظرة الجديدة إلى الطفل

لم تكن الطفولة - وفق مفهوم المجتمعات قديماً - مرحلة مستقلة بذاتها، بل كانت مجرد مرحلة انتقال تعبر بالكائن الصغير إلى مراحل الشباب والنضج، ولم تكن النظرة إلى الطفل آنذاك إلا على أنه رجل صغير ينطبق عليه ما ينطبق على الكبار؛ لذا عليه خوض غمار الحياة وصعوباتها بذهنية الراشد وطرائقه، وكان يتم التعامل معه على هذا الأساس، وكانت التربية - وفقاً لذلك - تنظر إلى كلّ ألوان النشاط على أنها ترف وضرب من العبث، وكان اهتمامها منصباً على الجانب المعرفي على حساب جوانب الشخصية الأخرى؛ لتحقيق هدف واحد، هو نقل التراث الثقافي إلى الأجيال الناشئة.

إلا أن التغيرات التي طرأت على النظريات العلمية والتربوية، التي غيّرت وجه العالم، أثبتت اختلاف الأطفال عن الراشدين في درجة النمو، واتجاهه، وانتمائهم إلى عالم هو عالمهم الخاصّ



المستقل. وأن للطفل شخصيته المتمايزة - بخصائصها، وحاجاتها، وقدراتها، وإمكاناتها الجسدية والعقلية والنفسية والخيالية واللغوية - عن شخصية الكبار، وأنها تتطور وتتكامل بتعدّد جوانبها - بشكل مترابط، وأن عقله ليس صفحة بيضاء. كما أثبت الدراسات الحديثة أن الطفل يولد بصفات ومميزات خاصة، تؤدي البيئة المحيطة به مهمة صياغتها وبلورتها.

> الأسرة هي البيئة التربوية الأولى التي ينمو فيها الطفل، ويستمد احتياجاته منها، والمؤسسة الاجتماعية الأكثر تأثيرا في تكوينه جسميا ونفسيا واجتماعيا

وفي ظلّ تلك المتغيرات، ومع تطور المفاهيم حول عالم الطفولة، واختلاف النظرة إليها؛ أصبحت الطفولة موضع دراسة وعناية من جميع فروع العلوم الإنسانية المختلفة، وبات الاهتمام بتربية الطفل هدفاً إستراتيجياً وتنموياً، ومن الضرورات التي تجهد في مجالاتها الأمم والشعوب؛ لأنها تحمل رسالةً كبيرةً في مضمونها، عظيمةً في محتواها.

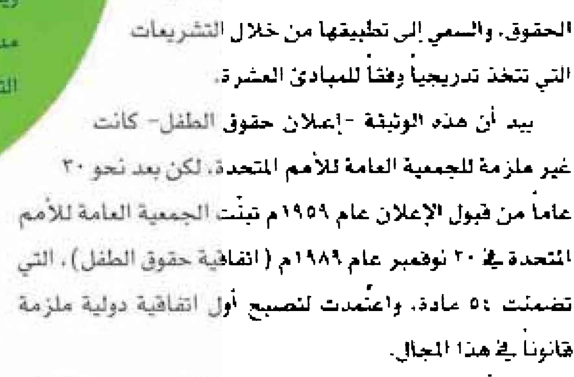
مراحل تطور النظرة إلى الطفل

مرّ تاريخ الاهتمام بالطفولة بمراحل كثيرة، وأطوار مختلفة، أسهم خلالها عدد من العلماء والفلاسفة والمربّين بكثير من أبحاثهم وأفكارهم وإبداعاتهم في دفع تلك المسيرة إلى الأمام. فكان لظهور الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨م)، وكتابه (إميل) عام ١٧٦٢م، الذي وضع فيه نظاماً لتربية ولده المتخيّل، أثر كبير في تطوير الدراسات المنهجية حول (علم نفس الطفل)، وهو الذي رأى أن على التربية أن تتلاءم مع حاجات الأطفال وقدراتهم، بدلاً من أن تكون استجابةً لنزوات الراشد، حين أطلق قولته الشهيرة: «اعرفوا الطفولة.. تعرّفوا إلى أطفالكم، يقيناً تجهلونها كل الجهل». وكان لقولته تلك صدى واسع في عالم الطفولة برمّته. يقول الكاتب فاضل الكعبي في آراء روسو: «جاءت أفكاره وآراؤه التربوية والفلسفية من صميم الطفل وإليه.. ولتكون أكثر عمقاً وإدراكاً لخواصّ الطفل، وطبيعته البيولوجية والسيكولوجية، وأعمق تفسيراً ومعالجةً لظواهره الحركية والإدراكية والانفعالية.. وما يطرأ عليها من تغيرات وتطورات خلال فترات نموه المختلفة». ويتابع الكاتب: «كانت نظرته الفلسفية والثقافية والتربوية لعوالم هذا الكائن العجيب نظرة متجددة بتجدد كشوفاته المتواصلة، التي تنطلق من مبدأ عام، هو أن الطفل مع كل الكشوفات يبقى بحاجة إلى المزيد من الدراسة والاكتشاف».

كان تأثير روسو كبيراً في عدد من المفكرين والباحثين المتخصصين في هذا المجال؛ إذ دفعتهم آراؤه إلى تطوير وسائلهم في البحث والتوجيه والكتابة، وجعلها مسايرةً لحقيقة الطفل وتطوره. وأفادت أفكاره عدداً من روّاد التربية الحديثة الذين جاؤوا بعده، وأقاموا مدارس خاصة بتنشئة الأطفال في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر؛ أمثال: هنري بستالوتزي، الذي أنشأ مدرسة داخلية اتسمت مناهجها بالدقة والمرونة، سمّاها (أفردون)، وطبّق فيها فكرة روسو التي تؤكد ضرورة تعليم الأولاد عن طريق الخبرة والممارسة النشيطة، وليس بالحفظ. وفردريك فروبل صاحب كتاب (تربية الإنسان)، الذي عُدَّ أهم روّاد العمل التربوي في العالم، وأول مؤسّس لرياض الأطفال في العالم. وظهر المفكر التربوي الأمريكي جون ديوي (١٨٥٩- ١٩٥٢م)، فوضع مبادئ مراعاة ميول الطفل ورغباته، ودعا إلى السعي إلى بناء شخصيته بناءً متكاملاً ومتفاعلاً مع الحياة الاجتماعية. وقد أدى هذا المربي دوراً رئيساً في تحويل مبدأ النشاط إلى حيّز التطبيق. كما كان لبروز علم نفس الطفل علماً منهجياً في عام ١٩٣٠م، واستقلاله عن علم النفس العام، انعطافاً تاريخياً في تمتين هذا النهج؛ إذ ظهر كثير من الأبحاث المتصلة بعلوم التربية.

ومع هذا الاهتمام حظيت الطفولة بمواثيق وعهود من هيئات دولية، كان أهمها (اتفاقية حقوق الطفل)، التي مرّت هي الأخرى بمراحل متعددة، نستعرض بإيجاز أهم منعطفاتها. فقد تبنّت عصبة الأمم في ٢٦ سبتمبر عام ١٩٢٤م ما سُمّي

بـ(إعلان جنيف الخاص بحقوق الطفل)، المكوّن من خمسة مبادئ أساسية. وكان هذا الإعلان هو أول وثيقة دولية تربط بين المسؤولية الوطنية لكلّ دولة عن حماية أطفالها وضمان حقوقهم. كما أشار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م إلى حقّ الأطفال في الرعاية الخاصة. ثم أقرّت الجمعية العامة للأمم المتحدة في نوفمبر عام ١٩٥٩م نسخةً أكثر تفصيلاً لهذا الإعلان، مكوّنة من عشرة مبادئ: لتحلّ محلّ المبادئ الخمسة الأصلية. ودعا الإعلان الآباء والأمهات والأفراد والمنظمات والحكومات إلى الاعتراف بهذه الحقوق، والسعي إلى تطبيقها من خلال التشريعات التي تتخذ تدريجياً وفقاً للمبادئ العشرة.



بيد أن هذه الوثيقة -إعلان حقوق الطفل- كانت غير ملزمة للجمعية العامة للأمم المتحدة، لكن بعد نحو ٣٠ عاماً من قبول الإعلان عام ١٩٥٩م تبنّت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ نوفمبر عام ١٩٨٩م (اتفاقية حقوق الطفل)، التي تضمنت ٥٤ مادة، واعتُمدت لتصبح أول اتفاقية دولية ملزمة قانوناً في هذا المجال.

ووفقاً للإعلان، يتمتع كل أطفال هذا العالم بجميع الحقوق المقرّرة فيه، أهمها: تمتّعهم بحياة آمنة وكريمة، وحصولهم على حقوقهم الاجتماعية والقانونية والفكرية والنفسية، وحمايتهم من أيّ استغلال نفسي أو جسدي، وغيرها. وأكدت النصوص الـ(٥٤) التي ضمّنها حق الطفل في أن ينعم بطفولة سعيدة، وأن يترعرع في بيئة عائلية مفعمة بالتقدير والتفهّم، وفي جوّ من المحبة والألفة. كما جاء فيها أن تحترم الدول الأطراف الحقوق الموضّحة في هذه الاتفاقية، وأن تضمنها لكلّ طفل يخضع لولايتها، وتعامل الأطفال من دون أيّ نوع من أنواع التمييز، بغض النظر عن لون الطفل، أو جنسه، أو لغته، أو دينه، أو أصله القومي أو الإثني أو الاجتماعي، وأن تتعهد باحترام حق الطفل في الحفاظ على هويته.

ثم كان لتخصيص عام دولي للطفل، هو عام ١٩٧٩م، ويوم عالمي للطفل تحتفل به معظم دول العالم وتعدّه عيداً للطفولة، أثر كبير في لفت الأنظار إلى عالم الطفولة. وتماشياً مع مهمتها لحماية حقوق أطفال العالم، أخذت اليونيسيف على عاتقها مسؤولية تعبئة قادة العالم وسكانه من أجل إحداث تغيير فعليّ لمصلحة الأطفال في العالم، وتشكيل دافع لتحقيق المزيد من الحقوق على أرض الواقع.

لذلك كله يمكن عدّ القرن العشرين شاهداً على اهتمام واسع بالطفل من مختلف الجهات، وعلى الصُعد كافة، قرن أصبحت الطفولة فيه محوراً لاهتمام شامل متكامل، حتى إنه وُصف بعصر الطفل.

كما شهد هذا القرن تحسين أنظمة التعليم في العالم، وتفعيل (منهج أو مبدأ النشاط) وتطويره، وهو منهج يقوم على توجيه ميول الأطفال وجعلها محوراً رئيساً في حقل التربية، وبرز عدد من النظريات التربوية الحديثة: كضرورة التفاعل في جوانب

خصائص مرحلة الطفولة

الأطفال كائنات بشرية في طور التكوّن، تُستودع نفوسهم مشاعر متباينة، وأحاسيس مختلفة: فهم يحبون ويكرهون، ويفرحون ويحزنون، ويتأملون ويحلمون، ويولدون مزوّدين بخبرات فطرية جميلة، وبأحاسيس مرهفة، ومشاعر رقيقة.

ومن أهم خصائصهم السيكولوجية أنهم يعشقون التعرّف والاطلاع، ويتوقون إلى اكتشاف مكنونات الحياة وأسرارها، ويحبون كل ما يحرّك خيالهم ويبهرهم، وما يثيرهم ويتحدى عقولهم، ويتلقون كل ما حولهم بفضولهم الفطري البريء، وينشغلون دوماً بالمتجدّد والمتنوّع، وهم سريعو التطبّع بما يألفون، ومُولعون بعالم الحيوانات والطيور، كما أنهم معروفون بحبّ المثالية، وعشق مواقف البطولة والشجاعة والمغامرة، والميل إلى التقليد، وتقمّص الشخصيات، وبخاصة الأبطال منها.

كما أن الأطفال مُولعون بالقصة والتمثيل والفكاهة، محبّون للصورة واللون والرسوم، والمواقف التي تجلب السرور والبهجة، والأنغام والألحان والغناء، متذوّقون للإيقاعات الموسيقية العذبة، وتوّاقون إلى ما يضحكهم ويفرحهم ويمتعهم، وإلى ما يثير رحابة مخيّلتهم، ويشغلهم الإيقاع والحركة وكلّ ما هو مدهش ومفاجئ. كما أن الأطفال بطبيعتهم يعافون الرتابة والصرامة، والطرق التقليدية التي تملأ أذهانهم بالمعارف النظرية والنصائح الجاهزة.

حياة الطفل المتعددة، وأهمية وضع معايير للتربية والتعليم للطفولة المبكرة، والتعلم وفقاً لقدرات الطفل وحاجاته، واكتساب الخبرات عن طريق العمل، وأهمية تنمية مواهب الطفل، ومنحه حرية الرأي والتعبير.

كما أن التطورات الحديثة التي لامست حياة الطفل أخذت في الحسبان الجانب الأدبي والفني، فعملت الدول والحكومات على وضع خطط ودراسات، وسخّرت إمكانات ومؤهلات لرفع ثقافة الطفل، وأعدّت مؤتمرات، وأطلقت دعوات للاهتمام بأدب الأطفال بجميع فنونه وأجناسه، والسعي إلى إنتاج متميّز في المجالات الأدبية والفنية؛ لتزيد في مرتبة الطفل سمواً ورقياً.

وأصبح هذا الينبوع الإنساني، الذي بات يشغل بال العلماء والفلاسفة والأدباء، من أهم الثروات التي تملكها الشعوب، ومن أغزر روافد قوة المجتمع وبناه الأساسية، ومن أسمى الغايات التي تنهض بها إلى التطور والتقدم؛ حتى أصبح ذلك مقياساً لتقدمها ورقيّها، وانعكاساً لمكانتها بين مصافّ الأمم، ولم يعد بإمكان أيّ أمة أن تدخل بوابة المستقبل من دون أن تهتم بالطفولة.

> يمكن عدّ القرن العشرين شاهداً على اهتمام واسع بالطفل من مختلف الجهات، وعلى الصُّعد كافة، فقد أصبحت الطفولة فيه محور الاهتمام شامل متكامل، حتى إنه وُصف بعصر الطفل.

يقول الكاتب أحمد إسماعيل إسماعيل في أهمية هذه الثروة: «الطفل أول وأعظم ثروة وطنية وإنسانية؛ فمن أجله تزرع الأمم وتحصد، ومن أجله تبني وتحارب، فهو إن زُرع في تربة صالحة أثمر محصولاً وافراً لا ينفد، وإن بُني بصلابة أحال كل بيت في الوطن إلى قلاع منيعة، يشعّ في داخلها الأمل المنشود»[1].

كما كان من الطبيعي في ضوء كلّ تلك التطورات أن تحظى هذه الثروة بكل الاهتمام، وأن تكون محطّ الرعاية شعوباً وحكومات ومنظمات، وأسراً وأفراداً، وكان لابد من إيجاد عناية بالغة واهتمام خاصّ، وتهيئة كل العوامل والأسباب التي تسعى إلى بناء شخصية متوازنة للطفل، وإعدادها إعداداً مثمراً للحياة؛ فإن أصحاب الشخصيات المتكاملة والمتوازنة هم من يفكّرون بطريقة سوية، ويبنون بشكل سليم.

وحتى يكون العمل لتحقيق ذلك صحيحاً يجب أن ينطلق أولاً من المعرفة الصحيحة لحقيقة الطفل، وملابسات عالمه المتميز من مختلف نواحيه واتجاهاته، «إلا أن هذه الثروة لا تتحقق، ولا تؤتي ثمارها المرجوة، من دون طفولة حقيقية يعيشها الطفل بكل ما تعنيه الطفولة من بساطة وعذوبة وانفتاح وانطلاق.. في ظلّ عناية عطوفة وواعية»[2].

تربية الأطفال ومؤسساتها

تتأثر مكوّنات الشخصية الإنسانية بدرجات متفاوتة بعاملي الوراثة والبيئة معاً؛ فأثر الوراثة يتّضح من النواحي الجسمية والعقلية، أما أثر البيئة فيظهر في التكوين الخلقي والاتجاهات الوجدانية وغيرها.

والطفل كائن يتفاعل مع البيئة الاجتماعية المحيطة به، التي تعدّ من أهم العوامل المؤثرة في تربيته، وتشكّل العامل الأساسي في تحديد أنماط سلوكه، وصياغة أفكاره، ونظرته إلى الحياة، إذاً، فالشخصية الطفلية، بما تعنيه من مكونات، لا تتشكّل مع الولادة، بل تُكتسب نتيجة اتصالها بالبيئة قبل كل شيء، وتُصاغ بفعل تفاعلها مع المؤثرات التي تتعرض لها، وما يتشرّبه الطفل منها، التي ستنعكس عليه وعلى مجتمعه مستقبلاً.

يقول د. هادي نعمان الهيتي: «إن الطفل يُولد مرتين: أولاهما ولادة عضوية (بيولوجية)، وثانيتهما ولادة ثقافية؛ إذ يتحول في الولادة الثانية إلى كائن ثقافي. ومع أن الولادة البيولوجية ترتبط

بعوامل وراثية إلا أن الولادة الثقافية تحصل بصورة تدريجية ومستمرة، وهي عملية معقدة، ويساهم فيها كثير من الوكالات الاجتماعية، إضافة إلى الجماعات الأولية. وتؤكد هذا المقولة مجدداً أن تربية الطفل وثقافته ما هما إلا وليدتا اتصاله بمؤثرات البيئة المحيطة به، والمجتمع الذي يعيش فيه، وإن كان تفاعله معهما مختلفاً. وتلك المؤثرات يتلقاها الطفل في مؤسسات مختلفة يستخدمها المجتمع في عملية التنشئة ولغايات التربية، لعل أهمها الأسرة.

تعدّ الأسرة البيئة التربوية الأولى التي ينمو فيها الطفل، ويستمدّ احتياجاته منها، والمؤسسة الاجتماعية الأكثر تأثيراً في تكوينه جسمياً ونفسياً واجتماعياً. وتعدّ المحيط الأهم الذي تتفاعل ضمنه شخصية الطفل، فيتشكّل وعيه وسلوكه، وتتكوّن قدراته وملكاته، وتتبلور ميوله واتجاهاته وقيمه. كما تعدّ الأسرة المعين الأول الذي يستقي منه الطفل عاداته، ويكتسب لغته ومهاراته، حتى طرائق التعبير عن أحاسيسه وانفعالاته.

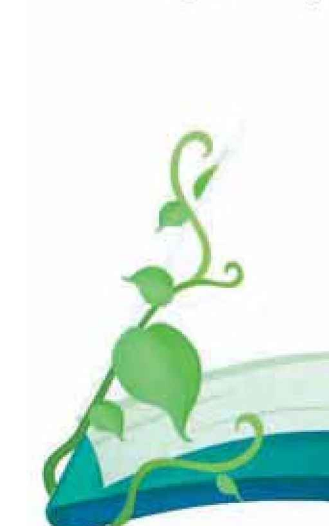
وللأسرة أيضاً دور كبير في تنشئة الطفل بما يتلاءم مع مجتمعه، ويمكّنه من التكيّف معه، والاندماج مع أعضائه وأفراده، وتحقيق توازنه النفسي؛ مما يسهم في بناء الشخصية المتكاملة والمتوازنة عقلياً ونفسياً ووجدانياً وسلوكياً.

ثم تأتي المدرسة في المرتبة الثانية من حيث أهميتها في تنشئة الطفل؛ لتمارس أثرها في تكوين شخصيته من مختلف جوانبها. وتعدّ المدرسة، بوصفها مؤسسة اجتماعية مهمة في حياة الطفل، امتداداً للأسرة، ومكملةً دورها في تربية الطفل، فتوفّر له شروط النمو الجسدي والعقلي والانفعالي والاجتماعي المناسبة. وفيها تتّسع دائرته الاجتماعية، ويتعلم في خضمها المزيد من المعايير الاجتماعية؛ كالحقوق والواجبات، ويتدرب على ضبط انفعالاته، ويمارس فيها العمل والتعاون.

كما أن المدرسة، التي تحتضن الطفل في بواكير حياته، تعمل للارتقاء به تربوياً ووجدانياً ومهارياً، وتسهم بدور بارز في تنمية شخصيته ثقافياً؛ لذا فإنها ذات أثر عظيم في تكوين شخصية الطفل، وتفعيل علاقاته في مجتمعه.

ولا يمكن في معرض الحديث عن الوكالات الاجتماعية المساهمة في صياغة شخصية الطفل إغفال دور وسائل الإعلام، التي تعدّ من أهم أدوات التواصل بينه وبين العالم الخارجي، وتؤدي دوراً مهماً في عملية تنشئته الاجتماعية، وتؤثر تأثيراً كبيراً في نموه النفسي والفكري والقيمي. كما تعدّ وسائل الإعلام من الروافد الثقافية الأساسية التي تمدّ الطفل بالأفكار والعادات، وتحقّق له المتعة والتسلية.

كذلك هناك مؤسسات اجتماعية أخرى تسهم في تربية الطفل، وتصوغه بمؤثراتها؛ كجماعة الرفاق أو الأصدقاء؛ إذ تمثّل له مصدراً





لعدد من العادات والسلوكيات. وتأثير هذا المحيط يعتمد على نوعية المخالطين للطفل، ومستويات ثقافتهم. يقول الكاتب عبدالجبار السحيمي: «إذا كان الطفل عالماً بلا ضفاف، فجائياً، له قابلية بلا حدود للدهشة، وقابلية بلا حدود للاندهاش؛ فإن تشكيل ثقافته إذاً سيتطلب مهارة لاعبي السيرك، وأناة علماء التربية وعلم النفس، ورهافة لغة الشعراء الكبار، وأيضاً الكثير من الجنون الخارق وغير المعتاد»[١].

مشكلات الطفولة

على الرغم من جميع الامتيازات التي حظي بها الأطفال، وكل الأشواط التي تحققت في ميدان تربيتهم، إلا أن واقع الطفولة اليوم لا يزال يعاني مشكلات كثيرة، ولم ترْقَ النظرة إلى هذه المرحلة إلى المستويات التي تستحقها. والطفولة -للأسف- هي التي تدفع الأثمان الباهظة؛ إذ يحصد الجهل والفقر والجوع والأمراض والحروب يومياً أرواح العشرات من هذه الكائنات الصغيرة، وتنهش في أجسادهم. فبنظرة سريعة إلى تقارير وكالة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (اليونيسيف) نجد أن ما يزيد على مليار طفل في العالم يواجهون ظروفاً صعبة من جرّاء تلك الأسباب وغيرها، تحرمهم من طفولتهم، وتمنعهم من التمتع بها.

تقول كارول بيلامي، التي شغلت منصب المديرة التنفيذية لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة نحو عقد من الزمن، خلال إعلان تقرير سنوي في لندن: «عندما يكبر نصف أطفال العالم في ظل ظروف الجوع والمرض، وعندما تصبح المدارس أهدافاً عسكرية، وعندما تخلو قرى بأكملها من السكان بسبب الإيدز؛ تكون قد أخفقنا في تنفيذ الوعد الذي قطعناه على أنفسنا للطفولة». وأضاف التقرير: إن أكثر من مليار طفل محرومون من إحدى سبع خدمات أساسية: المأوى، والماء، والتعليم، والمعرفة، والغذاء، والرعاية الصحية، والصرف الصحي.

كما أن هذه المرحلة التي ظلت سنوات طوالاً علامة على الدونية والقهر ما زالت تئن تحت وطأة الظلم والإهمال والتعسف حتى من أقرب الناس إليهم؛ فما أكثر الأطفال الذين يعانون الحرمان بأشكاله، أو عدم الاستقرار النفسي أو العائلي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، وما أكثر الأيتام منهم، والمشرّدين النازحين، والممزّقين عائلياً، والأطفال غير الشرعيين، والأطفال المضطرين إلى النزول إلى سوق العمل، عدا المهمّشين والمهملين اجتماعياً وغيرهم!

تلك كانت إطلالة سريعة على واقع الطفولة بشكل عام، ونظرة عابرة إلى أحوال تلك الكائنات الرقيقة في كثير من المناطق في العالم.

أما واقع التعليم والثقافة الموجّهة إلى الأطفال، خصوصاً في كثير من المجتمعات العربية، فإنه يعاني انخفاضاً ملحوظاً في مستوى التعليم الأساسي، ولا يزال عدد من الأنظمة التربوية يرزح تحت وطأة التنظير والتأديب، ويمارس بحق الأطفال مختلف أساليب العقاب والمراقبة الصارمة، ويركز أهدافه في التوجيه والتمسك بالقيم، حتى تحوّلت التربية في كثير من جوانبها إلى مجرّد تلقين للمعلومات، وحفظ لبعض الأفكار والعبارات؛ مما يلغي ملكة المحاكمة لدى الطفل، ويقصي إعماله ملكاته العقلية.

أما وضع المناهج التعليمية، فإنها لا تزال تعاني الضعف بشكل عام، وهي أبعد ما تكون من المستحدثات العلمية المعاصرة؛ إذ تغيّب البناء الوجداني للطفل، وركّز في الجانب المعرفي على حساب جوانب الشخصية الأخرى. وتفتقر هذه المناهج إلى المقدرة أو القابلية لتوظيف محتوياتها في الحياة العملية، وتغلب عليها نمطية واحدة، هي التلقين، وحفظ المعلومات، وغاية واحدة، هي النجاح والحصول على الشهادة.

كما أن المناهج تتسم بالآلية والجمود، وتمتلئ بالحشو



والتكرار والإرشاد المباشر، وتكتظ بالقوالب الإنشائية الجاهزة، والأساليب التي تعتمد الحفظ، وترسّخ التلقين المعلّب، وتحفز إلى استخدام الطرائق التقليدية في التعليم، القائمة على ملء الأذهان بالمعارف النظرية والنصائح المسبقة الإعداد، كما أنها تعتمد على تكثيف الواجبات البيتية؛ اعتقاداً أنه كلما زادت زاد تعلّم الطفل، فتساهم بكل ذلك في توسيع الهوة بين الطفل وما يجري في العالم، وتقتل ملكات الإبداع والابتكار في نفسه.

وعن إستراتيجيات ثقافة الأطفال في كثير من مجتمعاتنا، فإنها كذلك تعاني ضعفاً عاماً في الاهتمام بها بكل فنونها وأساليبها، وعلى كلّ مستوياتها، وتشكو انخفاض مستوى نوعية المنتج الثقافي والأدبي الموجّه إلى الصغار كماً ونوعاً، بما لا يليق بأهمية مرحلة الطفولة، ولا يلبّي احتياجاتها المتنامية؛ فمعظم أشكال الثقافة المقدمة إلى الطفل تنمي ثقافة الذاكرة، وتغيب ثقافة الإبداع، وترسّخ أساليب (الخطاب والإنشاء) التي لا تتلاءم وخصائص الأطفال، فمن خلال معاينة بسيطة لواقع المعيش، نلحظ ندرة الكتابة الجادة الموجهة إليهم، التي تلامس وجدانهم، وترسّع مداركهم، وتثير خيالهم، خصوصاً في المقالة والرواية مع أهميتها، ومدى درجة تأثيرها في الأطفال.

كما نلاحظ قلة الاهتمام بكتابة القصص ذات المستوى الجيد مضموناً وأسلوباً وإخراجاً، التي تستحوذ على عواطف الأطفال وتملأ أذهانهم، وكذلك صحافة الأطفال؛ تلك التي تملك مقدرة كبيرة على تنمية خبراتهم الثقافية، وصقل قدراتهم الإبداعية، وأيضاً أغانيهم وموسيقاهم التي ترقى بوجدانهم، وتثير العواطف الإنسانية السامية في نفوسهم، وبرامجهم الإذاعية والتلفازية، كما لا اهتمام يثلج الصدر بمكتبات الأطفال وكتبهم، وقراءاتهم الثقافية، التي تعدّ الركيزة الأساسية في صياغتهم ثقافياً، كما أن الهوة شاسعة بين الأطفال ومسرحهم الباعث فيهم روح المرح والمتعة، إضافة إلى ندرة الكتّاب الجادين، والرسامين والمخرجين والموسيقيين ممن يعملون للأطفال بإخلاص وتفان، والافتقار إلى الأدباء المتفرغين لهذا المجال.

إلا أن أكثر ما يحزّ في النفس ندرة خطط منهجية فعالة، أو برامج واضحة تسعى إلى تنمية ثقافة الطفل، وترقى بها؛ مما يزيد الوضع سوءاً وانحداراً.

يقول الكاتب نزار نجار: «حتى الآن هناك من يقول: إننا ما زلنا في مرحلة التلقين، ما زلنا في مرحلة الوعظ والتوجيه، اقرأ هذا، أو لا تقرأ هذا؟ ويعتقدون في ذلك أن تنمية الثقافة لا بد لها من أن تجعل الآباء والمعلمين والمربّين والكتّاب أوصياء على التلقين للأطفال والأبناء والتلاميذ والدارسين، إنهم يفعلون ذلك في كل مكان.. في البيت، الآباء والأمهات وعاظ ومرشدون وآمرون، في المدرسة، المعلمون يلقون دروسهم ضمن منهاج مقرّر، وكتب لا تخرج عن حدودها المرسومة.. ذلك كله تلقين في تلقين، والثقافة كلها تلقين، فأين المشكلة؟!». ثم يتابع الكاتب: «هناك إستراتيجيات لتحقيق الأهداف الثقافية، هناك سياسات مفتوحة في مجال النهوض بالثقافة، هناك برامج وخطط طامحة من أجل ذلك، لكنها لا تولي ثقافة الأطفال إلا الهامش المتواضع!.. هناك توصيات بعد كل ندوة، هناك اقتراحات بعد كل اجتماع، هناك أوراق عمل وطموحات بعد كل مؤتمر، هناك خطط مطروحة وآراء متضافرة من أجل الأطفال، هناك مراجعات للمؤسسات المعنية بتعليم الأطفال وتثقيفهم، ولكن ذلك أيضاً لا يتجاوز إطار الأوراق، ولا يخرج من صفحات الملفات والكتب والنظريات!»(٨).

الهوامش والمراجع

(١) من نصّ كلمة ألقاها الكاتب محمد علي سعيد - المحرر الأدبي لصحيفة (مع الحدث) - في مؤتمر بعنوان: (أجناس أدب الأطفال)، المحاضرة بعنوان: (الطفولة: مرحلة البراءة والعالم المغاير).

(٢) الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٤١١، السنة الخامسة والثلاثون، يوليو/ تموز عام ٢٠٠٥م، (أدب الطفل في التراث الشعبي العربي: المفهوم والخصوصيات التعبيرية)، الدكتور علي حداد، ص١٠٤.

(٣) آراء روسو في ثقافة الطفل، فاضل الكعبي، كاتب وأديب وباحث متخصص في أدب الأطفال وثقافتهم.

(٤) المثقف التقدمي، مجلة دورية تُعنى بشؤون الفكر والسياسة، العدد ١٧، يونيو/ حزيران عام ١٩٩٩م، أحمد إسماعيل إسماعيل، ص٣٩.

(٥) المرجع السابق، ص٢٩.

(٦) سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس/ آذار عام ١٩٨٨م، (ثقافة الأطفال)، تأليف د. هادي نعمان الهيتي، ص٩٧.

(٧) (هوامش حول الصحافة وتشكيل ثقافة الطفل)، مجلة الدراسات النفسية والتربوية، العدد ٨، سبتمبر/ أيلول عام ١٩٩٩م، ص١١٩.

(٨) الأسبوع الأدبي، العدد ٩٧٠، الصادر في ٢٠٠٥/٨/٢٠م، آفاق ثقافة الطفل، نزار نجار.

الجد الأكبر

خيرية السقاف
الرياض - السعودية

مساء البارحة خيّل إليه أن غضبة الجد الأكبر قد لحقت به.. إذ سقطت صورة جده في لمحة عن الجدار.. وهو ينغمس مع إخوته يتقاذفون الكرة في الردهة الكبرى من المنزل، فأيقن أن أمراً صعباً سوف يعترضه.. لكنه استطاع أن يتوارى عن أبيه الليلة؛ فقد كان على ثقة بأن أباه الذي تأخر حتى تلك الساعة من المساء عن العودة إلى البيت لن يمرّ بعد ذلك لإلقاء نظرته المعتادة على الصور القديمة المقدسة، التي علّقها بعناية فائقة فوق جدار هذه الردهة الفسيحة، لكنه سيفعل في الصباح؛ فهي عادته عندما يعود متأخراً.

وفي الصباح سينجو هو من عقوبة أبيه؛ إذ سيكون قد ترك البيت إلى المدرسة قبل استيقاظه، وإلى أن يجيء موعد العودة من المدرسة يكون قد تدبّر فكرةً للخلاص من الموقف، وسيكون قد تهيأ له.

منذ اللحظة المفاجئة التي سقطت فيها لوحة صورة الجد الأكبر للعائلة وصالح لم يكن ينسى ما يفعله أبوه، كلما شبّ أحد أبنائه ووعى يأخذه إلى تلك الردهة الفسيحة، تكره أمه أن تبقى فيها انقاءً، ويمرّره بكل صورة نصبها على جدرانها بعناية فائقة جعلته يؤجّر لها من ينظّفها ويحرسها حتى في سفرهم، وبعد أن يتأكد من أن الابن منهم قد تعرّف ملامح أجداده يعرّفه أسماءهم، وترتيبهم في شجرة العائلة، وأهمية أدوارهم في بناء مجد العائلة. ولطالما وقف صالح بجوار إخوته الكبار يشاء إدراك ما يسمعون حين يفتح أبوه بعد هذه الجولات كتاباً صغيراً خطّ في سطور بهتت، لكنها لا تزال تحمل ما يصبّه في آذانهم، كما لم يكن ينسى انكفاءة أبيه على بعض صفحاته في الخفاء، وهو يضع على عينيه مكبّراً، وبالكاد يمكنه أن يقرأ، وكثيراً ما أغلق الكتاب بسرعة كلما شعر أن واحداً منهم قد اقترب منه، ثم يعيده في الصندوق الحديدي المحكم داخل خزينة أشد إحكاماً أخفاها في ركن من دولاب ملابسه.

صالح يدري أن في هذا الكتاب العتيق كل المعلومات التي دوّنها الأجداد، وتوقف جده القريب لأبيه عن التدوين؛ فليس له ابن غير والد صالح.

لكن أباه غالباً ما يقف عند الجد الأكبر، ويسهب باهتمام في ذكر صفاته، وما تميّز به من الصرامة والقوة والاعتداد؛ مما جعل صفاته موضع تقدير في زمنه، وكثيراً ما أكّد لهم أن من عقبه قد ورّثها لأبنائه، ويردّد سترثونهم؛ فأنتم «خير خلف لخير سلف».

وصالح كان يشعر أن أباه يعتقد أن مجرد الإحساس بقيمة هذه الشخصيات، وإن كانت ميتة، يجعل من الواجب احترام وجودها بتقييد الحركة في الردهة التي تنتصب فيها صورهم، وأن أيّ خروج عن ذلك يستوجب النظر في سلوكهم؛ فكيف له تخيّل احتمال ما حدث بعد أن انغمس مع إخوانه في اللعب بالكرة، حتى استقرّت طائشة في وجه الجد الأكبر، وأردته أرضاً؟! مما أحضر له صوت أبيه يجلجل في أذنيه: «هذا كبير العائلة، أتفهم؟!»، بينما تمرّ عباراته بذاكرته وهو يؤكد أن صورة الجد الأكبر المتوفّى قبل قرن من الزمن هي الأقدم بين الصور؛ فإذاً هي الأثمن بكل الأشكال، فمن يعبث بها ولا يوقّرها فالعقاب القاسي في انتظاره.

صالح يتّجه إلى حجرة المدير في اليوم التالي، وقد عمر صدره خوف مما سيواجهه هناك بعد استدعائه، كما أنه امتزج بحسرة؛ لأنه كان يعلم أن حظاً وافراً من الدلال قد حظي به إخوته الأصغر؛ فالغلبة ليست له على أيّ الأحوال في أيّ موقف؛ فهم سوف تنتصر لهم أمه في البيت، وهي تعرف كيف تفعل ذلك كعادتها، في كل جولة يكون فيها هو الخاسر الوحيد بينهم؛ إذ لم يكن يعبأ بأهمية الصور؛ فهي بالنسبة إليه لأموات أخذوا أدوارهم ومضوا، أما هنا في مكتب المدير فسوف يكون وحيداً.

عند باب مكتب المدير حاول الفرار قبل أن يدخل، غير أن صوت أبيه وحده كفيل بتعطيل محاولته. تردّد وتباطأ، أمسك المراقب الذي رافقه بكتفه، ثم دفعه بيده الأخرى برفق حازم إلى داخل المكتب. دارت بصالح الأرض، ولم يتبيّن الوجوه؛ إذ خيّل إليه أنهم جميعهم يقبضون عليه ليحاكموه.

شعر بأنفاس أبيه تغطّي وجهه، أفلت عنوةً مسرعاً بقوة نزلت فجأة في أطرافه، فتح الباب، جرى وجرى، لم يلحقه أحد.

أفاق وهو في المصحة، إخوته والمدير يحيطون به، ويد أبيه تمسح رأسه، وأنه جاء إلى المدرسة ليشكره على ورقة سقطت من إطار صورة الجد الأكبر حين أصابها بالكرة كشفت عن الكذبة الكبرى التي غمس جده القريب أباه فيها طوال سبعين عاماً، هي عمر أبيه، وهي وثيقة تبنٍّ لطفل التقطه من قارعة طريق.

صالح لم يندهش كثيراً؛ إذ لم يكن من البدء يهتم بتاريخ أولئك الأجداد.. لكنه فسّر لماذا كان أبوه يحلق في سطور مطموسة في الكتاب العتيق خفيةً حين لا يقوى على قراءتها.





نايل ملا

فنون

أعماله تجمع بين أصالة التراث وعصرانية التقنيات الحديثة

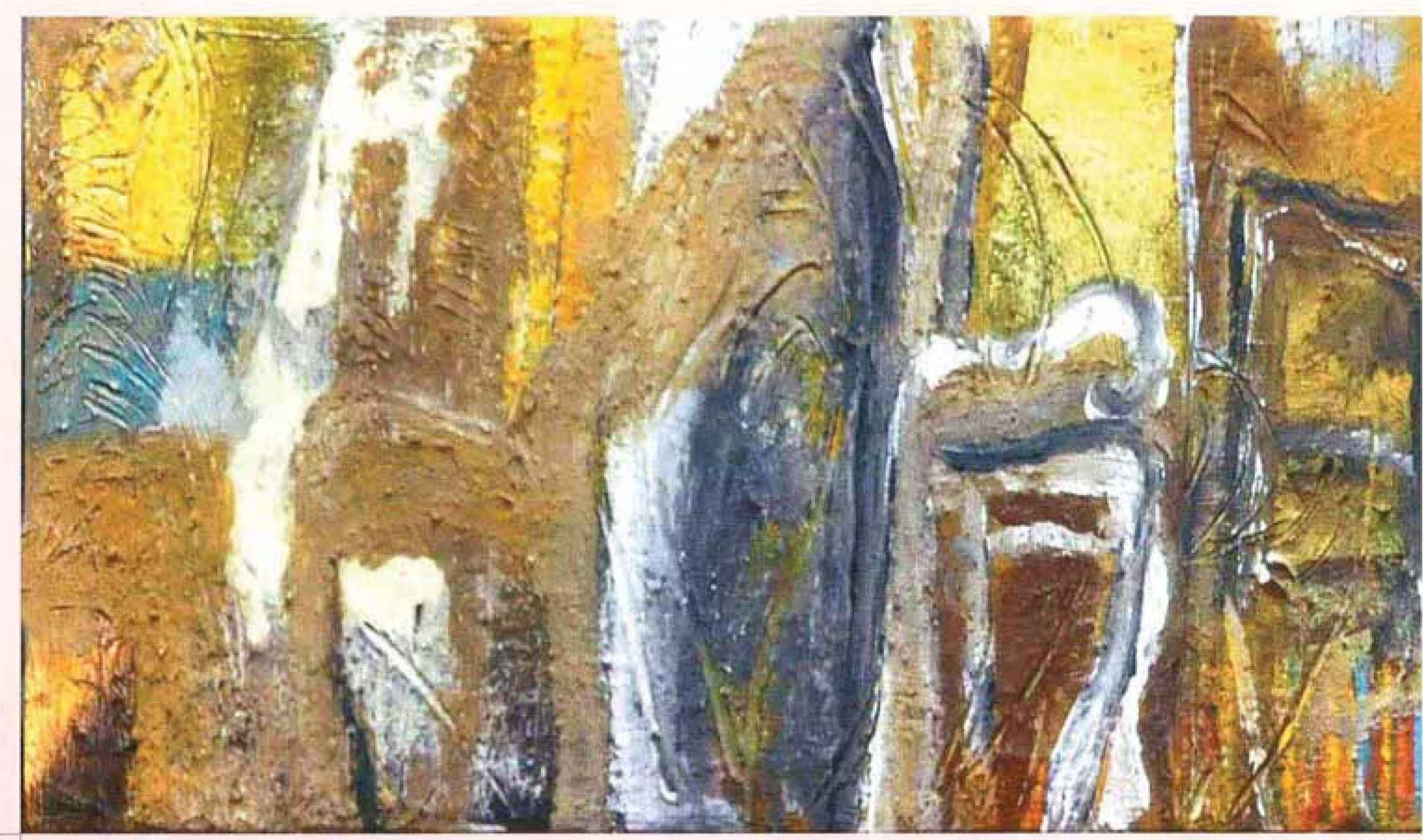
نايل.. أول من نادى بالمشاركة بالأعمال (المفاهيمية) محلياً، ويعدّ من أوائل التشكيليين السعوديين الذين مارسوا الفن (المفاهيمي). وأنت تبحر في نصوصه البصرية يتراقص أمامك كثير من علامات الاستفهام، وبخاصة في تجاربه التي عُرف بها مؤخراً، وتناولها عدد من النقاد بالبحث والتحليل؛ فعناصره تتوالد كأنها موتيفات زخرفية لا تنتهي بنهاية حدود إطار اللوحة، بل إنها تستطيل لتملأ المكان عزفاً مموسقاً ولحناً سرمدياً.

بدايات وأفكار

هو الفنان التشكيلي نايل ياسين ملا، المولود في مكة المكرمة عام ١٩٥٧م، فتعلّم في مدارسها، وتأثّر بناسها وأزقّتها ورواشنها، وبعد أن عرف أسرار اللون وتقنيات التشكيل رسم لها لوحات سرمدية آسرة.

لقد كان لدراسته المرحلتين الابتدائية والمتوسطة دور كبير

علي عبدالله مرزوق
خميس مشيط - السعودية



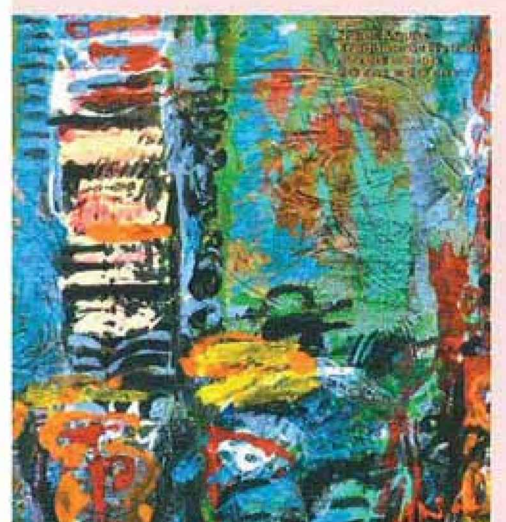
في تشجيعه على ممارسة التشكيل؛ فهو يتذكر جيداً الأستاذ محمد النجدي - معلّم التربية الفنية في المرحلة الابتدائية - وهو خطّاط ورسام مشهور في مكة آنذاك، وكان يدرّس مادة الرسم في مدرسة عبدالرحمن بن عوف الابتدائية بحارة أجياد — السد؛ إذ نبغ نايل في حصة الرسم إلى جانب نبوغه في بقية المواد. حينها لاحظ الأستاذ النجدي تفوّقه في الرسم، فعمل على الأخذ بيده وتشجيعه من خلال قيامه بالرسم على السبورة أمام الطلاب.

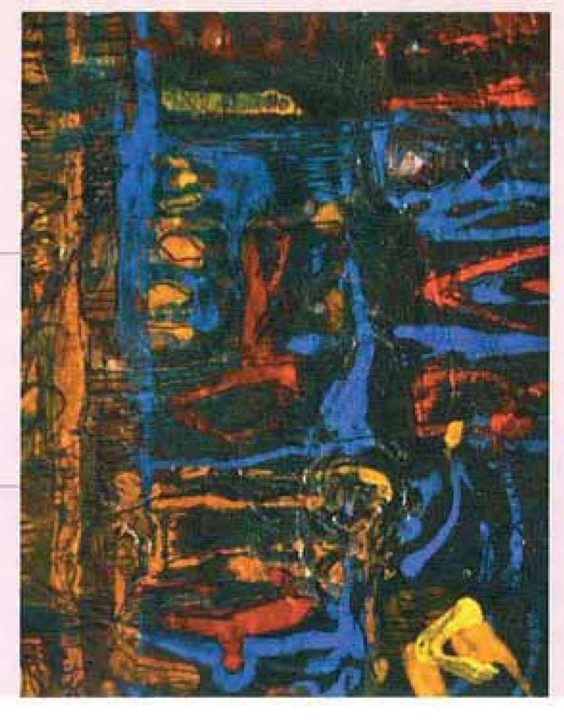
كان نايل يشارك في المعارض الفنية ضمن الأنشطة السنوية؛ مما أكسبه مهارةً في تنفيذ الأعمال الحرفية واليدوية، كما كان يتمتّع بمهارة تصميم الصحف الحائطية؛ إذ كان يستمتع بها، خصوصاً حين تنال إعجاب طلاب المدرسة.

تكرّر كلّ ذلك حين انتقل إلى مدرسة خالد بن الوليد المتوسطة، وعندها كان الأستاذ إبراهيم عبده الشمراني - مدرّس الرسم - يمارس الدور نفسه بالأخذ بموهبته وصقلها وتشجيعه. لكن هنا اختلف الأمر نوعاً ما حين بدأت لوحاته ورسوماته تشارك ضمن أنشطة منطقة مكة التعليمية، وليس حكراً على المدرسة كما كان الأمر في المرحلة الابتدائية، فحصل خلالها على عدة شهادات تقديرية لمشاركاته في تلك الأنشطة الفنية والاجتماعية.

كلّ ذلك كان له دافع وحافز كبيران عندما انتقل إلى الدراسة الثانوية في مدرسة الملك عبدالعزيز في حيّ العزيزية، فاتسعت مشاركاته، وكان يرسم لوحات كبيرة للألعاب الرياضية لتعليقها في صالة الألعاب الرياضية، وكان يشرف على النشاط الرياضي آنذاك الأستاذ عبدالوهاب صبان - رئيس نادي الوحدة سابقاً - بينما كان ينبهر من رسوماته الأستاذ صلاح الدجاني مدرّس الرسم. وكان نايل يشارك في نهاية المعرض الموسمي إلى جانب عدد من الأسماء التي برزت لاحقاً، ومن أبرزهم الفنانون: يوسف جاها، وإبراهيم بوقس، والدكتور







نايل هو أول من نادى بالمشاركة بالأعمال (المفاهيمية) محلياً، ويعدّ من أوائل التشكيليين السعوديين الذين مارسوا الفن (المفاهيمي)



أحمد فيرق، والدكتور فؤاد عزب، وعمر غسال، وغيرهم.

واستمرت هذه المشاركات والأنشطة خلال السنوات الثلاث التي قضاها في المرحلة الثانوية، وحصل خلالها على كثير من شهادات التقدير والجوائز من إدارة التعليم في مكة المكرمة.

كان طموح نايل أن يدرس الفن التشكيلي، وتصادف في سنة ١٣٩٤هـ، وهي سنة تخرّجه، أن كان هناك إعلان من وزارة الإعلام بابتعاث عدد من الخريجين إلى إيطاليا وفرنسا لدراسة الفنون الجميلة وهندسة الديكور، فقرّر الالتحاق بالبعثة، وحصل على الموافقة، إلا أن رفض والدته أوقف الموضوع، فامتثل لرغبة الأم الحنون، لكنه التحق مباشرةً بكلية التربية قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الملك عبدالعزيز - فرع مكة آنذاك، وأمضى عاماً كاملاً، إلا أن الدراسة لم تَرُقْ له، ففكّر في الالتحاق بالخطوط السعودية، ثم أكمل دراسته الجامعية بكلية الآداب - قسم الإعلام بجامعة الملك عبدالعزيز، وتخرّج فيها عام ١٩٨٠م مع أنه كان يدرس ويعمل في آنٍ واحد، ويمارس الفن التشكيلي أيضاً.

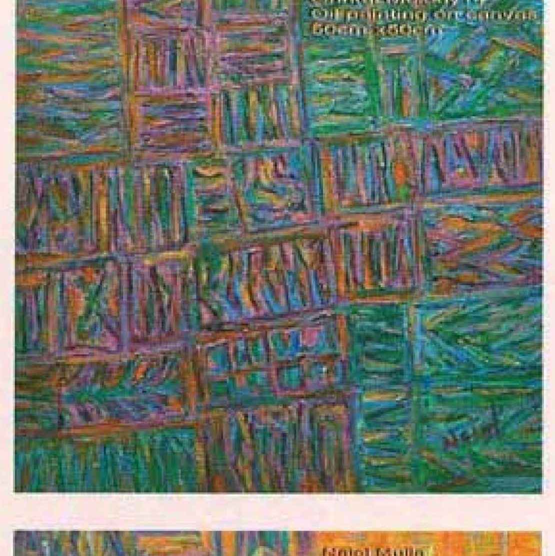
ثم بدأت مشاركات نايل من خلال جمعية الثقافة والفنون في جدة، والرئاسة العامة لرعاية الشباب في عام ١٩٨٢م، ثم توالت مشاركاته المتعددة في المعارض المحلية والخارجية.

لكن النقلة التي أحدثها الفنان نايل ملا، والتي تسجّل له، وكان لها دور وتأثير كبيران في تفعيل الوسط التشكيلي السعودي والخليجي، هي (مسابقة ملوّن السعودية)، التي صاغ أسسها، ووضع أنظمتها عندما حوّل فكرتها التي تعود إلى الأستاذ عبدالله الجهني - مساعد المدير العام للدعاية والإعلان آنذاك - ليعمل على بلورتها من قصاصة صغيرة إلى مسابقة كبرى استمرت سبع دورات منذ عام ١٩٩٢م؛ إذ عمل منسّقاً عاماً ومقرراً لها عدة دورات.

دورات ومهام

يرسم نايل ملا منذ أكثر من ٢٨ عاماً، ومع أنه لم يدرس الفن التشكيلي إلا أنه انخرط في كثير من الدورات والورش التشكيلية المتخصصة المحلية والدولية، التي صقلت موهبته، واستفاد من كثير من التقنيات والكيفيات المثلى للتعامل مع الألوان، وتوظيف المساحات والخطوط؛ ففي عام ١٩٨٣م التحق بـ(مركز دبلن للفنون) في أيرلندا، ثم ذهب إلى الأردن عام ١٩٩٦م لينخرط في دورة أساسية في فن الجرافيك (الحفر والطباعة) بدارة الفنون في عمان، ثم التحق بدورة مكثفة في فن الجرافيك بكلية الفنون الجميلة في جامعة كومبلوتينسي بمدريد عام ١٩٩٧م، ثم التحق بدورة مكثفة في فن الجرافيك من (المركز العالمي المعاصر للجرافيك) بجامعة سانتياجودي كومبوستيلا في إسبانيا عام ١٩٩٨م. أما في عام ٢٠٠٢م، فالتحق بدورة مكثفة في فن الجرافيك بمعهد إعداد القادة بالرئاسة العامة لرعاية الشباب في العاصمة الرياض، وساعد الفنان العالمي راشد دياب على إدارة تلك الدورة. كما أن زياراته المتابعة للبيناليات والمعارض المحلية والدولية زاد من ثقافته البصرية، فانعكس كلّ ذلك على إبداعاته وتجاربه المتعددة في فن الجرافيك والأعمال التشكيلية المسندية الأخرى. كما شارك في عدد من البيناليات بأعمال مفاهيمية؛ إذ يعدّ أول من

آخر تجارب نايل كانت (الكراسي)، وتتجلى فيها التلقائية، والقدرة الفائقة على التلخيص والتبسيط، وفق اتجاه مؤسلب يؤكد هويته وخصوصيته، ويميز إبداعاته



نادى بالمشاركة بالأعمال المفاهيمية، حتى فاز في الدورة التاسعة لبينالي القاهرة الدولي بجائزة (حتحور) عن عمله المفاهيمي (مجزرة أجيالنا الجديدة)، وهو أول فوز سعودي يسجّل على مدار دورات البينالي التي استمرت أربعة وعشرين عاماً.

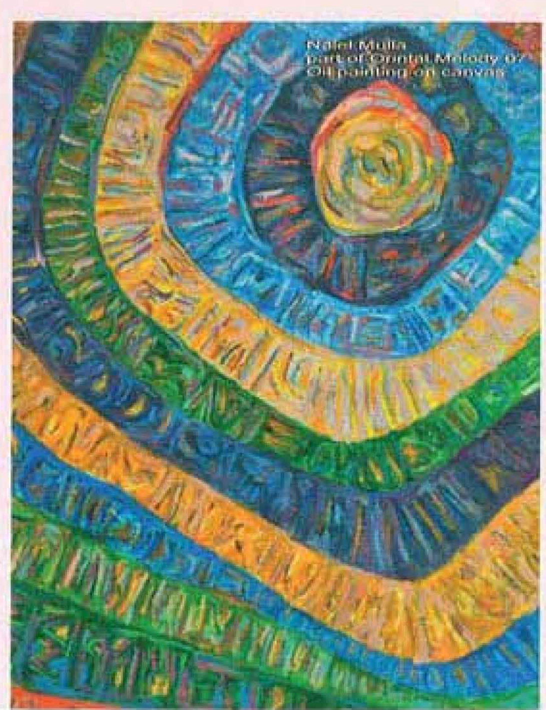
وعمل نايل ملا - إلى جانب كل أنشطته تلك - رئيساً للجنة الفنون التشكيلية في الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بجدة، كما أنه عضو في عدد من الجماعات التشكيلية؛ مثل: الجمعية السعودية للفنون التشكيلية، ورابطة الفنون التشكيلية الأردنية، وجمعية أصالة بالقاهرة، وبيت التشكيليين بجدة، الذي كان له دور كبير في الإسهام في تأسيسه وصياغة أنشطته ومنهجيته.

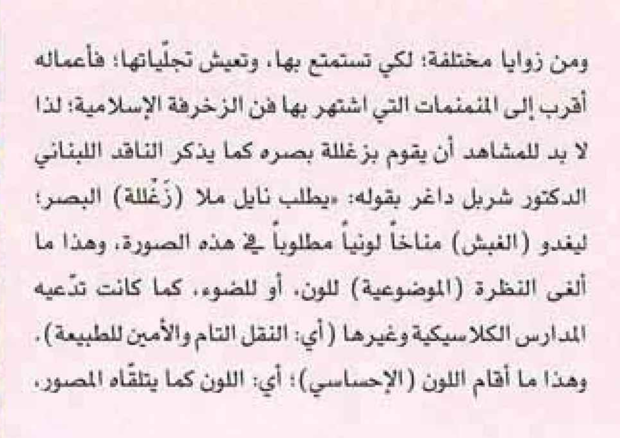


تحليل وقراءات

لا بد أن تنظر إلى نصوص نايل ملا التشكيلية من بعيد،

> جمع نايل ملا في مجموعته (أنغام شعبية) بين الأصالة والمعاصرة؛ أصالة تراث عريق جمع مساحات ممتدة من مناطق المملكة المختلفة، وعصرانية تقنيات حديثة





ومن زوايا مختلفة؛ لكي تستمتع بها، وتعيش تجلّياتها؛ فأعماله أقرب إلى المنمنمات التي اشتهر بها فن الزخرفة الإسلامية؛ لذا لا بد للمشاهد أن يقوم بزغللة بصره كما يذكر الناقد اللبناني الدكتور شربل داغر بقوله: «يطلب نايل ملا (زَغللة) البصر؛ ليغدو (الغبش) مناخاً لونياً مطلوباً في هذه الصورة، وهذا ما ألغى النظرة (الموضوعية) للون، أو للضوء، كما كانت تدّعيه المدارس الكلاسيكية وغيرها (أي: النقل التام والأمين للطبيعة). وهذا ما أقام اللون (الإحساسي)؛ أي: اللون كما يتلقّاه المصور،

وكما يتلقاه المشاهد كذلك. وهو انتقال من منظور إلى آخر في الفن، لم يكن بعيداً، بل مستفيداً من النظريات (الالتقاطية) (الجشتالتية) للمشاهد الخارجية».

لا نستطيع تصنيف أعمال نايل إلى مدرسة بعينها على الرغم من معالمها التجريدية الواضحة، وهذا الأمر جعل الناقد والمؤرخ السوري د. عفيف البهنسي يقول عنها: لقد دخل نايل ملا من باب اللاشعور إلى عالم رحب لا حدود له، وأراد مع ذلك أن يكون غائباً عن وعيه التشكيلي، وهنا يتبدى زخم اللاوعي الشكلي الذي يضخّه نايل من دون تخطيط مسبق. ويؤكّد الناقد العراقي كفاح الحبيب رموزه المتجاوزة البيئة العربية، بل نجدها تقف إلى جانبها دائماً.

إن المتابع أعمال نايل ملا يجد أن له مجموعةً من التجارب الغنية بالبحث والتجريب؛ إذ تعكس بداية تجربته (تقاسيم شرقية) بيئة الشرق عامةً وبيئة المملكة العربية السعودية خاصة،

كان لنايل ملا دور وتأثير كبيران في تفعيل الوسط التشكيلي السعودي والخليجي، من خلال (مسابقة ملوّن السعودية)، التي صاغ أسسها، ووضع أنظمتها



وقد نال من خلال هذه الأعمال عدداً من الجوائز المحلية والدولية؛ منها: جائزة السفير عام ٢٠٠١م، وجائزة المفتاحة عام ٢٠٠١م، والجائزة الشرفية من بينالي طهران الدولي الثالث عام ٢٠٠٥م.

يقول داغر عن هذه التجربة: إنها مملوءة بتشكيلات متعددة لوحدة المربع، يقوم عليها بناء كل لوحة بمفردها، وإن أخفى الفنان معالم المربعات الداخلية أحياناً بضربات ريشته المشغوفة باللون. ويضيف داغر: إن المربع وحدة للبناء، يقوم بنفسه، ويشترك مع غيره، وهو الشكل الذي له حمولات وعلامات أشكال عالية الدلالة، ابتداءً من الكعبة المشرفة في مكة المكرمة إلى التشكيلات الساحرة والأخّاذة لـ(المربع السحري) وغيرها كثير مما لا حاجة إلى عرضه.

يطلب الفنان المربع نواةً للعمارة التشكيلية، وشكلاً بنائياً لها: هكذا تنتظم اللوحة المربعة الحدود في مربعات داخلية، مرسومة بضربة الريشة لا بمسطرة الهندسة الدقيقة. مربعات داخلية لا تلبث أن يختفي بعضها في بعض، أو تتجاور كما في رفوف مكتبة، أو في تضاعيف جملة نحوية، ومربعات تحتجب خلف غيرها أو خلف معالجات لونية تطمسها من دون أن تبددها تماماً.

أما الدكتور راشد دياب، فيقول عن نايل ملا: إنه يعدّ من الفنانين العصاميين المتميزين بالمثابرة والصبر طوال مراحل حياتهم الفنية، وهو فنان مجرّب في الخامة، واللوحة عنده حدث لوجود مستلهم من معاني كثيرة؛ أي: مبنية على حالة الاستكشاف المستمرة وماهية العمل الفني، وسخر كلّ إمكانياته والنذر اليسير من بقايا عمله الوظيفي من الوقت لهذا الفن.

ويضيف دياب: إن نايل ملا أخذ على عاتقه البحث عن عوالم جديدة تستدعي الانتباه، وهي في حقيقة الأمر تشعّبات من مصادر ملهمة من حصاد تجربة طويلة اكتظّت بالأفكار والرؤى التي يعمل على إخراجها دائماً في شكل مجموعات، كل مجموعة تحمل مضموناً يحتوي على عناصر تشكيلية وتقنيات متجددة بينها رابط من الحيوية كإشارة بعيدة لاستمرارية أزلية من أصل الموهبة والقدرة على التعبير.

أصالة ومعاصرة

جمع نايل ملا، في مجموعته (أنغام شعبية)، بين الأصالة







والمعاصرة؛ أصالة تراث عريق جمع مساحات ممتدة من مناطق المملكة المختلفة، وعصرانية تقنيات حديثة، فمن عسير جنوباً وما تمتاز به من موتيفات زخرفية فريدة مرتبطة بمصنوعاتها وعمارتها التقليدية، ومن المنطقة الشرقية وما تتميز به من مصنوعات تقليدية ارتبطت بأعمال الخوص، إلى منطقة مكة المكرمة غرباً بناسها وأزقتها وبيوتاتها التقليدية وما تمتاز به من رواشن، إلى مناطق أخرى، وهكذا.

هذا المزيج من الموروث السعودي كان له حضور قويّ في واحدة من أهم محطاته التشكيلية، صاغها وفق



الفن في أروقة الخطوط السعودية

أدخل نايل ملا الفن التشكيلي في أروقة الخطوط الجوية العربية السعودية عام ١٩٨٧م من خلال كثير من الفعاليات التشكيلية، منها: تكوين أول جماعة تشكيلية من منسوبي الخطوط السعودية، **وتنظيم أول معرض تشكيلي لجماعة منسوبي الخطوط السعودية في مدينة الطائف عام ١٩٨٨م، وإصدار أول تقويم للخطوط** السعودية يتضمن لوحات فنية بأيدٍ سعودية عام ١٩٨٨م بعد **أن كانت تصمّم وترسم بأيدٍ أجنبية، وأسّس مرسماً لمواهب الفن التشكيلي من أبناء منسوبي الخطوط السعودية بنادي المؤسسة**

رؤية متفردة بأسلوب يجمع بين التلقائية والمدرسية المعمقة، فجاءت نصوصه صادقة بعيدة من القيود، ونابعة من جذور أصيلة؛ فالرموز والإشارات التي يستحضرها نايل من بيئته في نصوصه التشكيلية نابعة مما اختزله في عقله الباطن من خلال زياراته المتكررة كثيراً من مناطق المملكة ومدنها، وهذا الأمر جعله على اطّلاع واسع بهذه التعددية الثقافية، فاستطاع بذلك أن يرسم ما يعرفه عن هذا التراث لا ما يراه، مبتعداً بذلك من النقل الباهت الذي يعتمد على محاكاة الواقع من دون دراسته ومعرفة أسراره؛ فالتشكيلي يشبه ساق الشجرة كما يقول الفنان بول كلي (١٨٧٩-١٩٤٠م)؛ فكما تمتصّ السوق من جذور الأشجار عصارات تتحول إلى ثمار تختلف عن الجذور كذلك الفنان التشكيلي يقوم بتحويل عناصر بيئته من حوله إلى أشكال جديدة.

المتابع تجربة نايل هذه، وأقصد تجربة (أنغام شعبية)، يلحظ الحركة التي تؤكد الإيقاع الموسق الذي يشبه - إلى حد بعيد - إيقاع الرقصات الشعبية بآلاتها التقليدية؛ مما جعلها تختلف عن إيقاعات (تقاسيم شرقية)، وهذا الأمر يؤكد مدى استلهام الموروث المعمق لدى نايل ودراسته. واستمعوا إلى الناقد يوسف أبو العز متحدثاً عن هذه التجربة؛ إذ يقول: الحركة اللافتة في أعمال نايل، وطبيعة ألوانها الصارخة/ المتناغمة المستوحاة - على الأغلب - من التراث الشعبي بتنوعه وصخبه وهويته (الشعبية)، يتراءى لي كرقص غجري، وهو من ثَمّ أعلى درجات الفن الشعبي حيويةً وانفعالاً، يتعالى إيقاعه بتيمات التكرار الطويلة، المتشابهة في كل مرة، المختلفة/ المتجددة في كل مرة، شأنها شأن الملابس الشعبية/ التراثية المتشابهة في الهوية/ الجديدة المدهشة دائماً، وشأن طبيعة النفوس (الشعبية) الودود الطيبة دائماً، الحادة المزاج، النزقة في أحايين أخرى. وكذا الطقوس التي من شأنها أن تشعل النار في الأجساد الراقصة كما في صدور المتلقين؛ لتثير الشجا والحنين. إلى أن يقول: يبدو لي أن (نايل) كان يرسم هذه المجموعة من الأعمال الزيتية بانفعال مثقل بثقافته التشكيلية، يركض ليقبض على فكرة التكوين التجريدي، مستخدماً الألوان القزحية (نسبةً إلى ألوان قوس قزح) غير مترفع عن الأسود، ولا متجاهل للأبيض، تتصاعد ريشته إلى الأعلى في أحيان كثيرة بحركة حلزونية لتبعث النشوة، كما في رقصة الفلامنكو ذات النزعة الصعودية؛ لتنتهي بالإشارة إلى أنها لا تنتهي عند الحد الذي وصلت إليه؛ تعبيراً عن اللانهائية، مستعيراً هذه (الثيمات) ربما من الحركات الكامنة في رسومات الفنانين الإسلاميين: كالفردوسي، والحريري، وإسحق النيسابوري، وغيرهم، معالجاً إياها بأسلوب معاصر، وتنزل في أحايين أخرى إلى أسفل بحنين إلى الأرض التي نادتها بصوت الجاذبية.

أما آخر تجارب نايل، فكانت (الكراسي)، وتتجلى فيها التلقائية، والقدرة الفائقة على التلخيص والتبسيط، وفق اتجاه مؤسلب يؤكد هويته وخصوصيته، ويميز إبداعاته.

مشاركات وجوائز

شارك نايل ملا في أكثر من مئة وخمسين معرضاً جماعياً ومسابقات ومناسبات تشكيلية محلية منذ عام ١٩٨٢م، أهمها: معظم المعارض والمسابقات التابعة للرئاسة العامة لرعاية الشباب، ووزارة الثقافة والإعلام، والجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، وبعض الجهات والمؤسسات الراعية للفن التشكيلي، وقاعات الفنون التشكيلية المحلية والعربية، وشارك في عدد كبير من المعارض الدولية التي نظّمتها المملكة العربية السعودية في كلّ من: مصر، وإسبانيا، وإيطاليا،

في جدة، وتمّ طباعة إنتاجهم الفني في هيئة تقاويم وبطاقات تهنئة عام ١٩٩٠م. كما أقام معرضاً لإبداعاتهم في معرض عالم الطفل الدولي بمركز جدة للمعارض الدولية عام ١٩٩١م.

ولعل فكرة تنظيم أول رحلة جماعية تعريفية لزيارة متاحف باريس ومعالمها، التي نظّمتها الخطوط السعودية لعدد من الفنانين السعوديين عام ١٩٩٥م، تعود إلى فناننا نايل ملا. كما أشرف على برنامج الخطوط السعودية لتنمية المواهب التشكيلية بقرية المفتاحة التشكيلية في أبها عام ١٩٩٨م.

ورومانيا، والتشيك، وأمريكا، والنمسا، وتونس، ولبنان، وفرنسا، وبنجلاديش، والإمارات، والكويت، وقطر، وعمان، والبحرين. كما شارك في عدد من البيناليات والمعارض وورش العمل الدولية، ومثّل المملكة العربية السعودية رسمياً في المحافل الدولية التشكيلية، وأهمها: بينالي الشارقة الدولي الثالث (١٩٩٥م)، وبينالي آسيا الدولي الثامن في بنجلاديش (١٩٩٧م)، وترينالي مصر الدولي الثالث للجرافيك (١٩٩٩م)، وبينالي القاهرة الدولي التاسع (٢٠٠٣م).

وحصد نايل - نتيجةً حتمية لهذه المشاركات المحلية والدولية - كثيراً من الجوائز المحلية والدولية؛ منها: جائزة معرض مكافحة المخدرات الذي نظّمته صحيفة (الرياضية) برعاية الراحل فيصل بن فهد، وجائزتين بمسابقة جداريات مشروع البيوتات في جدة، ودرع بينالي آسيا الدولي الثامن، وميدالية تكريمية من ترينالي القاهرة الدولي الثالث للجرافيك، والجائزة الخامسة في مسابقة ملون السعودية، والجائزة الكبرى في مسابقة المفتاحة التشكيلية بأبها، والجائزة الثانية في مسابقة (السفير) الأولى التي نظّمتها وزارة الخارجية السعودية، وجائزة المتحف السعودي للفن المعاصر، وجائزة العمل الإبداعي المتميز (حتحور) في بينالي القاهرة الدولي التاسع، والجائزة الثانية لأفضل تصميم مجسّم لمسابقة المسكن السعودي الحديث الذي نظّمته الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، والجائزة الشرفية من بينالي طهران الدولي للفنون الإسلامية. كما أنه يعدّ من أوائل التشكيليين الذين مارسوا الفن (المفاهيمي)، فحصدت أعماله جائزة بينالي القاهرة الثامن.

إسهامات ومقتنيات

نظّم نايل عدداً من المهرجانات والفعاليات التشكيلية المختلفة؛ منها: المعرض الخيري لمصلحة مسلمي البوسنة والهرسك في بيت التشكيليين عام ١٩٩٦م، والمعرض الخيري لمصلحة الفنان الباكستاني الراحل أرشد كمال في قاعة روشان

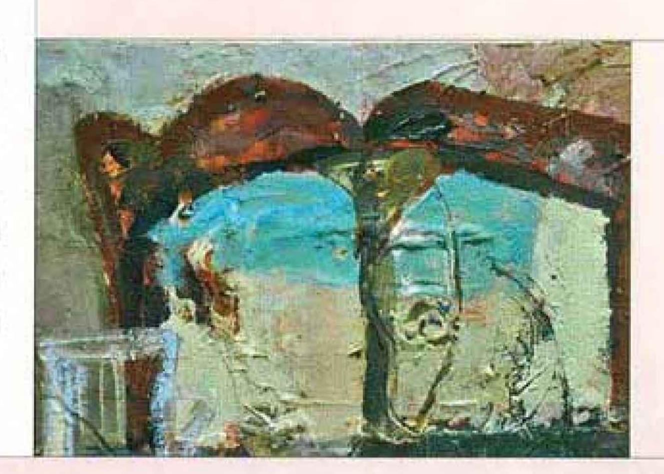


المتابع أعمال نايل ملا يجد أن له مجموعةً من التجارب الغنية بالبحث والتجريب؛ إذ تعكس بداية تجربته (تقاسيم شرقية) بيئة الشرق عامةً وبيئة المملكة العربية السعودية خاصة

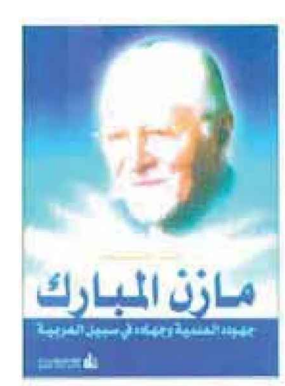
عام ١٩٩٨م، والمعرض الخيري لمصلحة مسلمي كوسوفو في بيت التشكيليين عام ١٩٩٩م، والمعرض الخيري لمصلحة مسلمي الشيشان في قاعة روشان عام ٢٠٠٠م، والمعرض الخيري لمصلحة الانتفاضة الفلسطينية في بيت التشكيليين عام ٢٠٠٠م، ومعرض جماليات الخط العربي في جمعية الثقافة والفنون بجدة عام ٢٠٠٠م، ومعرض ٣×٣ في جمعية الثقافة والفنون بجدة عام ٢٠٠٠م. كما أسهم في تأسيس أول جماعة للخط العربي بالسعودية (جماعة الخط العربي السعودية) عام ٢٠٠٠م، وهو صاحب فكرة إصدار أول نشرة تشكيلية بالمملكة العربية السعودية (تشاكيل) عام ٢٠٠٢م، وأسهم في تدريب منتسبي دورة الجرافيك بمعهد إعداد القادة بالرياض بإشراف الفنان راشد دياب عام ٢٠٠٢م، وهو صاحب فكرة وتنظيم أول معرض للأعمال الفنية الصغيرة بالمملكة عام ٢٠٠٣م، وصاحب فكرة وتنظيم (المهرجان العربي للأعمال الفنية العربية) عام ٢٠٠٨م، ويعدّ الأول من نوعه الذي يقام على مستوى العالم العربي، وجاء بتنظيم من جاليري روشان، وأقيم تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل - أمير منطقة مكة المكرمة - وبمشاركة أكثر من ٣٠٠ مشارك ومشاركة من مختلف أنحاء العالم العربي قدموا فيه أكثر من ١٥٠٠ عمل فني بمختلف الأساليب والتقنيات. كما نظّم نايل جناحاً باسم (نايل آرت) بمعرض (ديكوفير) للديكور بمركز الحارثي في جدة عام ٢٠٠٩م، وآخر في معرض (فيرنديكس) للمفروشات والديكور في المركز نفسه عام ٢٠١٠م، ونظّم على مستوى الشباب أكبر مسابقتين للشباب في (فن الجداريات) و(فن الكولاج) بالتعاون مع الشركة العربية للفعاليات والمشروعات بمركز رد سي مول في جدة عام ٢٠١٠م. كما نظّم عدداً من المعارض الشخصية لفنانين عرب من خلال (روشان جاليري)، هم: راشد دياب، وفاتح المدرس، وعبداللطيف الصمودي، وجمال عبدالرحيم، ورافع الناصري، وعمر حمدي (مالفا)، ومحمد عمر خليل، ووجيه نحلة. ودعم عدداً من الأسماء الشابة والواعدة بتنظيم معارض شخصية لها، ومشاركتها في المعارض والبيناليات الدولية، وله أنشطة صحفية متنوعة ومكثفة من التغطيات الإخبارية واللقاءات والمقالات بالصحف والمجلات السعودية (الرياض، والجزيرة، وعكاظ، والمدينة، والندوة، والبلاد، ومجلة اقرأ، ومجلة عالم السعودية)، كما أنه صمّم وأخرج عدداً من المطبوعات والنشرات والكتيبات التشكيلية، وأغلفة الكتب، أهمها تصميم وإخراج وتنفيذ كتاب: قصة التوسعة الكبرى للحرمين الشريفين في عهد خادم الحرمين الشريفين (٥٧٠ صفحة من الحجم الكبير)، الذي طبعته مجموعة ابن لادن.

أعمال نايل المقتناة

تقتني أعمال نايل ملا عدة جهات؛ منها: مطار الملك خالد الدولي بالرياض، ومطار الملك فهد الدولي بالدمام، وجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، ومشروع البيوتات بجدة، وأمانة مدينة جدة، وأرامكو السعودية، والخطوط الجوية العربية السعودية، ومتحف عبدالرؤوف خليل، ومؤسسة المنصورية للثقافة والإبداع، ودارة الفنون بالأردن، ومتحف الجرافيك العالمي بمصر، وجامعة كومبلوتينسي (مدريد/ إسبانيا)، والمركز العالمي المعاصر لفن الجرافيك (بيتانثوس/ إسبانيا)، ومتحف الفن السعودي الحديث بالرياض.



مازن المبارك في كتاب

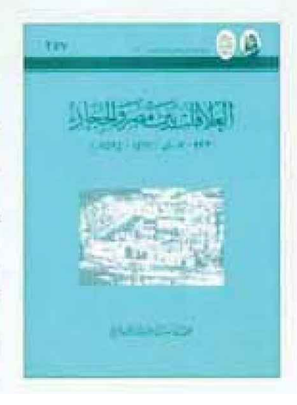


صدر عن دار الفكر في دمشق ضمن سلسلة (آفاق معرفة متجددة) كتاب للدكتور أحمد محمد قدور بعنوان: (مازن المبارك: جهوده العلمية، وجهاده في سبيل العربية). ويقع الكتاب في ١٥٧ صفحة، ويتضمن إلى جانب سيرة الدكتور مازن المبارك، وهو أحد أعلام العربية في الشام، دراسةً موضوعيةً جادةً لكتبه التي أصدرها على مدى نصف قرن حافل من حياته العلمية في جامعة دمشق خاصةً، وفي عدد من الجامعات العربية. وتكشف الدراسة عن جانب من التاريخ العلمي في دمشق منذ خمسينيات القرن العشرين.

ويحتوي الكتاب على مقدمة وفصلين كبيرين. يتضمّن الفصل الأول لمحات من حياة الدكتور مازن المبارك. تناول فيها المؤلف: ولادته، وبيئته، ودراسته ومراحلها، وشيوخه في الشام ومصر، وأعماله الوظيفية، وحياته الاجتماعية، ووعيه اللغوي، وتكريمه بأنشطة مختلفة. منها ما جاء في ملحق الأسبوع الأدبي. وكتاب (مازن المبارك: بحوث مهداة إليه بمناسبة بلوغه السبعين)، وندوة النحو والصرف. وتناول الفصل الثاني تعريفاً بآثار المبارك، بدءاً بالكتب المؤلفة التي يبلغ عددها ١٨ كتاباً، والكتب المحققة التي تبلغ تسعة كتب، والمقالات والمشاركات الأخرى. وتطرق المؤلف أيضاً إلى حفل استقبال الدكتور مازن المبارك عضواً في مجمع اللغة العربية، الذي اشتمل على كلمات الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية، والدكتور محمود السيد، والدكتور مازن المبارك.

وأشار المؤلف في خاتمة الكتاب إلى أهمية التراجم، وكيف فطنت إليها أجيال الأمة؛ إذ ظهر جمّ غفير من تراجم اللغويين، والأدباء، والكتّاب، والشعراء، وعلماء الكلام، وشيوخ الفِرَق الفكرية والدينية، والفقهاء، والمحدثين، والفلاسفة، وأهل المنطق، وأصحاب الصنائع كالمهندسين والكيميائيين، ونحوهم. كما أشار إلى أن الدكتور مازن أمضى نصف قرن من حياته المديدة في خدمة العلم معلّماً وكاتباً ومحاضراً في الناس، ومؤلفاً ومجاهداً في سبيل العربية وقيمه الروحية السامية.

العلاقات بين مصر والحجاز



صدر عن دارة الملك عبدالعزيز كتاب لحساء بنت حبيش الدوسري بعنوان: العلاقات بين مصر والحجاز (٩٢٣-١٠٠٣هـ/ ١٥١٧-١٥٩٤م)، يقع في ٦٣٢ صفحة من القطع الكبير، وهو من سلسلة الرسائل الجامعية.

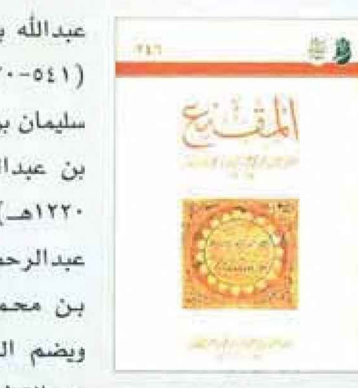
ويتناول الكتاب علاقة الحجاز ومصر في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، ويوضّح ما اتخذته الدولة العثمانية من إجراءات في البحر الأحمر كانت لها انعكاسات على الأقاليم المحيطة به. ويدرس العلاقات التجارية بين مصر والحجاز. كما

بيّن العوامل التي نمّت الحركة التجارية بينهما، والسلع المتبادلة، والموانئ التي شهدت هذا التبادل الاقتصادي. ويلقي الكتاب الضوء على موكب الحج المصري، ويذكر آثاره في كل من مصر والحجاز، كما يتطرق إلى العلاقات الثقافية والاجتماعية بين هذين الإقليمين.

ويحتوي الكتاب على أربعة فصول، في كلّ فصل منها عدد من المباحث تدور كلّها حول ما سبق أن أشرنا إليه، فيتناول الفصل الأول في مباحثه الخمسة العلاقات التجارية بين مصر والحجاز: نموها، والسلع المتبادلة بصادراتها ووارداتها، والموانئ في البلدين، إضافةً إلى التجارة البرية، ونظم التعامل بين التجار. أما الفصل الثاني، ففيه سبعة مباحث تناولت: موكب الحج المصري وآثاره في الحجاز، من خروجه، والأعراب الذين يلتقي بهم، وتأمينه بصرف الأموال عليهم وعلى خفارتهم، والتزويد بالمؤنة، وتهيئة الآبار للشرب، وغيرها. أما في المباحث الأربعة المتبقية، فيتناول المؤلف وصول الموكب، والإيرادات، وعلاقة أمراء الحج المصري بأشراف مكة، والأثر الذي يعود على الطرفين المصري والحجازي. ويتناول الفصل الثالث المخصّصات العثمانية للحجاز في مباحثه الثلاثة: مخصّصات الدولة وأنواعها، وأوقاف السلاطين والولاة، وإدارة الأوقاف بهيئاتها وموظفيها. أما الفصل الرابع ففيه مبحثان يتناولان العلاقات الثقافية والاجتماعية بين مصر والحجاز. ويتضمّن الكتاب خاتمةً، وملحقات للوثائق والجداول والصور، إضافةً إلى المصادر والمراجع والكشاف العام.

المقنع لابن قدامة في ثوب جديد

صدر عن دارة الملك عبدالعزيز في الرياض سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م كتاب المقنع لموفّق الدين أبي محمد عبدالله بن محمد بن قدامة (٥٤١-٦٢٠هـ)، بخطّ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (كتبها سنة ١٢٢٠هـ)، ودراسة أيمن بن عبدالرحمن الحنيحن، وسعد بن محمد آل عبداللطيف. ويضم الكتاب ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير.



ويتضمّن الكتاب مقدمةً، وشجرةً لنسب ابن قدامة المقدسي، وآل قدامة، وترجمةً للموفّق بن قدامة، وتعريفاً بكتاب المقنع، وشجرة الأعمال العلمية التي قامت عليه، إضافةً إلى ترجمة الشيخ سليمان بن عبدالله - ناسخ الكتاب - ونسبه، وذرّية الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ووصف نسخة المقنع لابن قدامة بخط الشيخ سليمان بن عبدالله، وصفحة العنوان، وكل ما سبق يصل إلى ٩٠ صفحة.

وتبلغ صفحات المخطوط المصوّرة ٣٨٠ صفحة، ويحتوي على أربعة وثلاثين جزءاً، كل منها أخذ اسم الكتاب على طريقة التصنيف القديمة. ويحتوي كل كتاب على عدد من الأبواب والفصول. والكتب هي: الطهارة، والصلاة، والجنائز، والزكاة، والصيام، والاعتكاف، والمناسك، والجهاد، والبيع، والحجر، والشركة، والعارية، والغصب، والوقف، والفرائض، والنكاح، والصداق، والخلع، والطلاق، والرجعة، والإيلاء، والظهار، واللعان، والعدد، والرضاع، والنفقات، والديات، والحدود، والأطعمة، والصيد، والأيمان، والقضاء، والشهادات، والإقرار. ويتناول المؤلف الأبواب والفصول تفصيلاً لموضوعات كلّ كتاب من تلك الكتب؛ كأن يتناول مثلاً في كتاب الطهارة باب المياه، وفصل فيه عن الماء الطاهر غير المطهّر، وباب الآنية والاستنجاء، وهكذا.

ويعدّ هذا الكتاب المتضمن المخطوط المصوّر من نفائس تراث الدولة السعودية الأولى؛ لقيمته العلمية، وجمال خطّه، وجودة زخارفه. ويتضمّن الكتاب في نهايته ثبتاً بالمصادر والمراجع، إضافةً إلى إصدارات دارة الملك عبدالعزيز التي تبلغ بهذا الإصدار ٢٤٦ كتاباً.



حوار

أستاذ العلوم السياسية جريجوري جوز:

الديمقراطية ليست الحل

أجرى الحوار: حسين حسن حسين
هيئة التحرير

منذ أشهر كان الحوار مع البروفيسور جريجوري جوز - أستاذ العلوم السياسية بجامعة فيرمونت الأمريكية - الذي تطرّق إلى قضايا ساخنة تتعلق بأوضاع المنطقة، والعلاقات العربية الأمريكية، ورؤية إدارة أوباما للشرق الأوسط عامةً، والدول العربية خاصةً. ومع ما قد يبدو من تغيّرات في الساحة السياسية العربية وسخونة الأحداث إلا أن الحوار يفصح عن رؤية أمريكية لا يمكن أن يعرف أسرارها، ويفكّ طلاسمها، إلا منتمٍ إلى البيئة ذاتها، ولديه إلى جانب ذلك أدوات التحليل والتفسير.

• ما الذي دفعك إلى الاهتمام بالعالم العربي؟

- عندما كنتُ في الكلية كان الشرق الأوسط من أنشط المناطق في العالم: فكانت هناك الثورة الإيرانية، والطفرة النفطية،

ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل. وكان لأحداث الشرق الأوسط تأثير كبير في الولايات المتحدة الأمريكية، خصوصاً أسعار النفط وما شهدته من ارتفاع كبير: فكانت هناك طوابير تصطف في محطات التزوّد بالنفط، لذلك كنت أرى أن هذه المنطقة مهمة ومثيرة جداً بالنسبة إلى المصالح الأمريكية؛ لذا كان تركيزي في الدكتوراه في هذه المنطقة، فدرست اللغة العربية، وتاريخ المنطقة.

• ماذا عن تجربتك في تعلم اللغة العربية؟

– كنت طالباً في الجامعة الأمريكية في العام الدراسي ١٩٨٢/ ١٩٨٣م، وكنت في برنامج خاصّ لتعلّم اللغة العربية، وقد أعجبتني القاهرة.

• قلت: أنا أيضاً أحبها.

– ردّ ضاحكاً: طبعاً أم الدنيا. ثم واصل: بعد الدراسة في القاهرة عدتُ إلى أمريكا، والتحقت ببرنامج صيفي مكثّف لتعلّم اللغة العربية في كلية اسمها ميدل بيري في ولاية فيرمونت، وهي مشهورة ببرامجها الصيفية لتعلّم مختلف اللغات، وكنت في السنة الثانية لدراسة اللغة العربية، وحصلت من خلال خبرتي في القاهرة ثم دراستي هذه على مستوى يؤهّلني للبحث العلمي باستخدام اللغة العربية.

• ولماذا لا تغلب عليك اللكنة المصرية؟

– قال ساخراً: أمل إيه (عامل إيه)؟.. إزيك، وأضاف: ركّزت في دراستي في الفصحى، ولغتي خليط من الفصحى واللهجة المصرية واللهجة الشامية؛ فقد كان كثير من مدرّسي في اللغة العربية في أمريكا من بلاد الشام؛ لذا لغتي غريبة إلى حدّ ما. وعندما كنت أدرس الدكتوراه عملت بحثاً في اليمن، وقابلت الشيخ عبدالله الأحمر – رحمه الله – فسألته سؤالاً بالعربية، فقال لي: أنت تتكلم اللغة العربية الخواجية؟ فقلت له ضاحكاً: طبعاً يا شيخ، أنا خواجة، لذا عندي اللغة العربية الخواجية.

• مع حرارة الأجواء في ذلك الزمان، كيف وجدت الفارق بين صورة العرب عبر الإعلام وصورتهم الحقيقية عندما تعاملت معهم مباشرة؟

– في كل وسائل الإعلام توجد صورة للآخرين يتم تبسيطها، لكن عندما تعايش مجتمعاً ما فإنك تجد شيئاً مغايراً، فليس من الممكن القول: إن العرب كلهم فقراء، أو أن تصوّراتهم وطرائق تفكيرهم واحدة، أو أن لدول الخليج نمطاً واحداً من التفكير؛ فهناك تعددية لا تلمسها إلا بالمعايشة.

• ما الفكرة التي كنت تحملها عن العرب قبل التعامل معهم؟

– لم تكن عندي فكرة جامدة أو محددة عن العرب قبل خبرتي في القاهرة؛ فعائلتي ليست لها أيّ علاقة بالشرق الأوسط، ولم أزُر المنطقة قبل دراستي الدكتوراه، وبالمقارنة لم تكن لديّ أيّ فكرة عن المنطقة في أيّ مرحلة، سواء أكانت صحيحة أم خاطئة.

• من آرائك أن تغيير الأنظمة وقضية الديمقراطية يؤثران سلباً في العملية السلمية.. كيف هذا؟

– ليس هناك حلّ كامل للقضية العربية الإسرائيلية؛ فالشعب العربي لن يقبل العلاقات العادية، أو الاعتراف بإسرائيل، على الرغم من وجود اتفاقية بين مصر وإسرائيل، وبين الأردن وإسرائيل، والدولتان المصرية والأردنية تحرصان على الاتفاقيتين وتطبيقاتهما، لكن الشعبين المصري والأردني لا يقبلان فكرة التطبيع من دون حلّ القضية الفلسطينية؛ فلو كانت هناك ديمقراطية حقيقية في مصر أو الأردن لكانت هناك حكومتان تمثّلان شعور الشعب في كلتيهما، وهذا الشعور ضد التطبيع مع إسرائيل؛ لذا رأيي أن الديمقراطية لن تحمل حلاً للقضية.

إدارة جورج دبليو بوش أيدت انتشار الديمقراطية بعد أحداث سبتمبر حتى فوز حماس في الانتخابات الفلسطينية



الأمير تركي الفيصل يتابع محاضرة البروفيسور جريجوري في مركز الملك فيصل

• ماذا عن سورية؟

- أعتقد أن الحكومة السورية كانت مستعدة للسلام مع إسرائيل في عام ٢٠٠٠م من خلال المباحثات بين سورية وإسرائيل وأمريكا في واشنطن. ويبدو لي أن سورية كانت مستعدة للسلام مع إسرائيل حتى لو كانت القضية لا تزال مفتوحة؛ لذا فهناك فارق كبير بين الدول الثلاث، لكن الحكومة الإسرائيلية لم تكن مستعدةً للسلام مع سورية.

• يبدو الموقف السوري الآن متشدداً؟

- التشدد من ناحية الموقف التفاوضي، لكن الرئيس السوري بشار الأسد دخل في مفاوضات مع إسرائيل من خلال الوسيط التركي في عامي ٢٠٠٧ و٢٠٠٨م حتى الحرب على غزة، لذلك فإنني أرى أن الحكومة السورية لا ترفض مبدأ السلام مع إسرائيل، لكنها تلعب لعبة توازن القوة: حلفها مع إيران، ودورها في لبنان. لذا، فإن موقفها المتشدد جزء من المساومة.

• كثير من الديمقراطية لا يعني قليلاً من الإرهاب.. كيف؟

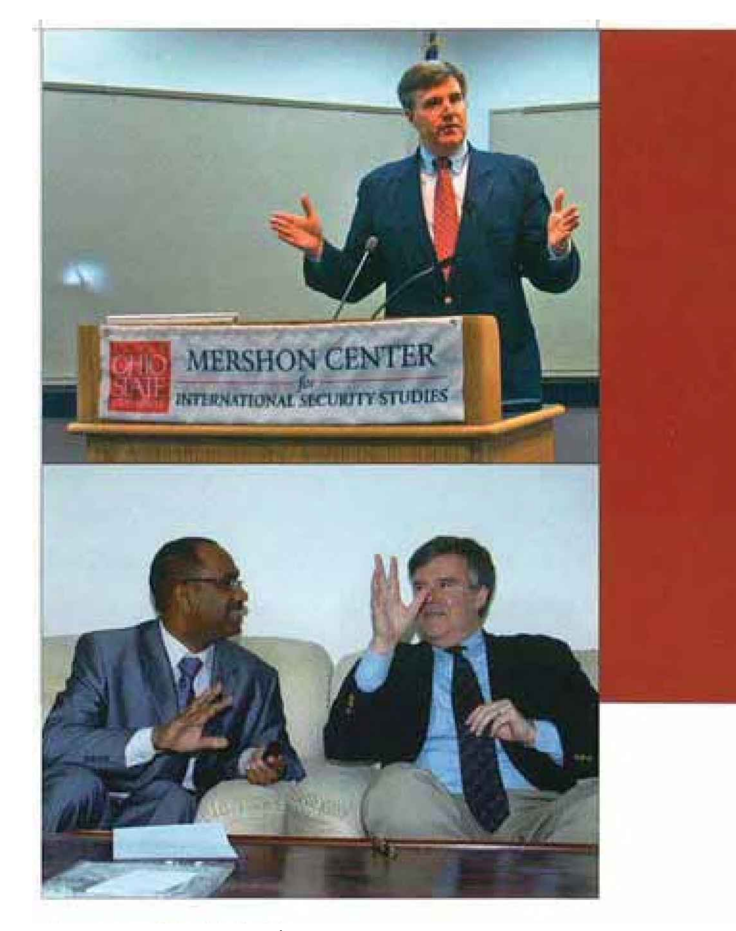
- العواطف مع الديمقراطية، ونريد أن نفكّر عاطفياً في أن الأشياء الجيدة تنسجم. لكن هذا غير صحيح. وشخصياً لا أرى أيّ برهان على أن نوعية الحكم تؤثر في مستوى الإرهاب: فالصين مثلاً دولة غير ديمقراطية، وهي كبرى الدول سكاناً.

• هل هناك كثير من الإرهاب في الصين؟

أجاب بنفسه: لا. ثم أضاف: الهند مثال للدولة الديمقراطية في العالم الثالث. وتساءل جريجوري: هل هناك إرهاب في تاريخ هذا البلد؟ ثم أجاب: نعم. وقال: مع أن بعض مصادر الإرهاب خارجية، إلا أن هناك مشكلات خاصة بالتاميل والسيخ وغيرهما، وعنف يرجع إلى أسباب داخلية خاصة بالهند، لكن هذا لا يعني أن الديمقراطية تؤدي إلى الإرهاب، لكن أرى أن هناك أسباباً أخرى تؤدي إلى الإرهاب.

• ما هذه الأسباب الأخرى في رأيك؟

- مثل الأسباب السياسية، هل هناك قضية تدفع الناس إلى الحرب أو العنف؟. أعتقد أيضاً أن الأسباب تتعلق بالأفكار، هل هناك أفكار متطرّفة؟ هل هناك أفكار منتشرة في المجتمع تشجع العنف أو تسوّغه؟ أعتقد أن الظواهر الاجتماعية لها أهمية أكثر من نوعية الحكم.



أعلى: المحاور في إحدى محاضراته

أسفل: حريجوري في أثناء الحوار

ومن ناحية أخرى، فإن التمييز بين الناس على أساس عرقي أو طائفي قد يؤدي إلى العنف، وهناك أمثلة كثيرة من التمييز التي قد تؤدي إلى العنف، كما أن هناك أمثلة أخرى لا ترتبط بالعنف، لذا ليس هناك سبب واحد يؤدي إلى العنف، لكن يوجد خليط من الأسباب. ومن ثَمّ لا بد من انسجام عدد من المتغيرات لخلق العنف: فمثلاً لعدم وجود الديمقراطية في العالم العربي تاريخ طويل، ثم تساءل: أليس كذلك؟ وأجاب: لأن ظاهرة الإرهاب جديدة فإنه من السخف أن نفكر في أن سبباً واحداً يؤدي إلى ظاهرة اجتماعية مثل الإرهاب.

• هناك من يفسر كلامكم بأنه يمثل التخوف الأمريكي من القوى الإسلامية، والتخوف من صعود المتشددين الإسلاميين في حالة انتشار الديمقراطية؟

- نعم. هذا جزء من الموقف الأمريكي الرسمي من الديمقراطية في الشرق الأوسط؛ فمثلاً إدارة جورج دبليو بوش أيّدت انتشار الديمقراطية بعد أحداث سبتمبر حتى فوز حماس في الانتخابات الفلسطينية.

• كان هناك موقف سابق من الجزائر؟

- في الجزائر كانت فرنسا مؤثّرة في الوضع، وكانت مع انقلاب الجيش على الحكم بسبب العلاقات التاريخية بين الجزائر وفرنسا. وفي أمريكا هناك تخوّف من الحركات الإسلامية، حتى تلك التي لا تميل إلى العنف والتطرّف. وهناك سببان يفسّران هذا التخوف الأمريكي: الأول أن كل الحركات الإسلامية ضد التطبيع مع إسرائيل، وضد معاهدة السلام مع إسرائيل؛ مثل الإخوان المسلمين في مصر والأردن. وشخصياً، لا أعرف غير الإخوان المسلمين حزباً متطرّفاً، وهو يمثّل وجهة نظر مهمة في المجتمع. لكن بالنسبة إلى أمريكا، بسبب موقفها من إسرائيل، نرى أن الإخوان المسلمين ضد المصالح الأمريكية. والسبب الآخر أنه منذ نهاية الحرب الباردة ترى معظم الحركات الإسلامية أن أمريكا هي المهدّد الخارجي لمصالحها في الشرق الأوسط. أنا لا أتكلم عن آسيا أو إفريقية، لكن الحركات الإسلامية شيعية كانت أم سنية ترى في أمريكا عدواً منذ الثورة الإيرانية.

• لماذا لم تستطع الولايات المتحدة بكل آلتها الإعلامية إقامة جسر للتواصل مع الحركات الإسلامية، ومع العالم العربي والإسلامي عامة؟

- من بين الأسباب موقف الحكومات العربية المتحالفة مع الولايات المتحدة؛ إذ إن بعضها لا يرغب في أن تكون للولايات المتحدة علاقات مباشرة مع الحركات الإسلامية؛ مما يوجد حاجزاً بينهما.

• ألا تستطيع الولايات المتحدة تجاوز هذا الحاجز؟

- شخصياً، أعتقد أن على السفارات الأمريكية الاتصال بكل الحركات في أيّ بلد؛ لأن الاتصال لا يعني التأييد أو القبول، وإنما هو وسيلة للفهم. ولعل الثورة الإسلامية في إيران مثال حيّ على

أهمية هذا الاتصال؛ إذ لم تفهم السفارة الأمريكية في إيران حقيقة ما حدث. لذلك، فإنه على كل سفير أمريكي أن يتّصل بكل الحركات في البلد الذي هو فيه. ولكن هناك حساسية في المنطقة من التنمية الأمريكية، حتى من بعض الحكومات الحليفة.

• لعل الاندفاع نحو تأييد إسرائيل من أسباب الحساسية وتوجّس الشعوب العربية؟

- من دون شك أن هناك تناقضاً في المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط؛ فالولايات المتحدة تريد علاقات خاصة مع إسرائيل، وفي الوقت نفسه تريد المحافظة على المصالح الخاصة والإستراتيجية لها في المنطقة العربية، خصوصاً في الخليج. منذ بداية التورّط الأمريكي في الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية تعترف الإدارات الأمريكية بهذا التناقض، وحكاية سياسة أمريكا في الشرق الأوسط هي حكاية التعامل مع هذا التناقض. وهذا الأمر يفسّر التركيز الأمريكي في عملية السلام. وتستطيع أمريكا - إلى حدّ كبير - التعامل مع التناقض من دون ثمن كبير: فالمصالح الأمريكية المباشرة لم تتأثر بهذا التناقض إلا في المدة من عام ١٩٧٢ إلى ١٩٧٤م؛ أي: قبل حرب أكتوبر وبعدها. وقد كانت المقاطعة بداية التركيز الأمريكي المباشر في عملية السلام؛ فقد فرضت الدول العربية على الولايات المتحدة الثمن مقابل موقفها من القضية العربية الإسرائيلية. ومنذ ذلك الوقت لم يكن الثمن للتناقض كبيراً، مع أن الموقف الشعبي العربي معادٍ لأمريكا بسبب وقوفها مع إسرائيل. والواقع أنه ليست هناك ديمقراطية؛ لذا فإن الشعب لم يؤثر في المصالح الأمريكية في المنطقة، ولم تدفع أمريكا الثمن إلا مرةً واحدةً.

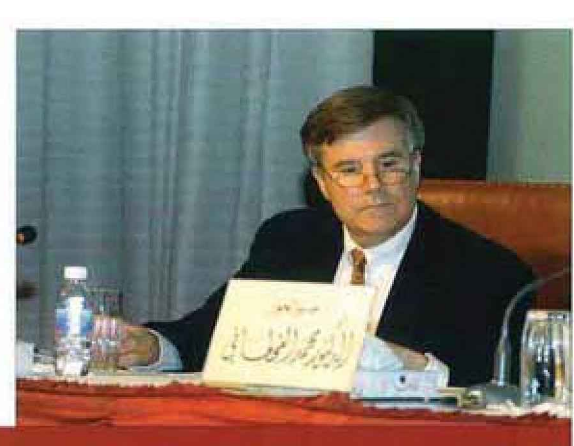
• ما ملامح التغيير في السياسة الأمريكية بعد مجيء إدارة أوباما؟

- أعتقد أن إدارة أوباما تمثّل الرجوع إلى الماضي في السياسة الخارجية الأمريكية، وأخصّ بالماضي حقبة ما قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م؛ فقد كانت أهم كلمة في السياسة الخارجية قبل تلك الأحداث هي الاستقرار؛ لأن عدم الاستقرار أدى إلى شدة التناقض في المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، وعدم الاستقرار في القضية العربية الإسرائيلية. وانفجار التناقض في المصالح الأمريكية؛ لذا جاء التركيز في الاستقرار؛ إذ تظل الأنظمة كما هي، ويظلّ الوضع بلا حرب أو ثورة أو أزمة أو شيء آخر؛ فالولايات المتحدة الأمريكية فضّلت الأمر الواقع بعد الحرب الباردة بعد أن أصبحت الدولة الكبرى الوحيدة في المنطقة. لكن بعد ١١ سبتمبر كان هناك تفكير جديد وغريب بالنسبة إلى السياسة الخارجية الأمريكية؛ إذ تسبّبت في عدم الاستقرار بتبني سياسة الفوضى الخلاقة. وأعتقد أن الشعب الأمريكي تعلّم درساً من حرب العراق، وهو أن إعادة بناء البنية التحتية السياسية في المنطقة شيء صعب، ويؤدي إلى مشكلات كثيرة، ويستنزف مالاً وطاقات وأرواحاً. يكفي أن المبلغ المستنزف أكثر من تريليون دولار، إلى جانب الألاف من الجنود.

• هل من السهل إعادة الأرض إلى ما كانت عليه؟

- من المستحيل أن يعود العراق إلى الماضي؛ فقد خسرت أمريكا

المحاور خلال محاضرته في مركز الملك فيصل



الشد والجذب بين أمريكا وإسرائيل ليس تمثيلية؛ فهناك توتر حقيقي في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، لكن الاعتراف بهذا التوتر لا يعني نهاية العلاقة الخاصة

الدولة العراقية، وإعادة بنائها شيء صعب جداً. لكن السياسة الأمريكية تريد العودة إلى الماضي، وتحقيق عملية الاستقرار في المنطقة. ومن الفوارق بين إدارتي أوباما وبوش أن إدارة بوش دخلت البيت الأبيض بموقف منحاز إلى إسرائيل انحيازاً لا أقول كاملاً وإنما كبيراً. بينما إدارة أوباما دخلت البيت الأبيض بموقف أكثر واقعية وحيادية بالنسبة إلى القضية العربية الإسرائيلية. ولا أقول: إن أوباما منحاز إلى القضية الفلسطينية. لكن بالمقارنة أعتقد أن الرئيس أوباما يعرف مركزية القضية الفلسطينية بالنسبة إلى قضية الشرق الأوسط ككلّ: لذا فهناك استعداد لإعادة النظر في القضية العربية الإسرائيلية. ولا أعرف إذا كان هذا الاستعداد سيؤدي إلى دبلوماسية أكثر نشاطاً وحياداً ونجاحاً أم لا. لكن بلا شك هناك فارق بين الإدارتين بالنسبة إلى هذه القضية.

- ما حدث من شد وجذب بين الولايات المتحدة وإسرائيل يفسره بعض المحللين بأنه محاولة لإرضاء العرب؟

- يقول ضاحكاً: القضية ليست تمثيلية: فهناك توتر حقيقي في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية. لكن الاعتراف بهذا التوتر لا يعني نهاية العلاقة الخاصة بين الطرفين. أو أن ذلك قد يؤدي إلى ضغط أمريكي شديد على إسرائيل: فقد شاهدنا في الماضي توترات مماثلة. ومن وجهة نظر شخصية لديّ أمل في أن يكون هناك ضغط حقيقي في قضية الاستيطان. وإن شاء الله سيكون هناك تغيير.

لأيّ رئيس أمريكي هناك دافع سياسي داخلي. وهناك ثمن للضغط على إسرائيل. وفي المقابل لا توجد فائدة في حالة تأييد القضية الفلسطينية: لذا على أيّ رئيس أن يختار بين خيارين: الأول هو المصالح الأمريكية الخارجية، والثاني هو التورّط المباشر في عملية السلام، الذي يعني الضغط على إسرائيل. وهذا الأمر لابد له من ثمن.

- هذا الضعف العربي، وعدم قدرة العرب على الرغم من المصالح المشتركة مع الولايات المتحدة، على التأثير في السياسة الأمريكية، لماذا؟

- عندما نتكلم عن الثقل الإسرائيلي في التأثير في السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط فإننا نتكلم عن تأثير المجموعات الداخلية الأمريكية التي تؤيد إسرائيل: فهناك اليهود الأمريكيون، والأصوليون المسيحيون، الذين لديهم شعور إيجابي في الرأي العام بسبب التاريخ وأسباب أخرى. والفارق بين العرب وإسرائيل أنه ليس هناك مجموعات داخلية عربية في أمريكا لها شعور شديد بالنسبة إلى القضية العربية. مع حقيقة أن هناك عرباً أمريكيين هم جزء من المجتمع الأمريكي تجدهم منقسمين: فالجيل القديم معظمهم من الشام والمسيحيين، ولهم أكثر من ١٠٠ سنة. وليس لهم شعور شديد أو تعاطف مع القضية الفلسطينية. أما الأجيال المعاصرة من المهاجرين العرب، فأغلبهم من المسيحيين ومن مختلف الدول العربية: لذا ليست هناك صلة وطيدة بين الجيل القديم والجيل المعاصر: فلا يوجد ثقل سياسي عربي منظّم في الولايات المتحدة. إلى جانب أن الجيل القديم كان له موقف اجتماعي واقتصادي. بينما المهاجرون الجدد ليس لهم ذلك الثقل.

- أين الولايات المتحدة على الخريطة السياسية العراقية الجديدة؟

- أعتقد أن إدارة أوباما مصمّمة على الانسحاب من العراق. وأعتقد أن الرئيس يرى أن الحرب العراقية كانت خطأً إستراتيجياً كبيراً. وعلى الرغم من أن النفوذ الإيراني في العراق يزداد إلا أن الولايات المتحدة ستنسحب. وأعتقد أن إيران سيكون لها تأثير في السياسة العراقية بحكم العلاقات التاريخية والدينية والجوار وضعف الدولة العراقية. لكنها ستواجه في الوقت نفسه مشكلات في داخل العراق بعد أن يزول الاحتلال الأمريكي الذي كان العداء له يجمع بين إيران وبعض المجموعات العراقية. ونجد أن العراقيين بعد الانتخابات لهم خلافات مع إيران: بسبب تنافس القوى السياسية. وأعتقد أن إيران ستواجه مشكلات وهي تحاول ممارسة تأثيرها في العراق بعد الانسحاب الأمريكي.

- كيف تستطيع الولايات المتحدة المحافظة على مصالحها في العراق في ظل تنامي النفوذ الإيراني؟

- أعتقد أن الولايات المتحدة وإيران ستتبادلان المواقف: فأمريكا

كانت القوة الكبيرة، وإيران كانت القوة المضادة. والآن ستكون إيران - إلى حدّ ما - القوة الكبيرة. والولايات المتحدة وحليفاتها ستمثّل القوات المضادة. وسيكون للمشكلات الإيرانية دور في تنظيم الأوضاع في العراق: لذا فإن الولايات المتحدة ستقلّل مصالحها في العراق. وستركّز في مصالحها التقليدية في السعودية ودول الخليج الأخرى. وستؤدي دوراً في تأييد الأحزاب العراقية التي تريد الابتعاد من النفوذ الإيراني وتقليله في العراق.

- ما مدى تأثير الأوضاع العراقية الآن بعد الانتخابات في المحيط الخليجي؟

- لم يكن للحرب العراقية تأثير في الدول المجاورة: فقد كان هناك تزايد في الشعور الطائفي: كتزايد العنف الطائفي في عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧م. بينما عانت العراق من حرب طائفية وكثير من العنف. وكان هناك استقرار في دول الخليج العربي. وشخصياً أرى التأثير المباشر حالياً في سورية والأردن: بسبب تدفق العراقيين إليهما، الذي يؤثر في الاقتصاد والتعليم والخدمات، وهذا الأمر يثقل على الحكومتين السورية والأردنية.

- ما سبب الذبذبة في تعامل إيران مع أمريكا؟

- هناك تاريخ طويل للعلاقات الأمريكية الإيرانية منذ الثورة الإسلامية: فهناك شعور مضاد لأمريكا، وهو يمثّل جزءاً من أيديولوجية الدولة. وشخصياً أعتقد أن الشعب الإيراني متضايق من هذه الدعاية، لكن النخبة السياسية الإيرانية لا تزال تتمسك بأيديولوجية الخميني، التي ترى أن أمريكا هي الشيطان الأكبر، وطبعاً هناك أسباب تاريخية لهذه النظرة. وأعتقد أن الدرس العراقي لأمريكا يعطي إيران الثقة في أن أمريكا لن تعيد السيناريو نفسه معها: فالفشل الأمريكي في العراق هو درع لإيران، وأحمدي نجاد يعلم أن أمريكا لن تعيد الحملة العسكرية والاحتلال كما فعلت في العراق، وهذا لا يعني أن الهجوم الأمريكي على إيران مستبعد: فقد تحدث مواجهة عسكرية، لكنها محدودة لن تصل إلى مستوى الحرب الأمريكية على العراق.

وفي رأيي أن الحكومة الإيرانية تكابر، وهي لن تستطيع الاستمرار بهذا الطموح في سياستها الخارجية: فهذا يمثّل عبئاً عليها،

سيرة ذاتية للبروفيسور جريجوري جوز

- من مواليد ولاية دولاير بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٨م.

الدرجات العلمية:

- حاصل على درجة الدكتوراه (Ph.D) من جامعة هارفارد في العلوم السياسية، عام ١٩٨٧م.
- درس اللغة العربية في الجامعة الأمريكية في القاهرة، عام ١٩٨٣م.

الخبرات العلمية والدعائية:

- أستاذ في قسم العلوم السياسية في جامعة فيرمونت بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٩٥م.
- عمل أستاذاً مساعداً في جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك في المدة (١٩٨٧- ١٩٩٥م).
- عمل باحثاً في شؤون الشرق الأوسط في مجلس العلاقات الخارجية بمدينة نيويورك في المدة (١٩٩٣- ١٩٩٧م).
- عمل أستاذاً زائراً في جامعة هارفارد في خريف عام ٢٠٠٩م.
- عمل أستاذاً زائراً في الجامعة الأمريكية في الكويت في ربيع عام ٢٠٠٩م.

الإنتاج العلمي:

له عدد من المؤلفات، منها:

- العلاقات السعودية اليمنية، عام ١٩٩٠م.
- ممالك النفط: التحديات الداخلية والأمنية في بلدان الخليج العربية، عام ١٩٩٤م.
- العلاقات الدولية في الخليج، عام ٢٠١٠م.
- كتب أكثر من ثلاثين مقالة في مجلات علمية وسياسية.
- شارك في تحرير عدد من الكتب.

هناك تناقض في المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط: فالولايات المتحدة تريد علاقات خاصة مع إسرائيل، وفي الوقت نفسه تريد المحافظة على المصالح الخاصة

والدليل أن الولايات المتحدة أخفقت، وهي دولة كبرى، في تنظيم كل شيء في الشرق الأوسط. فكيف لإيران بتمثلاتها الاقتصادية مع انقساماتها السياسية الواضحة بعد الانتخابات أن تنظّم كل الأشياء في المنطقة. وتعرف من المظاهرات أن كثيراً من الشعب الإيراني يرفض استنزاف الموارد المالية الإيرانية في لبنان وفلسطين، مع الطموح في حكم العراق؛ لذا أعتقد شخصياً أن أمريكا وحلفاءها إذا صبروا واستمروا في سياسة الاحتواء سيتقلّص الدور الإيراني في المنطقة مع الوقت.

• أين موقع المبادرة العربية على الخريطة السياسية حاليا؟

- هذه المبادرة التي قدّمها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز تعدّ تحولاً في السياسة العربية، واختراقاً غير مسبوق، وهو في رأي العرب كافٍ لبناء الثقة، وفي رأيي أن الأمر يعتمد على الإرادة الإسرائيلية، والموقف الأمريكي، وممارسة الضغط على إسرائيل، وقد فعلت المملكة العربية السعودية ما يمكن أن تفعله.

• التقدم في عملية السلام هل كان سيكون بخطوات أفضل في ظل حكومة أخرى غير حكومة نتنياهو؟

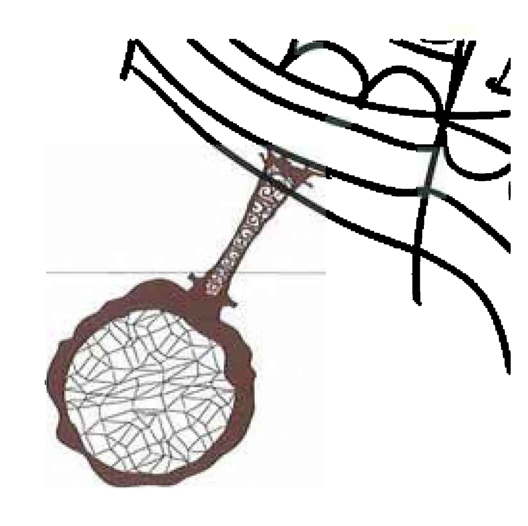
- أعتقد أن ذلك كان ممكناً، وقد حدث موقف مشابه في عهد الرئيس كلينتون، الذي كانت له علاقة متوتّرة مع حكومة نتنياهو في عامي ١٩٩٧ و١٩٩٨م؛ إذ ضغطت إدارة كلينتون على حكومة نتنياهو التي سقطت في الانتخابات، وخلفتها حكومة إيهود باراك، لكن عندما جاء باراك، وهو رئيس وزراء جيد بالنسبة إلى كلينتون، لم يدفعه الأخير ولم يضغط عليه؛ لذا لم يكن هناك أيّ نجاح للمفاوضات في نهاية عهد كلينتون، سواء بالنسبة إلى سورية أم فلسطين، والسبب أن كلينتون لم يستخدم القوة والضغط، ويمكن أن نرى شيئاً مماثلاً مع أوباما، الذي قد يمارس الضغط، فيسبّب ذلك مشكلات داخلية كنتنياهو قد تؤدي إلى انتخابات جديدة، ومن ثَمّ سقوطه. لكن إذا جاء حزب جديد: مثل حزب العمال أو حزب كاديما، لقيادة الحكومة الإسرائيلية فقد نرى انخفاضاً في الضغط، والله أعلم.

• تحدثتم عن قوة العلاقات السعودية الأمريكية رسميا، وعدم قوتها بالقدر على نفسه على المستوى الشعبي، كيف يمكن أن يتساوى المستويان في القوة؟

- الشعب الأمريكي ليس له أيّ اهتمام بالسعودية، باستثناء مدة الأزمة، وكان هناك اهتمام كبير في السعودية بعد أحداث ١١ سبتمبر، وكان سلبياً، والآن أعتقد أن شعور الشعب الأمريكي بالنسبة إلى السعودية عاد إلى ما قبل تلك الأحداث. ولا أعني أن الموقف إيجابي، لكنه موقف عدم الاهتمام، وهذا بوصفي متخصصاً في تلك العلاقات شيء جيد، ويضيف ضاحكاً: الشعب الأمريكي لا يفكر في العلاقات العربية الأمريكية. لكن بالنسبة إلى الشعب السعودي، خصوصاً النخبة، هناك موقف آخر: فهذه النخبة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لها خبرة في أمريكا، سواء من خلال التعليم أم من خلال علاقات صداقة أم مصالح اقتصادية أم زيارات سياحية؛ لذا أعتقد أن الموقف السعودي أكثر تعقيداً من الموقف الأمريكي؛ فهناك شعور بالتعاطف والصداقة بالنسبة إلى الشعب السعودي تجاه أمريكا، ومع حركة الابتعاث الجديدة وفق برنامج الملك عبدالله هناك آلاف الطلاب السعوديين في الولايات المتحدة. ومن جهة أخرى هناك الموقف الأمريكي من القضية العربية الفلسطينية، الذي يؤدي إلى شعور معادٍ تجاه أمريكا من الذين لهم علاقات وطيدة بالشعب الأمريكي؛ لذا فإن الموقف السعودي من أمريكا معقّد أكثر من موقف الشعب الأمريكي من السعودية.

• ما تقويمكم للواقع السعودي حاليا؟

- أعتقد أن أهم القضايا في عهد الملك عبدالله هي التعليم والمرأة والانفتاح؛ فالتركيز في التعليم واضح مع تأسيس جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية، إلى جانب الإصلاحات في التربية والتعليم على مستوى التعليم الأساسي والثانوي، وهذا الاستثمار سيكون له مردود كبير في المستقبل، والجدير بالاحترام أن كثيراً من المبتعثين في برنامج الملك عبدالله هم من الطالبات، وسيكون لهذه الخطوة تأثيرها الإيجابي في توسيع مشاركة المرأة. ويتضح الانفتاح وحرية التعبير في الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى: مما أتاح الفرصة أمام تعدّد الآراء وتنوّعها بما يتناسب مع واقع الحياة المعاصرة.



كناشة التراث

مع أبي نواس[1]

قال أبو هِفَّان: حدثني يُوسفُ بنُ الدَّايَة، قال:

حَدَّثني البطينُ بن أُمَيَّة الحِمصي قال: لما خرج أبو نُواس إلى مصر يريد الخَصيبَ كتب إلينا بخبره، فلم نزل نتوقَّعه حتى قيل: قد دخل حمْص، فأتيتُ الخانَ أسألُ عنه، ومعي ابنٌ لي حَسَنُ الوجْه، وإذا أنا في الخان بإنسانٍ قاعدٍ على درجةٍ متَّشحٍ بخُلُوقيَّة يَسْتَاك، فقلتُ:

يا فتى، تعرفُ أبا نُواس؟

قال: ما تَجعلُ لمن دَلَّك عليه؟ قلت: حُكْمَه.

قال: قُبْلَة من هذا الغزال. قلت: أنت والله أبو نُواس!.

قال: أنا هو. ألا نَظرتَ إليّ بظلمة الكُفر؟ قال: فلم أُفارقه مُقامه حتى ارتحلَ وشيَّعته أميالاً.

براعة البخاري[2]

قرأت على أبي العباس أحمد بن عمر بن أنس بالأندلس، أخبركم أبو العباس أحمد بن الحسن الرَّازي بمكة، قال: سمعت أبا أحمد عبدالله بن عَديّ، يقول: سمعت عِدَّةَ مشايخ يحكون:

أن محمد بن إسماعيل البُخاري قدِم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعَمدوا إلى مائة حديث فقلَبوا مُتونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس، إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يُلقون ذلك على البخاريّ. وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعةٌ من أصحاب الحديث من الغُرباء من أهل خراسان وغيرها، ومن البغداديين، فلما اطمأنَّ المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة، فسأله



عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. فمازال يُلْقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان العلماء ممَّن حضر المجلس يلتفتُ بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فلم يزل يُلْقي عليه واحداً بعد آخر حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم انتدب له الثالث، والرابع، إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه. فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث، والرابع، على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة، فردَّ كلَّ متنٍ إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفَعَل بالآخرين مثل ذلك، وردَّ مُتون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقرَّ له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل.

الحسن بن علي بن أبي سالم المغفر بن عبدالملك بن ناهوج[3]

الإسكافُ الأصل، البغداديُّ المَوْلد والدَّار، أبو البدر بنُ أبي منصور، من أهل باب الأَزَج، أحد الكُتَّاب المُتَصَرِّفينَ في خدمة الديوان الإمامي هو وأبوه، وكان فيه فضلٌ وأدبٌ بارعٌ، وعَرَبيَّةٌ وتَصرُّفٌ في فنونها، ويكتُبُ خطًّا على طريقة أبي عليّ بْن مُقلة قلَّ نظيرُهُ فيه، ولهُ خصائص، ولقي المشايخ، وصنف عدة تصانيف في الأدب حسنةً، وتنقل في الولايات إلى أن رُتِّبَ مُشْرِفاً بالديوان العزيز في سادس شهر رمضان سنة ستٍّ وثمانين وخمسمائة، فكانَ على ذلك إلى أن عُزِلَ في سابع ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. وكان صَحِبَ أبا مُحَمَّد بنَ الخشاب النحوي وقرأ عَلَيْه وبَحَثَ مَعَهُ. وعلَّق عنه تعاليق وَقَفْتُ على بعضها فوجَدْتُهَا مُنْبئَةً عن يَد باسطة في هذا الفن من العلم. ورأيتُ بخَطِّه في خَلَبَ تعاليق وكُتباً واختيارات وَنَظْماً ونثراً تدلُّ على قَريحَة سالمة. ونَفْس عالمة، تُقلِّلُ النظير، وتُؤْذِنُ بالعلم الغزير، وممَّا بَلَغَني مِنْ شِعْرِه:

وعلى الكُثيبِ مُخَمَّرٌ مِنْ تِيهِهِ
كَالْبَدْرِ مِنْ حُسْنٍ وَلَيْسَ بِآفِلِ
حَجَبُوهُ بِالْبِيضِ الْقَوَاصِلِ مَا دَرَوْا
مِنْ حُسْنِهِ وَسُيُوفُهُمْ كَالْقَاصِلِ

الآنسة مي تتحدث عن نكبتها وتقول: إنها ضحية مؤامرة دُبرت في مصر[4]

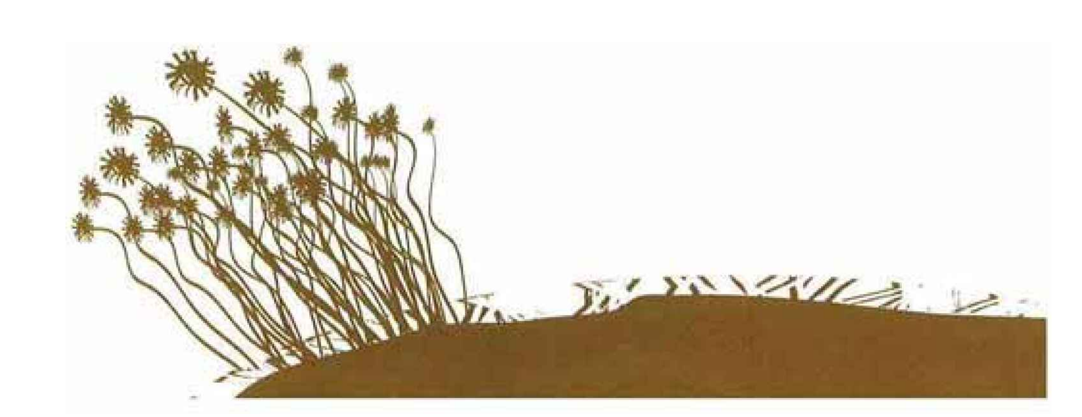
زار أحد صحافي بيروت الآنسة ميّ في المستشفى الأمريكي، وكتب عنها يقول:

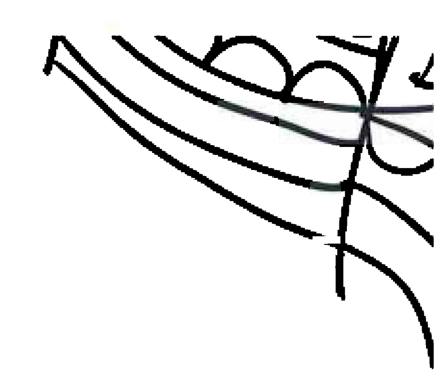
ذهبت مع أحد أصدقاء الآنسة ميّ إلى المستشفى الأمريكي لزيارتها. ولما دخل عليها واستأذن لي فرفضت، فألحّ عليها، فأصرّت على الاعتذار: لأنها لا ترغب في استقبال أحد لأسباب شتى، أهمها أن الزائرين يقابلونها وهم يحملون فكرة خاطئة عنها، وهذا ما يؤلمها أشد الألم.

ولما رأى الصديق أن لا سبيل إلى إقناعها خرج، وناداني فدخلت. فإذا بي أمام سرير ميّ، وخيال ميّ، وقد شحب وجهها، وعلته صفرة، أما عيناها فكانتا ترسلان نظرات هادئة حزينة مقرونة بشعاع الذكاء والحقد.

وانطبعت على شفتي ميّ ابتسامة مصطنعة كانت جواباً على تحيتي، ودليلاً على امتعاضها من دخولي دون أخذ موافقتها.

وبعد صمت بضع ثوان قالت ميّ: «أواه من رجال القانون والأطباء والصحافيين». وسألناها عن معنى (الأواه)، فقالت:





«معناها أني أكرهكم أنتم رجال الصحافة والقانون والطب».

- وما هو السبب يا آنسة؟

- وهل تأذنون لي بأن أكلّمكم بصراحة؟

- بكل رغبة.

وبدأت ميّ تتكلم بلغة فصحى ممزوجة باللهجة المصرية، وبطلاقة لسان مدهشة، وأوقع شيء في النفس كان صوتها العذب، وإخراجها الكلمات هادئةً بنبرات موسيقية حزينة.

أكره رجال القانون

قالت: «أردتم أن أكلّمكم بصراحة عن سبب كرهي لرجال القانون. نعم، أكرههم لأني لم أغادر مصر، ولم يؤتَ بي إلى لبنان، ولم أدخل إلى العصفورية، إلا بفضل القانون ورجال القانون. بل أنا صرتُ مجنونةً قانونياً».

أكره الأطباء

«وأما الأطباء، هؤلاء الذين يؤتمنون على أرواح الناس، هؤلاء الذين يتجنّون على النساء، هؤلاء الذين يقسمون اليمين على السير في طريق الشرف والكرامة والاستقامة، وعلى تخفيف محن الناس، وويلات الإنسانية. هؤلاء الأطباء أكرههم لأني صرتُ مجنونة طبياً، ووقعت في شرك المؤامرة بفضل الطب والأطباء».

أكره الصحافيين

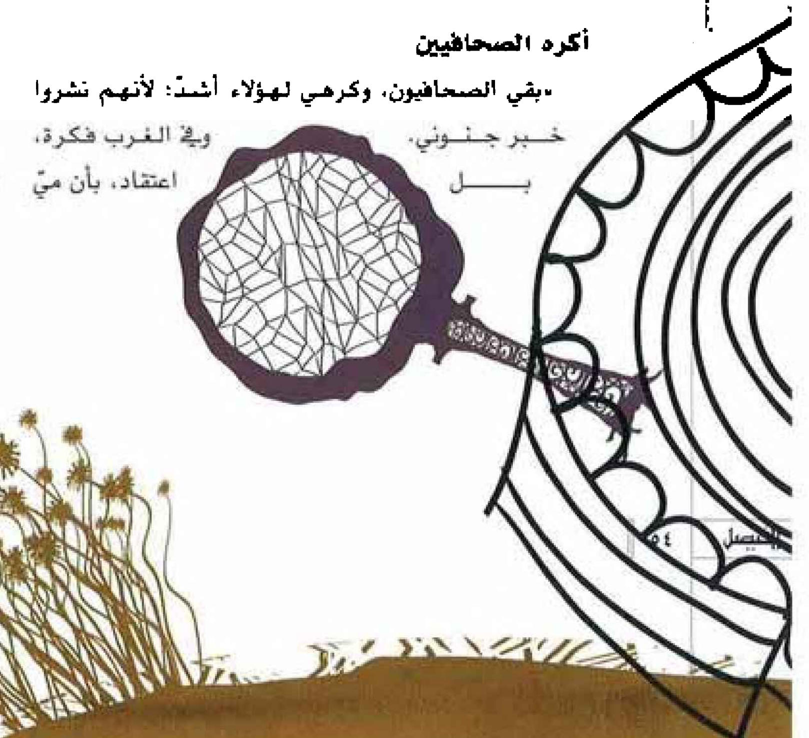
«بقي الصحافيون، وكرهي لهؤلاء أشدّ: لأنهم نشروا خبر جنوني. وفي الغرب فكرة، بل اعتقاد، بأن ميّ مجنونة.. ولو إساءتهم لي اقتصرت على ذلك لهان الأمر، ولكن هناك ما هو أمرّ.. وأفظع».

«أنا صحافية، وبنت صحافي، ولقد كان على الصحافيين في لبنان، إن لم يكن إكراماً لي فإكراماً لوالدي، أن يبدوا شيئاً من الاهتمام، أو شيئاً من الواجب نحو زميلتهم وابنة زميلهم، فيسألوا عنها، أو يقوموا بزيارتها عندما سمعوا بخبر محنتها؛ لمعرفة مبلغ ما في هذا الخبر من الصحة».

«إنكم - معشر الصحافيين - تنشدون الحقيقة في كلّ مكان، إنكم تهتمون بالرجال وما يقولون، وبالنساء وما يلبسن، إنكم تبحثون أحياناً عن أتفه المواضيع وتخرجونها إلى قرائكم. أنتم يا زملائي وزملاء والدي لم يوجد واحد بينكم يسأل عن ميّ، ويتحرى حقيقة جنونها. لم يوجد واحد بينكم يفكّر بزيارة هذه الأديبة.. الصحافية النابغة.. التي تخنق الأطفال.. وتكسر الحديد.. قد تقولون: إن هذا الذي أشيع عني كان كحقيقة راهنة عندكم، فلم تشاؤوا زيارتي حتى لا تحزنوا على مصيري.. قد يكون صحيحاً. ولكن هذا «الاعتقاد» وتلك «الشفقة» لا ينبغي أن تضعا حجاباً من الإهمال والنسيان بين الصحافيين والأدباء وبين زميلتهم ميّ».

«إن ميّ لا أهل لها، إن أبي وأمي وأهلي هم صحافيون، هم الأدباء، هم رجال القلم، أفما كان يجدر بكم أن تحيطوني ببعض العناية؛ عسى أن تخففوا عني الألم، وعسى أن تخففوا عني وطأة الجنون. أنا التي أكسر الحديد، وأخنق الأطفال!!».

«أين رجال الأدب في لبنان؟ أين رجال القانون؟ أين الجمعيات النسائية؟ أين نصيرات المرأة؟ ألم يوجد بينهن



واحدة تدافع عني أنا التي قضيت السنين الطوال أدافع عن حق المرأة، وأوقفتُ قلمي على خدمة بنات جنسي، ورفع مستواهنّ، وردّ الظلم عنهن؟!».

لعنة الله على لبنان

«أجل، أين هؤلاء وأولئك؟ بل أين لبنان؟ لبنان الذي طويت ضلوعي على حبه، لبنان الذي تغنيت في الجرائد والكتب والمجلات ومن فوق المنابر بجماله، بجباله، ببنيه، لبنان الذي ما حلت به محنة إلا وانهمر الدمع من عيني، لبنان هذا لم يوجد فيه واحد يبكي على محنتي التي انطوت على محنٍ كثيرة».

«تلك هي مكافأة لبنان لابنته ميّ.. إهمال مفجع، وتغاضٍ مخجل عن أحطّ مؤامرة جاءت بي من مصر، وألقتني مدة سبعة شهور في العصفورية، أتفرج في النهار على مواكب النساء العاريات، وأسمع ألفاظاً ما كنتُ أعلم بأنها موجودة، وأن في البشر من يتلفّظ بها، وأسمع في الليل عواء الذئاب وأصوات ابن آوى.. أسمع وأرى كل هذا وليس هناك من يسمع صوتي، أو يرى محنتي، فيبادر إلى إنقاذي».

«سبعة أشهر قضيتها في العصفورية في لبنان على هذه الحال، وفي تلك الغمرة من الألم واليأس والعذاب، دون أن يهتزّ عرق بالشفقة، أو لسان بالسؤال.. ولهذا اسمح لي أن أقول بكل ألم، وبكل أسف وخجل أيضاً: إني كنت أردّد وأنا على تلك الحال في كل يوم وفي كل ساعة: لعنة الله على لبنان».

وهنا بكت ميّ بكاءً ممزوجاً بالألم والحقد، ثم مدّت يدها إلى تحت الوسادة، فأخرجت منديلاً، ومسحت به دموعها، وبعد أن سكنت آلامها قليلاً استأنفت الكلام، فقالت:

«نعم، لقد كنت ألعن وطني، وعندما يلعن المرء من يحبّ يكون الألم واليأس قد برحا به، ولكن هل يكفّر لبنان عن إساءته إلى ميّ؟ وهل يعيد إلى ضلوعها أقدس ما كانت تنطوي عليه، وهو حبها للبنان؟!».

كنت أجهل

«أنـا امـرأة قضيت حياتي بين قلمي ودواتـي وكتبي ودراساتي، وقد انصرفت بكل تفكيري إلى المثل الأعلى، وهذه الحياة (الإيديالزم) التي حببتها جعلتني أجهل ما في هذا البشر من دسائس ومحاولات، أجل كنت أجهل الدسيسة، وتلك النعومة التي يظهر بها بعض الناس ويخبئون تحتها السم القتّال، ولو كنت على معرفة بهذا النوع من أخلاق الناس لكنت قاومت الدسيسة بمثلها، وقاومت المحاولة بمحاولة، ولما قادني حسن ظني إلى الاستسلام والاطمئنان، أو بالأصح إلى هذه المحنة التي لا يمكن أن يكون التاريخ الإنساني طوى على أوجع وأفظع منها».

وهنا أخذت ميّ تتحدث عن تفاصيل المؤامرة، وتسمّي الأشخاص، وتميّز الوقائع، وتذكر الأدلة، وكلّ ذلك بلهجة يتجسّم فيها الصدق، ويتجلّى الألم، وأذكر أني لفظت اسمها مجرداً من اللقب، ثم قدمت اعتذاري، فابتسمت ابتسامة الهزؤ الممزوج بالحزن، وقالت:

«وانت ليه بتعتذر؟ ما هو اسمي أصبح مقروناً بلقب... ولكن أيّ لقب؟!».

ثم ذكرت أنها عندما شعرت بالمؤامرة التي تحاك حولها، وكانت لم تؤخذ احتيالاً إلى العصفورية بعد، سألت: من هو وزير الداخلية في لبنان؟ فقيل لها: الأستاذ حبيب أبو شهلا، فسرّت وانتظرت من هذا (الصديق) الوزير أن يساعدها، ويدافع عنها، بصفته وزيراً وصديقاً ومن رجال القانون.. ولكن الأستاذ أبو شهلا، الذي أهملها وظلمها وهو وزير، جاء الآن يساعدها وهو محام.. وقد صارحته بهذه الحقيقة عندما زارها مؤخراً.

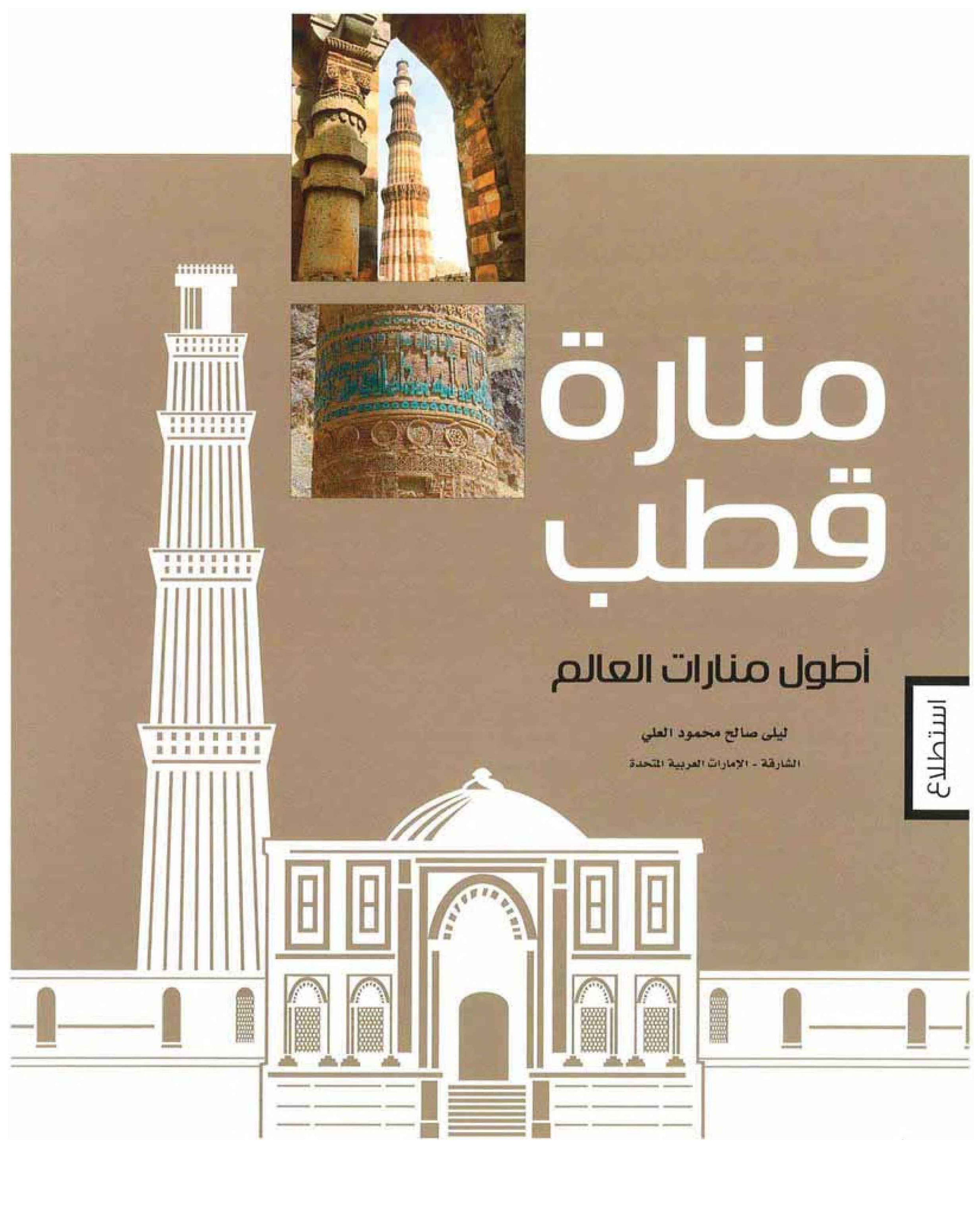
الهوامش

(١) الورقة للجراح، ص١١.

(٢) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس للحميدي، ١/ ٢١٤، ٢١٥.

(٣) معجم الأدباء لياقوت، ٩/ ٧٠ - ٧٣، دار المأمون - القاهرة.

(٤) الرابطة العربية، السنة الثانية، الجزء ٨٧، الأربعاء ٨ ذي الحجة سنة ١٣٥٦هـ/ ٩ فبراير عام ١٩٣٨م.



استطلاع

منارة قطب

أطول منارات العالم

ليلى صالح محمود العلي
الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

تقدّمت هندستا البناء والعمارة على يد المسلمين تقدّماً هائلاً لا يخفى على أحد. والشواهد على ذلك كثيرة لا تعدّ ولا تحصى، منها على سبيل المثال لا الحصر: قصر الحمراء في إسبانيا، ونقوش الأرابيسك فيه، ومنارة الملوية في الجامع الكبير في سامراء التي بُنيت عام ٨٥٢م، والتي تعدّ فريدةً في طرازها، وواحدة من أقدم المنائر في العالم الإسلامي. والمنائر طراز فريد للعمارة الإسلامية، وتوجد المنائر في كل الجوامع منذ القرون الأولى للإسلام، وتمتاز بأنها بناء طويل مستدبٌ ذو تاج ليس نصف دائري، وإنما يشبه رأس بصل، وقد تكون المنارة قائمةً بحد ذاتها منفصلةً عن بقية بناء الجامع، أو تكون مستندةً إلى البناء لكنها أطول من أيّ جزء منه. ومن أبرز المعالم الإسلامية القديمة لدينا منارة قطب في دلهي، التي تقع ضمن مجمع قطب (أو قطب الدين) التاريخي في الهند. ويعدّ هذا المجمع أقدم بناء ما زال قائماً من العمارة الغورية في شبه القارة الهندية. وقد بُنيت هذه المنارة في القرن ١٢م، وهي أطول منارة مبنية من الآجرّ في العالم؛ إذ يبلغ ارتفاعها ٧٢,٥ متراً. وتعدّ هذه المنارة فريدة الطراز أقدم وأشهر مثال حيّ على العمارة الهندية الإسلامية. ويضم مجمع قطب - إضافةً إلى هذه المنارة - عدداً من الأبنية القديمة والخرائب. ومن أهم هذه الأبنية: جامع قوة الإسلام (الذي يُعرف أيضاً باسم جامع قطب، أو جامع دلهي العظيم)، وجامع الباب العالي، وقبر التتمش، وقبر علاء الدين الخرجي، وإمام زمان، وخرائب معبد جين. وهذا المجمع مسجّل في اليونسكو بوصفه أحد المواقع الأثرية العالمية، وله شهرة كبيرة بين السائحين الذين يزورون الهند، وشهرته تفوق شهرة تاج محلّ: فقد بلغ عدد زوّار هذا المجمع عام ٢٠٠٦م ما يقرب من أربعة ملايين سائح، بينما جذب تاج محلّ نحو ٢,٥ مليون سائح فقط.

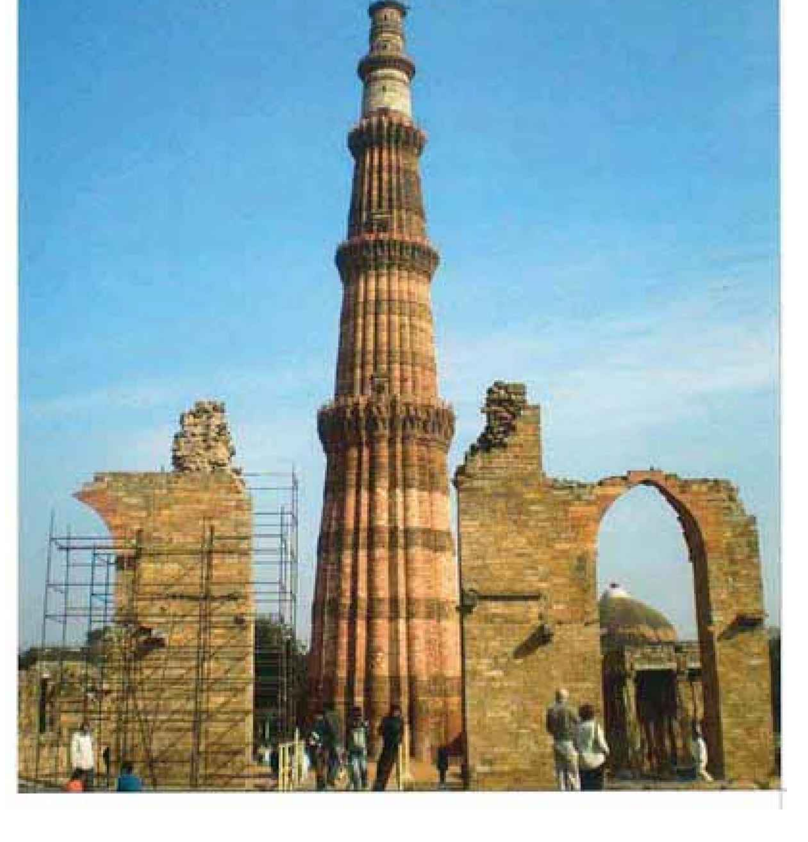
قطب الدين أيبك أول سلطان مسلم في دلهي، ومؤسس سلالة الغلمان أو المماليك في الهند. وقد حكم أربع سنوات فقط بين عامي ١٢٠٦ و١٢١٠م

تاريخ المنارة

بدأ العمل ببناء هذا المجمع عام ١١٩٣م بأمر من أوّل حاكم مسلم للهند، وهو السلطان التركي قطب الدين أيبك، الذي كان مبهوراً بمنارة الجام Minaret of Jam في أفغانستان. فأراد بناء ما يفوقها جمالاً وارتفاعاً. ومنارة الجام الآن أعلنتها اليونسكو منطقةً أثريةً عالمية تقع في غرب أفغانستان في مقاطعة غور، ومحاطة بجبال يصل ارتفاعها إلى ٢٤٠٠ متر، ويبلغ ارتفاعها ٦٥ متراً، ومبنية كلياً من الطابوق المفخور، وبُنيت عام ١١٩٠م، ومشهورة ببنائها بالطابوق المعقّد المحاط بالجصّ، وزينتها ببلاطات مزجّجة مؤلفة من حزم متبادلة بين الخط الكوفي والنسخ وأشكال هندسية وآيات من سورة مريم. والمجمع بناه قطب الدين أيبك من أجل تمجيد انتصار محمد غوري على الملك الهندي راجبُت Rajput، وشكّل بناؤه علامة النهاية لحكم المملكة الهندية في شمال الهند، وبدايةً لحكم المسلمين في الهند الذي استمر من القرن الثاني عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي عند احتلال الإنجليز الهند. ويعدّ هذا البرج حتى يومنا هذا من أهم الأبنية في العالم الإسلامي.

لم يتمكّن قطب الدين أيبك إلا من بناء الطابق الأول من هذا البرج أو هذه المنارة، ثم أضيفت ثلاثة طوابق أخرى في عهد صهره وخليفته في الحكم التتمش. وفي عام ١٣٦٨م ضربت صاعقةٌ المنارة، وتسبّبت بهدم طابقها العلوي، فبنى الطابقين العلويين الأخيرين فيروز شاه طغلغ - أحد سلاطين دلهي الأواخر، حكم بين عامي ١٣٥١ و١٣٨٨م - وزيّنها من الخارج بمرمر أبيض. ويُلاحظ اختلاف طراز هذين الطابقين عن الثلاثة السفلية. كما أن فاصل نحو ١٩٠ سنة بين بناء الجزء السفلي والجزء العلوي يفسّر اختلاف طراز الطوابق السفلية التي بُنيت في عهد أيبك والتتمش ومعمارها عن الطوابق العلوية التي بُنيت في عهد سلالة طغلغ.

ويرى بعض المؤرخين أن التسمية جاءت تيمّناً باسم قطب الدين أيبك، بينما يرى آخرون أن التسمية جاءت تيمّناً بقطب الدين بختيار كاكي: رجل الدين الذي أتى ليعيش في الهند من منطقة ترانزوكسيانا Transoxiana (وهي معروفة في الأدبيات العربية باسم بلاد ما وراء النهر، وتمثّل جزءاً من وسط آسيا، وحالياً هي تقريباً منطقة أوزبكستان وطاجكستان والجزء الجنوبي الغربي

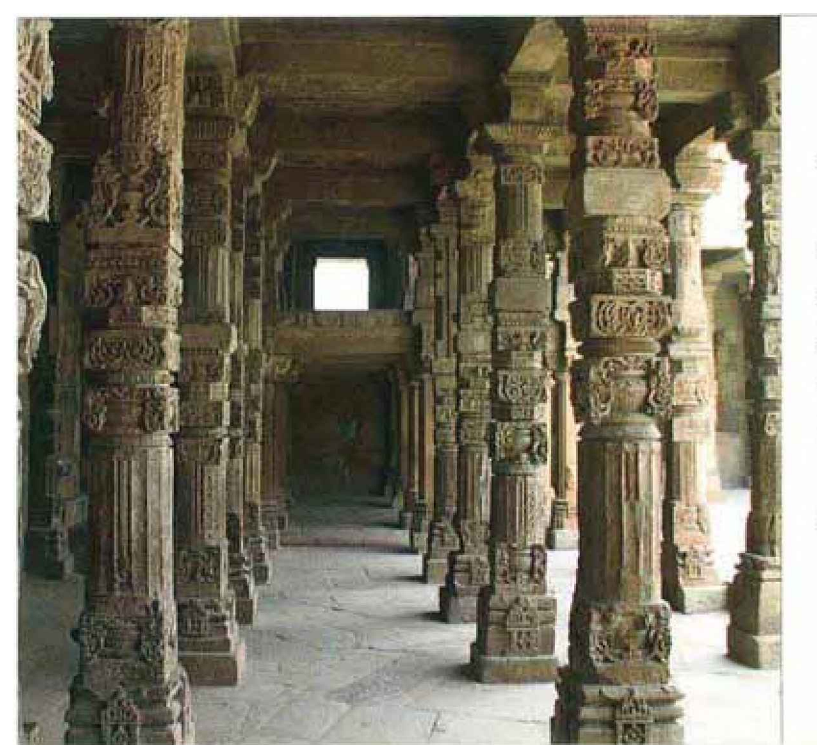


من كازاخستان). وكان موضع تبجيل واحترام من الحاكم التتمش Iltutmish. وما زال سبب بناء هذه المنارة مجرّد تخمينات؛ فهناك من يقول: إنها منارة عادية بُنيت لتدعو المسلمين إلى الصلاة عند موعد كل صلاة في أول جامع بُني في سلطنة دلهي، وهو جامع قوة الإسلام. ومنهم من يقول: إنها برج النصر، بُنيت لتعبّر عن مجد الإسلام. ومنهم من يقول: إنها بُنيت برجاً للمراقبة؛ ليتيح الدفاع المبكّر عن المدينة.

معمار المنارة

قلنا: إن منارة قطب هي أعلى منارة في العالم؛ فارتفاعها ٧٢.٥ متراً، وفيها ٣٧٩ درجة، وقطر قاعدتها يبلغ ١٤.٣ متراً، بينما يبلغ قطر جزئها العلوي ٢.٧٥ متر، وهي مبنية بحجر رملي أحمر، باستثناء طابقيها العلويين؛ إذ بُنيا بالمرمر الأبيض في عهد فيروز شاه طغلغ الذي أراد لها تميزاً أوضح بهذا المرمر الأبيض. وترك تعاقب

في عام ١٣٦٨م ضربت صاعقة المنارة، وتسببت بهدم طابقها العلوي، فبنى الطابقين العلويين الأخيرين فيروز شاه طغلغ أحد سلاطين دلهي الأواخر



أكثر من عهد وشخص خلال قرنين من الزمان، من عهد أيبك إلى عهد طغلغ، بصمات واضحة على معمارية هذا البناء كما ذكرنا.

ومنذ البدء ببناء هذه المنارة عام ١١٩٣م تمّت إضافات كثيرة إلى أبنية مهمة في هذا المجمع؛ مثل المنارة التي أريد لها أن تكون أطول، وشُرع ببنائها، وأعطيت اسم (المنارة العالية)، لكن العمل توقف فيها فجأةً عندما كان ارتفاعها ١٢ متراً فقط، وأظهرت دراسات حديثة ميل هذه المنارة عن الاتجاه العمودي الذي ربما يكون السبب في توقّف البناء.

ويمتاز طراز هذه المنارة كثيرها مما سبقها من منارات

منارة قطب.. أثر إسلامي شاهد على عصور

يقع الأثر التاريخي قطب منار بالقرب من دلهي، وقد أدرجته منظمة اليونسكو في قائمة التراث العالمي، وتعدّ منارته الأطول من نوعها في الهند، وثاني أطول المنارات في تاريخ الآثار الإسلامية بعد منارة إشبيلية، ويبلغ ارتفاعها ٧٢ متراً ونصف المتر، وهي أطول منارة من الآجرّ في العالم. ويوجد داخل المنارة درج حلزوني يبلغ عدد درجاته ٣٨٠ درجة، واستعملت في بنائه أحجار رملية حمراء، وأُكمل المستويان الأخيران بالرخام الأبيض، وزُخرفت جدران المبنى بالنقوش والآيات القرآنية.

تُنسب المنارة إلى الحاكم الذي أمر ببنائها قطب الدين أيبك أول حاكم على دلهي من المماليك، وقد رغب أن يخلّد عهده كغيره من الملوك فأمر ببناء منارة في عام ١١٩٣م، لكن الظروف لم تُتح له إكمال العمل، فانتهى عند المستوى الأول، ثم قام خليفته التتمش بإضافة ثلاثة مستويات أخرى، وأتم البناء فيروز شاه تغلق في عام ١٣٤٨م. وشيّدت المنارة على أنقاض البرج الأحمر لمدينة دلهي القديمة، الذي بني في عهد الملك الهندوسي راي بيثورا عام ١١٨٠م. ويرى مؤرّخون أنه تمّ تسمية المنارة باسم منارة قطب نسبةً إلى المتصوّف خواجة قطب الدين، وليس إلى السلطان قطب الدين أيبك، وقد أتى قطب الدين من بغداد وعاش في الهند، وحظي بمكانة كبرى لدى السلطان التتمش. ويضمّ مجمع قطب منار عدداً من المباني، ويقع ضريح السلطان التتمش غرب المسجد.

العهدين الغزنوي والغوري في أفغانستان بأعمدة مشقّرة ومتداخلة تفصل بينها شرفات محمولة على مساند مقرنصة. والمنارة مبنية من حجر رملي أحمر محزّز مفصّل بنحت جميل ودقيق لآيات قرآنية. وبُنيت المنارة على أنقاض الحصن الأحمر في موقع لال كوت في عاصمة آخر حكام دلهي من الهنود.

قطب الدين أيبك

كان قطب الدين أيبك أول سلطان مسلم في دلهي، ومؤسّس سلالة الغلمان أو المماليك في الهند، وقد حكم أربع سنوات فقط بين عامي ١٢٠٦ و١٢١٠م. وحياة قطب الدين غريبة وحافلة بالأحداث: فقد وُلد طفلاً تركياً في وسط آسيا، لكنه سُرق وبيع غلاماً إلى غازي زعيم مدينة نيسابور في مقاطعة خراسان في شمال شرق إيران. وعامله غازي معاملة الابن الحقيقي. فعلّمه أحسن تعليم حتى أصبح يتكلم العربية والفارسية بطلاقة، وعلّمه الرماية والفروسية. لكن بعد موت غازي باعه أبناؤه الذين كانوا يغارون من رعاية والدهم له إلى أحد تجار الرقيق، الذي بدوره باعه إلى القائد محمد غوري حاكم ولاية غزني. وكان التُرك في ذلك التاريخ أقواماً كثيرة تسكن شمال آسيا ووسطها وغربها، ومنغوليا، وجنوب سيبريا، وشمال غرب الصين. ويتكلمون لغات لها أصل مشترك. ويتشاركون بدرجات مختلفة في العادات والتقاليد والتاريخ.

خلف قطب الدين أيبك في الحكم آرم شاه، لكن سرعان ما أزاحه عن الحكم شمس الدين التتمش. وشمس الدين التتمش هو ثالث سلطان تركي لسلطنة دلهي. والحاكم الثالث في سلالة مماليك الهند. وكان مملوكاً لقطب الدين أيبك قبل أن يصبح صهراً له، وكان من أبرز مساعديه وأقربهم إليه. أصبح حاكماً لولاية بادون قبل أن يزيح آرم شاه عن حكم دلهي؛ ليتولى هو السلطنة عام ١٢١١م، وبقي سلطانها حتى وفاته عام ١٢٣٦م. وقد بنى عام ١٢٣٠م خزان الحوض الشمسي في منطقة مهرولي في دلهي. وبنى عام ١٢٣١م ضريح ولده الأمير نصر الدين محمد. وكان أول ضريح في دلهي. أما قبر التتمش فموجود ضمن مجمع قطب في مهرولي في دلهي.

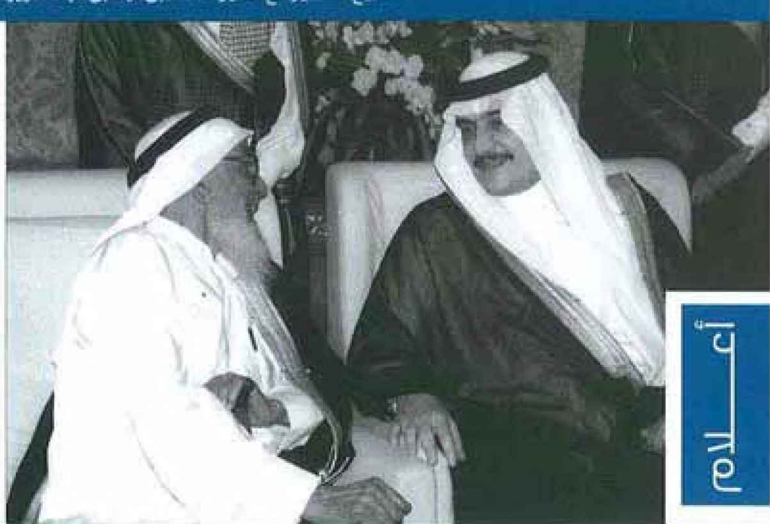
المراجع

- www.delhicapital.com/monuments-in-delhi/qutub-minar.
- wikipedia.org/wiki/Qutb_Minar.
- www.answers.com/topic/transoxiana.
- www.answers.com/topic/lakh--.
- wikipedia.org/wiki/Iltutmish.
- afghanistan.saarctourism.org/minaret-jam.
- wikipedia.org/wiki/Ghurid_Dynasty.

الشيخ إبراهيم بن راشد الصقير

إخبارياً ومؤرخاً

الشيخ الصقير مع الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز



أعلام

عبدالكريم إبراهيم السمك

الرياض - السعودية

المرحوم إبراهيم الصقير ممّن توافرت فيه عدالة الرواة؛ فهو ثبت صدوق صالح، بعيد من الكذب والتدليس، وهو صاحب علم ودراية بتاريخ نجد من خلال علاقاتها بما يجاورها من دول ومشيخات إلى زمن يعود إلى ما قبل قيام الدولة السعودية الأولى؛ فمما عُرف عنه أنه عندما كان يُسأل عن قضية كان لا يجيب عنها، وإن كان على علم بها، إلا بعد التحقّق منها سنداً من خلال زيارته المكتبات العامة، فيوثّق الجواب لسائله عنه على طريقة ثبت الإسناد للمرويات من المصادر المتفق على صحتها ومصداقيتها.

لا يقلّ التاريخ الشفوي مكانةً وقدراً في علميته عن التاريخ المدوّن، بشرط أن تتوافر في صاحبه الشروط التي وضعها علماء المنهج في علم التاريخ، وذلك بتقويم أيّ مادة تاريخية من خلال عدالة صاحبها التي أفاد بها ورواها، وتتمثل هذه العدالة في الصدق، وعدم التدليس والكذب، وغير ذلك من المنهيات التي يجب ألاّ تكون في الراوي. وشيخنا المُترجَم له

مولده ونشأته

في بلدة الزبير من أعمال العراق كان مولد الشيخ إبراهيم بن راشد الصقير، وقد كان مولده في السنة التي تمّ فيها افتتاح مدرسة النجاة الأهلية فيها على يد الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م؛ لذلك فهو زبيري المولد والنشأة، وهو ابن بيئتين أسهمتا في تكوين شخصيته في علوم التاريخ، فكان بيت والده هو البيئة الأولى التي دفعته إلى طلب العلم من خلال ما لمسه في والده من حبّه العلم وأهله؛ فقد كان والده يتابع الواقع العربي في تاريخه السياسي من خلال متابعته الصحافة العربية تلك الأيام. كما كان يقتني الكتب

ويشتريها، حتى تكوّنت عنده مكتبة خاصة به متنوعة العلوم والفنون. وليس أدلّ على صحة ما ورد عن والده مما أفادني به المُترجَم له من أن والده كانت لديه أعداد كثيرة من مجلة الشرق الأدنى للمرحوم أمين سعيد، التي كان يصدرها من القاهرة عام ١٩٢٧م[١]، وكانت هي المجلة السياسية والتاريخية الأولى التي

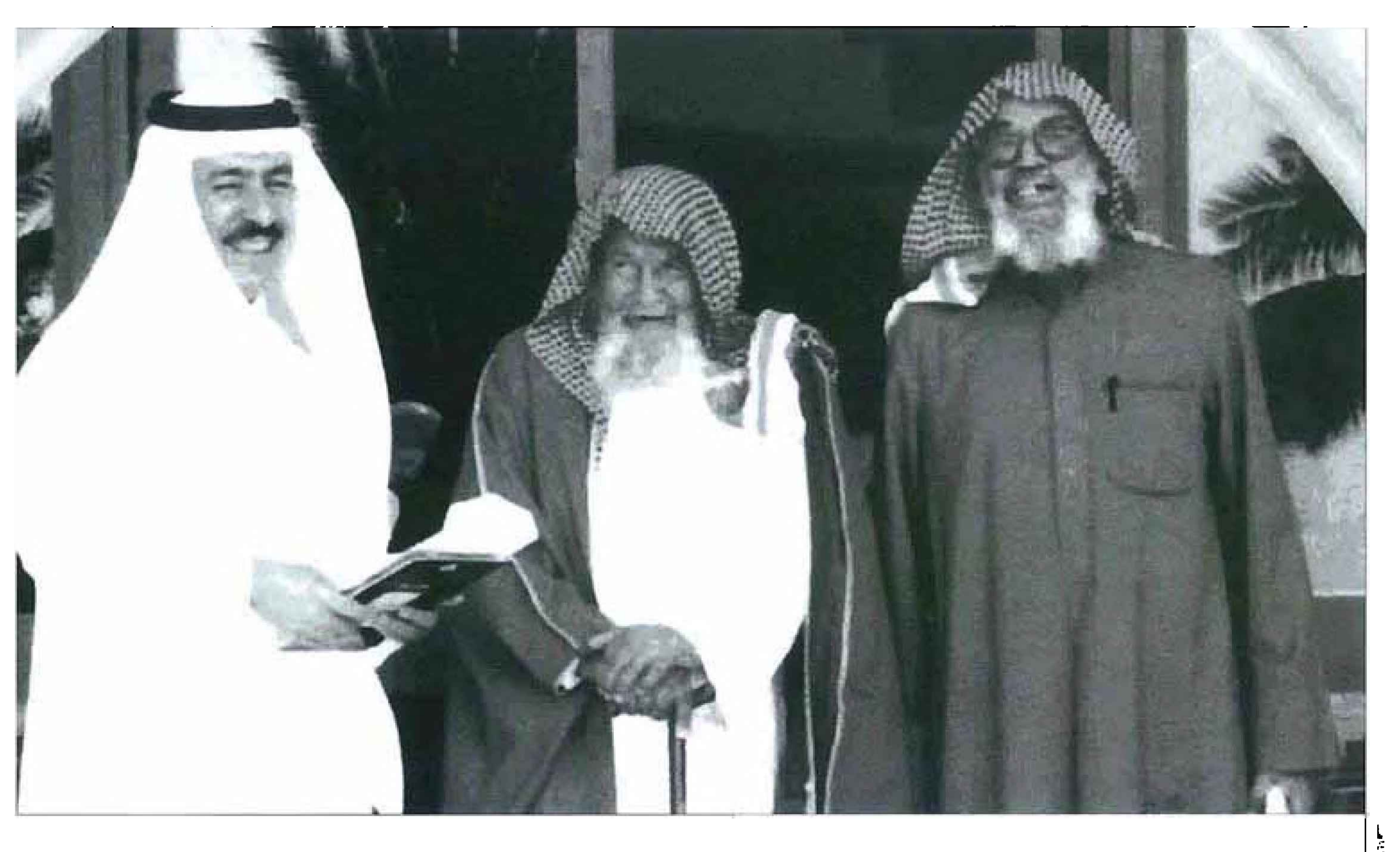
عندما كان يُسأل عن قضية كان لا يجيب عنها، وإن كان على علم بها، إلا بعد التحقّق منها سندا

تُعنى بمناهضة الاستعمار البريطاني والفرنسي، وقد أوقفتها السلطات البريطانية في مصر. وجاءت إفادة الشيخ إبراهيم هذه لي بعد علمه بامتلاكي مقتنيات أمين سعيد - رحمه الله - وموروثه الصحفي والتاريخي، وقد أبدى إعجابه بشخصية أمين سعيد من خلال ما كان يقرؤه في مكتبة أبيه من آثار أمين سعيد. ففي ظلّ هذه البيئة الأولى نشأ عند الشيخ إبراهيم حبّ التاريخ من خلال طلبه العلم، ورعاية أبيه له في هذا الجانب.

أما البيئة الثانية في تنمية شخصية المُترجَم له علمياً، فقد كانت المدرسة التي التحق بها طالب علم، وفيها تلمذ لعدد من أساتذتها الفضلاء، الذين كانوا ممّن أسهموا في افتتاحها، وكان منهم الشيخ الشنقيطي رائد المشروع وصاحب فكرة افتتاح المدرسة، وخلفه في إدارة المدرسة بعد وفاته الشيخ ناصر الأحمد[٢]، والشيخ حمد السالم صاحب مخطوط (مساجد الزبير)[٣]، الذي حقّقه الدكتور قاسم السامرائي مستعيناً بالمُترجَم له، وتكرّمت دار الفيصل بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بطباعته ونشره ضمن منشورات سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

في مدرسة النجاة الأهلية درس الشيخ إبراهيم الصقير جميع المراحل الدراسية، ومع دراسته هذه كان يعمل في التجارة، لكن العلم في حياته هو الأساس؛ فقد كان يحبّ القراءة والمطالعة، ولعلّ وجود مكتبة الزبير الأهلية في الزبير، وما تحتويه من نفائس الكتب والعلوم والمخطوطات، قد استهوته، فكان دائم الزيارة لها، ولا ينقطع عنها، وقد أسهمت هذه الزيارات لمكتبة الزبير في تنمية شخصيته العلمية إبّان نشأته الشبابية وصقلها.

وعلى النهج الذي نشأ عليه واصل مسيرته العلمية من خلال جهده الشخصي في طلبه العلم، فكان صاحب إلمام باللغة العربية، إضافةً إلى علمه في التاريخ، ولعل كثرة القراءة عنده زادت من معارفه وعلومه، ونمّت ذاكرته، وهو في هذا الجانب يتمتّع بذاكرة حفظ كبيرة، خصوصاً ما كان معنياً بالأحداث التاريخية النجدية ورجالاتها، وهذا الأمر جعله صاحب مرجعية عند عدد من طلبة التاريخ والباحثين، إضافةً إلى ما كان يربطه بالعلماء والباحثين من روابط، خصوصاً الشيخ حمد الجاسر رحمه الله؛ لما وجده فيه الشيخ الجاسر من أهلية علمية بتراجم الرجال والأحداث، فعندما كان يشكل عند الشيخ الجاسر أمر معنيّ ببلدة الزبير وأهلها لم يكن يجد من يسأله إلا الشيخ الصقير، ومن ذلك



كان يقتني الكتب ويشتريها، حتى تكونت عنده مكتبة خاصة به متنوعة العلوم والفنون

- على سبيل المثال - قضية معارضة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - وهو خارج نجد، خصوصاً في بلدة الزبير: فقد كان الشيخ إبراهيم على علم بالمعارضين، كما كان على علم بالمؤيدين. وقد أفادني الدكتور محمد النويصر - أستاذ التاريخ الحديث في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - بأن الشيخ إبراهيم الصقير كان خير من ساعده في هذا الجانب من خلال مناصحته وإرشاداته له، وبيان حال الدعوة في الزبير أيام الدولة السعودية الأولى. خصوصاً أن رسالة دكتوراه الدكتور النويصر كانت عن مسألة معارضة الدعوة في خارج نجد. وكانت بلدة الزبير واحدة من البلدان التي وجد فيها من عارض دعوة الشيخ، ولا يزال الدكتور النويصر يذكر الشيخ إبراهيم بخير على ما أفاده به في هذا الجانب.

حتى كتاب (إمارة الزبير بين هجرتين.. بين سنتي ٩٧٩ و١٣٤٢هـ) كان الشيخ إبراهيم قد أفاد كلا المؤلفين بمادة تاريخية كبيرة ونادرة قلّ أن يعرفها إلا من كان على قدر الشيخ إبراهيم الصقير ومكانته. وثمة كثير من طلبة البحث العلمي كانوا على صلة بالشيخ الصقير، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على مكانته العلمية، وسمو رفعته بعلم التاريخ: مما جعله صاحب مرجعية وترجيح في قضايا تاريخية فيها شيء من الغموض واللبس.

الزبير بعد أن وجد فيها البيئة المناسبة لرسالته التي ينوي القيام بها بعد أن رحّب به أهل الزبير.

ذكر الشيخ الشنقيطي في ترجمته التي كتبها بيده أنه صاحب نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. وهذه الإفادة قدّمها ولده يوسف إلى كاتبي كتاب (إمارة الزبير بين هجرتين)، وقد ترجم صاحبا الكتاب للشيخ الشنقيطي ترجمةً وافيةً من خلال إفادة ابنه يوسف لهما. وعاش الشيخ الشنقيطي مع مدرسته قرابة اثنتي عشرة سنة بعد افتتاحها، فكان معلماً فيها، ومديراً لها، حتى أدركته الوفاة سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م. ومن مآثر الشيخ الشنقيطي - رحمه الله - أنه صاحب ولاء عثماني؛ فقد ناهض أيّ شكل من أشكال الخروج على الدولة العثمانية؛ لذلك عندما احتلّت إيطاليا ليبيا عام ١٩١١م غادر الزبير ليلتحق بكتائب الجهاد ضد الإيطاليين مع الشيخ عمر المختار وإخوانه العلماء. وبعد أن خبا صوت الجهاد عاد ثانيةً

أسهمت هذه الزيارات لمكتبة الزبير في تنمية شخصيته العلمية إبان نشأته الشبابية وصقلها

الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رائد النهضة التعليمية في الزبير

في بلدة شنقيط من أعمال موريتانيا اليوم كان مولد الشيخ محمد أمين الشنقيطي - رحمه الله - سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٩م[4]. وعندما بلغ من العمر عشرين سنة وسنة قصد الأزهر للدراسة فيه، وفي الأزهر تلمذ لخيرة علمائه وشيوخه. وبعد تخرّجه فيه قصد الحجاز، ونزل نجد ماراً بالقصيم، ليقيم بعض الوقت في عنيزة، ومنها قصد العراق ليلقي عصا التسيار والترحال في بلدة

إلى الحجاز، ومنها إلى القصيم قاصداً الزبير؛ ليبدأ حياة جديدة في حياته في هذه المدينة الوديعة؛ فقد عرض على أهلها مشروع افتتاح مدرسة تدرّس العلوم الحديثة؛ ليواكب أبناء الزبيريين مسيرة التعليم الحديث الذي شهده العالم حينها. ورحّب أهالي الزبير بدعوته، ومدّوا إليه يد المساعدة. وقامت مدرسة النجاة الأهلية سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩٢٠م[1]. فتركت هذه المدرسة ذكرى طيبته له عند أهل الزبير عندما أصبحت هي النواة الأولى في نهضة الزبير من خلال تنوّع دراسات أبنائها في مختلف العلوم والفنون.

رحم الله الشيخ الشنقيطي الذي أدركته الوفاة بعد أن اعتلّ جسمه بمرض باطني، آثر فيه الاعتزال في الصحراء ليعيش في خيمة قرابة الشهرين، وطعامه في ذلك هو حليب الإبل. وما إن علم به وبحاله أبناء بلدة الزبير من التجار الموسرين حتى هبّوا يعرضون عليه تطبيبه في المكان الذي يريد حيث تتوافر فيه إمكانية علاجه، لكنه آثر الحياة التي يعيشها على أن يستجيب للطلب، فجاءت وفاته - رحمه الله - وهو على هذا الحال الذي يعيشه بعد شهرين من عزلته.

آل الصقير وقصة هجرتهم إلى الزبير

آل الصقير[2] واحدة من الأسر النجدية التي شاء لها القدر أن تتخذ من بلدة الزبير دار هجرة لها بقصد طلب الرزق عن طريق التجارة بعد أن نشطت التجارة بين نجد والزبير على يد أبناء الزبير من النجديين. ويعود اهتمام النجديين بالزبير إلى قربها من بلادهم ودار موطنهم. وتشير المصادر إلى تأخّر هجرة آل الصقير إلى الزبير عن غيرهم ممن سبقوهم من أبناء موطنهم في بلدة المجمعة.

وآل الصقير في نسبهم الذي يرجعون إليه ينتسبون إلى قبيلة عنزة - فخذ الصقور، وكانوا قد استوطنوا المجمعة ليعملوا في التجارة فيها، ومن المجمعة قصد جدهم الأعلى الزبير مهاجراً ليعمل في التجارة فيها سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، ثم اتّسعت تجارته بين المجمعة والزبير ومشيخات الخليج. فاستقدم لذلك ابنه حمد بن عبدالله سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م لكي يعمل معه، فعملا في تجارة الأطعمة والشاي وغيرهما من

مواد التجارة. وبعد أن وجد الأب عبدالله قدرة ابنه حمد على أن ينفرد بنفسه تركه وعاد إلى المجمعة بقصد تنشيط تجارته فيها من خلال ما يرسله إليه ابنه من بضائع. وثمة رواية أوردها صاحب كتاب (إمارة الزبير بين هجرتين) تقول: إن قاسم باشا الزهير هو الذي استقدم حمداً من المجمعة ليعمل وكيلاً له في أملاكه في القرمة والفداغية.

وأياً كان السبب في القدوم فقد مضى حمد في تجارته محققاً نجاحاً وأرباحاً كبيرة. ومع هذا الحال من النجاح وكثرة الأرباح وجد أنه من الأفضل له أن يستقدم أخاه إبراهيم كي يساعده في تجارته. فوصل إبراهيم إلى الزبير بأسرته سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م. وعند قدومه كان عمر ابنه راشد سنتين. وواصل إبراهيم العمل التجاري مع أخيه حمد بين نجد والزبير. وقد أدركت المنية حمداً وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. تاركاً وراءه ولده عبدالرزاق الذي تكفّل به عمّه إبراهيم وابنه راشد. ولما عُرف عن راشد من دماثة في الخلق والأمانة والصلاح فقد وجد فيه آل الإبراهيم في (الدورة) غايتهم ومصلحتهم. ووكلوا إليه إدارة شؤون أملاكهم فيها. فقام بعمله على الوجه الحسن. وقد أعقب راشد هذا ولدين، هما: محمد، وإبراهيم. تزوّج محمد ابنة عبدالله العنزي، وتزوّج إبراهيم ابنة الشيخ ياسين آل عبدالجبار. وكلاهما رزق بالذرية الطيبة المباركة. وبسبب واقع ما عاشه العراق في نهاية العقد السادس من القرن العشرين الميلادي من أحداث دامية شهدت الزبير في أهلها هجرةً معاكسةً من أبناء نجد. وكان آل الصقير ممن عادوا إلى موطنهم الأم، وهو المملكة العربية السعودية، وكان الشيخ إبراهيم دائم الزيارة للعراق. قاصداً من ذلك زيارة بلدة الزبير. إلى أن جاءت الأحداث الأخيرة على العراق. فقطع كل صلة له بها. رحمه الله.

بلدة الزبير وقصة نشأتها

إن خير من كتب عن نشأة بلدة الزبير وتاريخها هما الأستاذان الفاضلان عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع وعبدالعزيز عمر العلي في كتابهما النفيس (إمارة الزبير بين هجرتين.. بين سنتي ٩٧٩ و١٣٤٢هـ) في مجلداته الثلاثة. وقد صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ولم يترك المؤلفان شيئاً عن الزبير إلا ذكراه: كالحياة الاجتماعية، والتعليمية، والمعيشية، والسكانية، والتجارية، وكلّ ما هو معنيّ بسكان الزبير من خلال البنية السكانية فيها. كما ترجم المؤلفان لكثير من أسر الزبير ووجهائها وعلمائها. والكتاب في إطاره العام كتاب شامل كامل في أخبار هذه البلدة. وتجاوز المؤلفان حدود الكتابة فيه إلى الحديث عن أحداث نجد، وما حصل فيها من حوادث أسرية دامية كانت سبباً مباشراً لهجرة عدد غير قليل من الأسر النجدية لتستوطن الزبير خوفاً من تكرار مثل هذه الحوادث.

وفي انتقال النجديين إلى الزبير وسكناهم لها زال عند بعضهم كثير من القضايا الخلافية فيما بينهم من خلال إيمان الجميع بالسعي إلى حياة أفضل في جنبات هذه البلدة. وفي الحديث عن نشأة بلدة الزبير تكلّم المؤلفان عن مكانة بلدة الزبير كقاعدة صلة وتواصل مع خطوط التجارة: كالبصرة، وحلب، وأواسط نجد، ومشيخات الخليج، وإيران، والهند. وقد مرّ بها بعض الرحّالين الأجانب فتحدثوا عنها. منهم - على سبيل المثال - نيبور الذي ذكرها في مذكراته عام ١٧٦٥م. فتكلّم عن مكانتها التجارية كقاعدة صلة وتواصل مع ما يجاورها.

وتعود صلة النجديين ببلدة الزبير إلى ما يقرب من أربعمئة عام مضت عندما اتخذوها دار هجرة لهم من موطنهم نجد بعد دخول العراق في حدود جغرافية الدولة العثمانية سنة ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م. التي تُنسب إليها نشأة بلدة الزبير[١]. وذلك بعدما علم السلطان سليم الثاني بن السلطان سليمان القانوني سنة ٩٧٩هـ بوجود ضريحي الصحابيين الزبير بن العوام

لم يكن الصقير من المكثرين في الكتابة، بل كان واحداً من الذين أفادوا بعلمهم غيرهم، فكتبوا ما سمعوه منهم

وطلحة الخير رضي الله عنهما فيها. وكلاهما من السابقين إلى الإسلام، ومن العشرة المبشّرين بالجنة. فبنى السلطان سليم الثاني مسجداً بجوار الضريحين. وبنى على كل ضريح قبة لكلّ قبر تكريماً لصاحب القبر. وقد وثّق هذا الكلام ما نقله الشيخ محمد النبهاني في كتابه (التحفة النبهانية): إذ قال: نقلاً عن لوحة رخامية موضوعة على حائط القبة تقول: «ولما دخل العراق في حوزة العثمانيين سنة ٩٥٢هـ قاموا ببناء مسجد عند ضريح سيدنا الزبير رضي الله عنه. وهو أول مسجد في هذه القصبة. وفي رجب من عام ٩٧٩هـ قام بخدمة ضريحه وضريح طلحة الخير واحترامهما بإنشاء القبتين على ضريحيهما المرحوم المبرور السلطان الغازي سليم الثاني ابن السلطان سليمان القانوني. وبعد بناء القبة جعل الناس يقصدون السكن حذاءهما تبرُّكاً بالمقام».

بعد ذلك توافد الناس لسكنى الزبير. وكان للنجديين قصب السبق في سكنى البلدة. ومع زيادة أعداد النجديين فيها بنوا مسجداً ثانياً فيها سنة ١٠٠٦هـ عُرف بمسجد النجادة. بعد ذلك ازدادت بشكل ملحوظ هجرة كثير من أبناء عالية نجد، سواء أكان بدعوى طلب الرزق أم بسبب معارضة بعضهم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله. ومن بلدة الزبير هذه انتشر كثير من أبناء نجد لاستيطان مشيخات الخليج. وكان لاستيطانهم هذا الدور الكبير والمباشر في نشأة هذه المشيخات والإمارات.

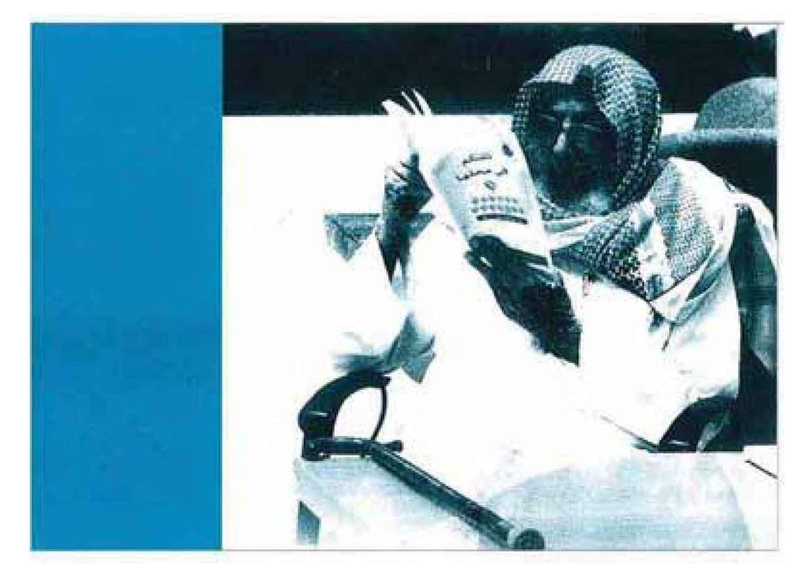
الحياة العلمية في الزبير

سبق الحديث عن نشأة بلدة الزبير، وأنها بلدة حديثة العهد. ومع ذلك فقد كان ساكنوها على درجة من الوعي وحسن الفهم، خصوصاً النجديين الذين مضوا في النهوض ببلدتهم. فنهضوا بتنميتها حتى أصبحت مختلفةً عن البلدان المجاورة لها التي كانت لا تزال رهينة الجهل والفقر وانعدام التعليم: فالجانب التعليمي في بلدة الزبير كان جيداً على الرغم من بداياته، وكان يقوم على حلقات المساجد، ونظام تعليم الكتاتيب المعروف الذي كان يسود المجتمعات والمدن العراقية. وقد عرفت الزبير كثيراً من العلماء والفضلاء من أهل العلم الذين كانوا قد تلقوا علومهم على طريقة حلقات المساجد أو الكتاتيب. وقد ظهرت أول مدرسة رسمية في الزبير على يد العثمانيين سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م[٢]. وبسبب ظروف الحرب العالمية الأولى أغلقت. وجاء الإنجليز فافتتحوا مدرسة في الزبير بعد احتلالهم البصرة سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م، لكن الأهالي الذين ناهضوا استعمار إنجلترا للعراق نفروا من المدرسة، ولم يلتحقوا بها، فتم وقفها وتعطيلها.

وهكذا عاشت الزبير على الأسلوب التعليمي التقليدي حتى جاءها الشيخ الشنقيطي بمشروعه القاضي بافتتاح مدرسة النجاة الأهلية في الزبير سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م. وحتى يتم افتتاح هذه المدرسة تقدّم الشيخ الشنقيطي بالمشروع إلى وجهاء الزبير وتجارها. فأيدوا دعوته، ومدوا إليه يد العون. وعلى الفور تشكّلت لجنة من الأهالي أقرّت المشروع، ومن هذه اللجنة انبثق مجلس إداري للمدرسة برئاسة الشيخ الشنقيطي، إضافةً إلى عمله مديراً للمدرسة. وكان وكيله في الإدارة الشيخ إبراهيم البسام. وكان الحاج محمد العقيل كاتباً. والشيخ حمد السالم أميناً للصندوق، وعبدالمحسن المهيدب وداود البريكان أعضاء فيها. وسارت المدرسة على النهج الذي رُسم لها، وأسهمت بشكل مباشر في تنمية مجتمع الزبير تجاه مستقبل علمي يواكب النهضة التي تعيشها دولة العراق. ولم تقف حال المدرسة على هذا الواقع: فقد ألحق بها مدرسة للبنات، وتمدّدت مراحلها التعليمية: وأُنشئ معهد علمي للمدرسة على الرغم من استمرارية المنهج التعليمي التقليدي الخاصّ بتعليم الكتاتيب وحلقات المساجد. فكانت تلك صورة الحياة التعليمية في بلدة الزبير قبل الهجرة المعاكسة لأبنائها

الصغير واحدة من الأسر النجدية التي شاء لها القدر أن تتخذ من بلدة الزبير دار هجرة لها بقصد طلب الرزق عن طريق التجارة

من أهالي نجد عندما غادروها ليعودوا إلى وطنهم الأم تاركين كلّ شيء وراءهم. وبعودتهم هذه لم يبقَ لأهل نجد من ساكني الزبير إلا ذاكرة التاريخ التي خلّدت لهم الذكرى الكريمة فيها.



الشيخ إبراهيم الصقير وآثاره العلمية

لم يكن صاحب الترجمة من المكثرين في الكتابة، بل كان واحداً من الذين أفادوا بعلمهم غيرهم، فكتبوا ما سمعوه منهم؛ فهو مقلّ في الكتابة على الرغم مما يحمله في صدره من علم يؤهّله للكتابة فيه؛ لذلك كان يصنّف - كما سبق أن أشرت - عند علماء الأصول والمناهج من أبناء مدرسة النقد على أنه إخباري يؤخذ منه بعد أن توافرت فيه شروط العدالة الواجب توافرها عند الإخباريين والرواة.

والذي أقوله فيه، وفقاً لما وضعه علما الأصول في تقييم الإخباريين والرواة بعد أن أفضى إلى ربه رحمه الله تعالى، وبعد مضيّ ثلاثة عقود على معرفتي وعلاقتي به، ولا أزكّي على الله أحداً: إنه ثبت، عدل، صدوق، بعيد من الكذب والتدليس من خلال معاشرتي له طوال ما ذكرت من زمن. إلا أنه كذلك من أهل الصلاح والورع ومخافة الله، وهذه الصورة عنه - رحمه الله - كما هي عندي هي عند غيري ممن عرفوه وجالسوه واستأنسوا بصداقته.

وعلى الرغم من قلة مؤلفات الشيخ الصقير التي نشرها - كما سبق أن ذكرت من أنه لو قدّرت له الكتابة لأثرى مكتبة التاريخ السعودي في دولها الثلاث - إلا أنه لا يسع الإنسان إلا أن يقول: «لعلّ له عذراً وأنت تلوم». والشيخ إبراهيم أكبر من أن يلومه أحد، ولكن ذكرتُ ذلك تمشّياً مع مجرى المثل وغرضه. وعلى قلة ما كتب فله الشكر في كتاب تاريخ ابن ضويان الذي مات عنه صاحبه ولم يشهد نشره، فأتمّه الشيخ إبراهيم وعمل على نشره بعيداً من أن يستأثر بما كتبه ابن ضويان وينسبه إلى نفسه؛ فهذا دليل على أمانته العلمية، رحمه الله. ويلحق به مخطوط الشيخ حمد العسافي الخاص بمساجد الزبير. والعسافي - رحمه الله - ممّن تلمذ للشيخ إبراهيم الصقير في مدرسة النجاة الأهلية؛ فعندما ذهب الدكتور قاسم السامرائي للعمل على تحقيق المخطوط الذي تمتلكه مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكان قد أهداه إليها ابن الشيخ العسافي، افتقر الدكتور السامرائي إلى توثيق نصّ المخطوط من زبيري معاصر يعرف كاتب المخطوط، ويعرف عن الزبير كل شيء من مساجدها ورجالها وسكانها، فوجد مسألته عند الشيخ إبراهيم الصقير[١١]. وهذا المخطوط على صغر حجمه ذو مكانة علمية؛ لأنه يؤرّخ لمساجد الزبير مسجداً مسجداً من خلال صاحب البناء والوقف، والأئمة والخطباء، وعدد هذه المساجد التي تحتضنها بلدة الزبير. وقد أخرج الدكتور السامرائي الكتاب مطبوعاً بعد أن عمد في توثيق نصّه إلى تذييل كلام الشيخ إبراهيم على ما جاء به صاحب المخطوط الشيخ العسافي بقوله: (أي: المحقق)[١٢]: ويقول الشيخ إبراهيم بن راشد الصقير. فجاءت إفاداته العظيمة لتضفي على نصّ المخطوط شأناً ومكانةً علميةً رفيعةً.

عاشت الزبير على الأسلوب التعليمي التقليدي حتى جاءها الشيخ الشنقيطي بمشروعه القاضي بافتتاح مدرسة النجاة الأهلية

فخرج التحقيق على الشكل الصحيح الذي رسم له المحقّق أن يخرج عليه. وقد بلغ عدد مساجد الزبير - حسب ما جاء في المخطوط - اثنين وعشرين مسجداً، وألحق بها المحقّق أربعة مساجد، هي: المنتفك، والحقيري، وعلي البسام، ومسجد ابن فراج. وقد خصّ المحقق هذه المساجد الأربعة بملحق أفاده به الشيخ إبراهيم الصقير، فقال: المساجد الأربعة التي ذكرها الشيخ إبراهيم الصقير.

لقد نال صاحب هذه الترجمة - رحمه الله - المكانة والتقدير عند كثير من معارفه، خصوصاً مسؤولي إدارات المكتبات العامة والمراكز العلمية الثقافية ومديريها؛ لما عرفوه عنه من روح شبابية وخيرية وحضوره الدائم المحاضرات العلمية والتاريخية، ويلحق بهذا كما سبق أن أشرت زياراته المكتبات العامة باحثاً وقارئاً في كتبها. وربما كان يزور في اليوم أكثر من مكتبة، وهو الزائر الذي لا يُمَلُّ منه في جميع المكتبات التي يزورها.

وفاته رحمه الله

أدركت الشيخ إبراهيم الوفاة وهو بكامل صحته؛ إذ شارك في صلاة جمعة اليوم الأول من العشر الأواخر من رمضان سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، وكان قد بلغ به العمر سبعاً وثمانين سنة، وكان صدى سماع وفاته قد ترك في قلوب محبّيه وعارفيه الأسى والحزن عليه، ما وسعهم في ذلك إلا التسليم بقضاء الله وقدره، وأن الموت حق على العباد، فالله نسأل أن يمنّ عليه بالمثوبة وكرم المنزلة عنده سبحانه وتعالى: إنه وليّ ذلك والقادر عليه. وقد نعته مجلة (أحوال المعرفة) في عددها الخامس والأربعين. وقد كتبتُ هذه الترجمة وفاءً لقدر هذا الرجل في دينه وعلمه وطيب معشره لنشرها في مجلة (الفيصل الأدبية)، التي فتحت صفحاتها لاحتواء ترجمته كما احتوت ترجمة غيره من أفاضل العلماء والأدباء والمؤرخين؛ فهي تزخر في أعدادها بكثير ممن هم من أهل العلم والفضل من باب الوفاء والتقدير والاحتفاء بهم حتى لا تذهب سيرتهم من ذاكرة من لم يشهدهم أو يعرفهم. فللقائمين على مجلة (الفيصل الأدبية) خالص الشكر والدعاء.

الهوامش والمراجع

(١) أمين سعيد: مؤرّخ وصحفي أثرى المكتبة العربية بأكثر من ٤٠ كتاباً في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، وُلد سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، وكانت وفاته سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، أصدر مجلة (الشرق الأدنى) في القاهرة، وأوقفتها السلطات البريطانية لتبنّيها القضايا العربية.

(٢) وُلد في مدينة الزبير سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩١م، ولقي وجه ربّه في ١٩٦٢/٧/٢٥م، وله ترجمة واسعة أنصح بالرجوع إليها في كتاب (إمارة الزبير بين هجرتين، بين سنتي ٩٧٩ و١٣٤٣هـ)، والكتاب في ثلاثة أجزاء، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، الجزء الثالث، ص١٣٠.

(٣) المرجع نفسه، الجزء الثالث، ص١٥٧. وُلد في بغداد سنة ١٣١١هـ. وعن وفاته أفاد الشيخ إبراهيم الصقير أنه حتى عام ١٩٧١م كان - رحمه الله - حياً، انظر كتاب (مساجد الزبير)، تأليف: محمد بن حمد العسافي مشاركة مع إبراهيم بن راشد الصقير، تحقيق وتقديم: د. قاسم السامرائي، مطبوعات دار الفيصل الثقافية، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٢٦.

(٤) المرجع نفسه، الجزء الثالث، ص١٤٥.

(٥) المرجع نفسه، الجزء الثالث، ص١٥٣.

(٦) المرجع نفسه، الجزء الثالث، ص٢٧٠.

(٧) المرجع نفسه، الجزء الأول، ص٢١٦.

(٨) المرجع نفسه، الجزء الأول، ص٤٥.

(٩) المرجع نفسه، الجزء الثالث، ص٢٧٠.

(١٠) مساجد الزبير، مرجع سبق ذكره، ص٩.

(١١) عن ثناء الدكتور السامرائي على الشيخ إبراهيم الصقير، وبيان علمه، وسمو قدره، وذكره بخير، انظر: مساجد الزبير، ص٢٦.





خادم الحرمين الشريفين يرعى المؤتمر الدولي الثاني للتعلّم الإلكتروني والتعليم عن بُعد



خادم الحرمين الشريفين

يرعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - المؤتمر الثاني للتعلّم الإلكتروني والتعليم عن بُعد، الذي ينظمه المركز الوطني للتعلّم الإلكتروني والتعليم عن بُعد في قاعة الأمير سلطان الكبرى بفندق الفيصلية بالرياض في المدة ١٨-٢١ ربيع الأول سنة ١٤٣٢هـ الموافق ٢١-٢٤ فبراير عام ٢٠١١م.

ورفع معالي الدكتور خالد بن محمد العنقري - وزير التعليم العالي - أسمى آيات الشكر والعرفان إلى القيادة الرشيدة؛ لدعمها غير المحدود للارتقاء بأداء التعليم العالي وتطويره؛ ليسهم بفاعلية وفق رؤى مستقبلية طموحة في بناء الوطن، والارتفاع بالمستوى العلمي والفكري لأعضاء هيئة التدريس والطلاب، مستفيدين من كل أدوات العصر؛ ليشاركوا في استشراف المستقبل بثقة واقتدار.

وبيّن الدكتور محمد بن عبدالعزيز العوهلي - وكيل وزارة التعليم العالي للشؤون التعليمية، رئيس اللجنة التنظيمية للمؤتمر - أن ما حققه المركز الوطني في تأسيس بنية واعدة لهذا النمط من التعليم، وسعيه إلى الإفادة من التجارب المتقدمة، كانا وراء إقرار هذا المؤتمر الذي يهدف في دورته الثانية إلى تقديم الرؤى والتجارب العالمية؛ مما يعزّز أهداف خطط التنمية لتطبيق تقنية المعلومات والاتصال وتوطينها في المؤسسات التعليمية، بما يلبي رؤى الوزارة وطموحاتها، ويحقق متطلبات التنمية الوطنية.

وأوضح الدكتور عبدالله بن محمد المقرن - مدير المركز الوطني ونائب رئيس اللجنة التنظيمية للمؤتمر - أن المؤتمر يهدف إلى الاطلاع على أحدث البحوث والدراسات العلمية في ميدان التعلم الإلكتروني والتعليم عن بُعد، وتبادل الخبرات العلمية بين المختصين والمهتمين في مجال التعلّم الإلكتروني، واستشراف مستقبل التعلّم الإلكتروني والتعليم عن بُعد في عالم مجتمع المعرفة.

وقال د. المقرن: إن من أبرز الضيوف الدوليين السير تيم بيرنرز لي مخترع شبكة (الويب) العالمية، وجيمي ويلز مؤسس موقع ويكيبيديا، ضمن ١٠٩ من المتحدثين المختصين والخبراء في مجال التعلّم الإلكتروني والتعليم عن بُعد من ١٧ دولة، يناقشون ٧٨ بحثاً على مدى أربعة أيام من خلال ستة محاور. ويصاحب المؤتمر معرض لتعرّف الجديد في عالم تقنيات التعلّم والاتصال، وورش عمل متخصّصة عن التعلّم الإلكتروني والتعليم عن بُعد.

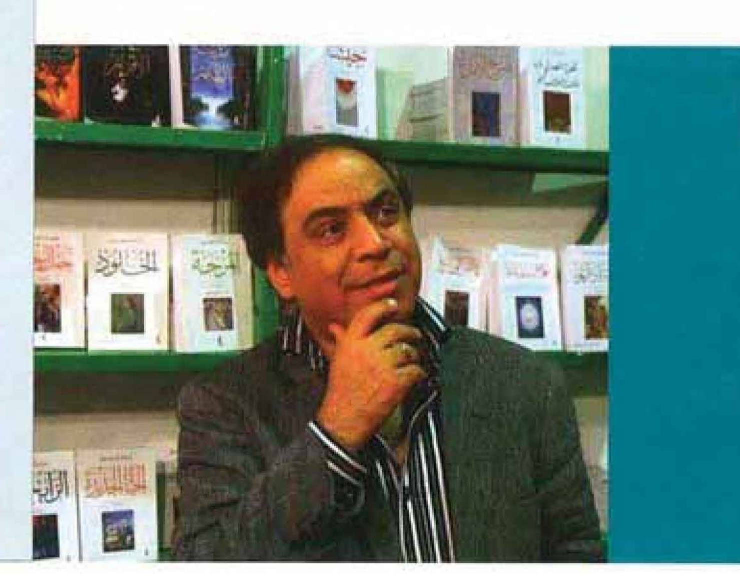
انطلاق معرض الرياض الدولي للكتاب في مارس المقبل

تشارك أكثر من ٩٥٠ دار نشر من المملكة ودول عربية وأجنبية في الدورة المقبلة من معرض الرياض الدولي للكتاب الذي يُقام في مارس عام ٢٠١١م.

وقال الدكتور عبدالله بن صالح الجاسر - وكيل وزارة الثقافة والإعلام للشؤون الإعلامية والمشرف العام على معرض الرياض الدولي للكتاب: في كل عام تأتي زيادة ورغبة من دور نشر داخلية وخارجية في المشاركة في المعرض، ولو ضيّقت المساحة المخصّصة للعرض لأمكن استيعاب أكثر من ١٢٠٠ دار نشر. وأضاف: إن الكشوفات التي تحت أيدينا تؤكد أن أكثر من ٩٥٠ دار نشر سعودية وعربية، وعربية في دول أوربية، وغيرها، ستشارك في المعرض هذا العام. وأوضح الجاسر أن معرض الرياض الدولي للكتاب مناسبة سنوية ذات ثقل ثقافي كبير، مؤكداً أن احتلال المعرض المرتبة الثانية على مستوى معارض الكتاب العربية في الاستطلاع الذي أجرته مؤسسة الفكر العربي يعدّ أمراً مشرفاً، ويعكس الحراك الذي تشهده الساحة الثقافية في المملكة. وقال عن اختيار الهند ضيف شرف المعرض في دورته هذا العام: إن الاختيار لم يتم لسبب معين. موضحاً أن اختيارها جاء لأنها كانت من أوائل الدول التي تقدّمت لتكون ضيفاً للشرف. ولفت إلى أن هناك اعتبارات أخرى. أهمّها علاقة ضيف شرف المعرض بالمملكة، والصلات التي تربطها مع هذه البلاد، وأبرزها الصلات الثقافية.

ملتقى القدس للفنون التشكيلية.. تجسيد الألم والأمل

بدأ ملتقى القدس الأول للفنون التشكيلية بمشاركة فنانين من بلدان مختلفة، وقد افتتحه نور صبيح - سفير فلسطين في الجامعة العربية - ومحمد الصاوي - مؤسّس الساقية - وأقيمت على هامش الملتقى ندوة شارك فيها نور صبيح، والدكتور حمدي المرسي - مدير مؤسسة القدس في مصر - وفنان الكاريكاتير المصري أحمد طوغان. وغلبت على كثير من لوحات الملتقى مشاهد الحزن، ومنها تصوير الأطفال وهم يتطلعون إلى السلام ومن خلفهم الجامع والكنيسة. وقام الفنان طارق زايد بعمل لوحة تجريدية تحمل مجموعات لونية جمالية، ومن فوقها صورة امرأة ترتدي نقاباً، وعلى جسدها ووجهها بعض الخيوط التي تقيّد حركتها تماماً. كما عرض الفنان خالد الدسوقي مجموعة من الصور الفوتوغرافية من داخل القدس المحتلة.



أخبار

الموت يغيّب عدداً من الأدباء


محمد الثبيتي

توفي مؤخراً عدد من الشعراء: فقد توفي الشاعر السعودي محمد عواض الثبيتي (١٩٥٢م- ٢٠١١م) في ٢٠١١/١/١٥م بعد أن وافته المنية في سيارة الإسعاف التي كانت تنقله إلى أحد مستشفيات مكة المكرمة على إثر أزمة صحية ألمت به. وكان الثبيتي يستكمل علاجه في مكة بعد خروجه من مدينة الأمير سلطان الطبية للتأهيل في الرياض على إثر تعرّضه لجلطة في المخ في مارس عام ٢٠٠٩م. ويعدّ الراحل المولود في قرية بني سعد (جنوب الطائف) أحد أهم شعراء القصيدة الحديثة في المملكة؛ إذ شكّلت قصائده واحدةً من أنضج التجارب الشعرية في المشهد الإبداعي. وهو حاصل على بكالوريوس في علم الاجتماع، وعمل في وزارة التربية والتعليم. ومن أعماله الشعرية: عاشقة الزمن الوردي، وتهجّيت حلماً.. تهجّيت وهماً، وبوّابة الريح، والتضاريس، وديوان موقف الرمال. وقد أصدر النادي الأدبي في حائل مؤخراً أعماله الكاملة في مجلد واحد ضمّ جميع إنتاجه الشعري. كما حصل الراحل على عدد من الجوائز، أهمها: الجائزة الأولى في مسابقة الشعر التي نظّمها مكتب رعاية الشباب في مكة، وجائزة نادي جدة الأدبي عام ١٩٩١م عن ديوانه (التضاريس)، وجائزة أفضل قصيدة في الدورة السابعة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري عام ٢٠٠٠م عن قصيدته (موقف الرمال.. موقف الجناس)، وجائزة ولقب (شاعر عكاظ) عام ٢٠٠٧م في حفل تدشين فعاليات مهرجان سوق عكاظ التاريخي الأول.

وتوفيت في العاصمة الفرنسية باريس الروائية والشاعرة الفرنسية من أصل لبناني أندريه شديد عن عمر ناهز ٩٠ عاماً. وقد أثرت شديد الحياة الأدبية بكثير من المؤلفات اتّضحت فيها النفحات الإنسانية ومستوحاة في جزء منها من انتمائها الشرقي والفرنسي المشترك، وقدّمت الراحلة كتابين، هما: اليوم السادس، والآخر، حُوّلا إلى فلمين سينمائيين.

وُلدت أندريه شديد في مارس/ آذار عام ١٩٢٠م في عائلة مسيحية لبنانية هاجرت إلى مصر عام ١٨٦٠م، وانتقلت للعيش في باريس عام ١٩٤٦م، وصدر للراحلة نحو ٢٠ رواية وقصة، إلى جانب ديوانين، هما: نصوص من أجل قصيدة، وقصائد من أجل نصّ. كما قدمت عدداً كبيراً من كتب الأطفال والمسرحيات، إلى جانب كتابتها الأغاني لابنها المغني لوي شديد وحفيدها ماتيو شديد المعروف باسم (أم).

كما رحل عن عالمنا الكاتب الأردني سالم النحاس، وهو أحد الأدباء الذين أسهموا عام ١٩٧٤م في تأسيس رابطة الكتاب الأردنيين؛ لتكون أول تجمّع أهلي للمثقفين في الأردن. وولد الكاتب الراحل عام ١٩٤٠م بمدينة مادبا الواقعة جنوب العاصمة عمان، وكان أحد الناشطين الثقافيين في الكتابة الأدبية، وصدرت له عدة أعمال أدبية، منها: روايتا (أوراق عاقر) و(الساحات)، ومجموعتان قصصيتان، هما: وأنت يا مادبا، وتلك الأعوام، ومسرحية الانتخابات، ومجموعة شعرية بعنوان: أنت بالذات.

كما توفي يوم السبت ٢٠١١/٢/٥م الشاعر الفلسطيني د. إبراهيم الخطيب عن عمر ناهز ٧٣ عاماً بعد معاناة مع المرض. والراحل من مواليد قرية قومية الفلسطينية، وحاصل على بكالوريوس الطب العام من جامعة دمشق عام ١٩٧٣م، وشهادة البورد الأمريكي عام ١٩٨١م، وصدر للشاعر الراحل كثير من الدواوين الشعرية التي لاقت اهتماماً كبيراً من النقاد الأردنيين والعرب. كما رحل شاعر الثورة الفلسطيني صلاح الدين الحسيني (أبو الصادق)، الذي وافته المنية في القاهرة عن عمر ناهز ٧٦ عاماً، وقد التحق الحسيني بصفوف حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) عام ١٩٦٧م، وهو من كتب أول نشيد للثورة الفلسطينية، وأسهم في إنشاء الإعلام العسكري لحركة فتح عام ١٩٦٩م، وتسلّم مهمة الناطق العسكري لجميع فصائل قوات الثورة الفلسطينية عام ١٩٧١م، كما أنشأ مؤسسة المسرح والفنون الشعبية الفلسطينية في بيروت عام ١٩٧٥م.

إعلان الفائزين بمنح مؤسسة المورد الثقافي

أعلنت مؤسسة المورد الثقافي بالقاهرة في شهر يناير المنصرم أسماء الفائزين ببرامج المنح الإنتاجية للمشروعات الإبداعية للشبان والشابات العرب عام ٢٠١٠م في احتفالية احتضنها مسرح روابط، وتمّ فيها تقديم ١٥ منحة إنتاجية لإنتاج أعمال جديدة في مجالات الأدب والفيديو والموسيقا والمسرح والفنون البصرية. وتوّج بمنحة المورد الثقافي في مجال الأدب المصري محمد أحمد العدوي لإنتاج رواية (الرئيس)، التي ترصد التحولات الاجتماعية والسياسية في الشخصية العربية تاريخياً من خلال شخصية (ابن سينا.. الشيخ الرئيس). وفازت المصرية دنيا ماهر عن مشروع كتاب (في باب اللوق)، الذي يضم نصاً أدبياً وصوراً فوتوغرافية ورسوماً.

ومن فلسطين فازت سامية عياش عن رواية (وجبة دم)، إضافةً إلى منح في مجالات الموسيقا والفنون البصرية والفيديو والمسرح.



الشهاوي يفتتح مهرجان الشعر العالمي في الهند

افتتح الشاعر المصري أحمد الشهاوي مهرجان الشعر العالمي في الهند بقصائد من ترجمة محمد عناني وخالد مطاوع. وشارك الشهاوي في الدورة السادسة لمهرجان الشعر العالمي (كريتيا) الذي يُقام سنوياً في مدينة ناجبور الهندية في المدة من ١٨ إلى ٢٢ يناير/ كانون الثاني. وقرأ الشهاوي مع ثلاثة شعراء من الهند وأيرلندا وإيطاليا مختارات من شعره ترجمها الدكتور محمد عناني - أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة - والشاعر الأمريكي من أصل ليبي الدكتور خالد مطاوع - الأستاذ في جامعة ميتشجان وزميل أكاديمية الشعراء الأمريكيين. وشارك في المهرجان شعراء من إيطاليا، وأستونيا، وأيرلندا، ولبنان، والولايات المتحدة الأمريكية، والصين، وإيران، والنرويج، وكوستاريكا، وأذربيجان، وتركيا، إضافةً إلى شعراء من الهند يكتبون بلغات هندية مختلفة. كما أن دولاً مثل إيطاليا وأستونيا وإيران كانت ممثلةً بأكثر من شاعر أو شاعرة.

جهود لتحويل الأقصر إلى متحف عالمي مفتوح

أشار سمير فرج - محافظ الأقصر - في مؤتمر صحفي تزامن مع مهرجان (طيبة الثقافي الدولي الثالث) الذي تستضيفه مدينة الأقصر إلى الجهود المبذولة في تحويل محافظة الأقصر المصرية إلى أكبر متحف عالمي مفتوح ضمن خطة للتنمية الشاملة تستمر حتى عام ٢٠٣٠م. وقال سمير فرج: إن العمل في هذا المشروع بدأ عام ٢٠٠٥م اعتماداً على دراسة للمركز الإنمائي للأمم المتحدة وبيانات ودراسات لعدة وزارات وهيئات مصرية، إلى جانب منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو). ويشمل مشروع التطوير إضاءة البر الغربي للمدينة، الذي يضم وادي الملوك والملكات، وإجلاء ٣٢٠٠ أسرة كانت تقيم بقرية القرنة في بيوت مبنية فوق مقابر النبلاء والوزراء من مئات السنين، وتعويضهم بمساكن في (القرنة الجديدة).



تأليف: بايل فيكتور
ترجمة فاتن عبدالرزاق مسعود
الطائف - السعودية

وجـــه على الشاشـــة

اسمي هو دونالد هندرسون، ومهنتي عالم، عملي كله يعتمد على الحقائق، في عالمي جميع الأشياء لديها أسباب ومسبِّبات؛ لذلك لا يوجد سبب أو مسبِّب يدعوني إلى الاعتقاد بوجود الأشباح؛ لذا في عالمنا - عالم العلماء - لا يوجد ما يُسمَّى بالأشباح.

ما هذا الذي رأيته؟ حقاً إني لا أعرف، إنه ليس شبحاً؛ فأنا عالم، ولا أصدق ذلك. لكن؟!، بدأ الأمر معي في مثل هذا الوقت من العام الماضي. كانت ليلة شتائية باردة، وكنت أجلس في غرفة المعيشة مع زوجتي جين، نشاهد معاً مسرحية في التلفاز، وبعد انتهاء المسرحية بدأت نشرة الأخبار، ولم أرغب في مشاهدة الأخبار؛ لذلك خطر لي الذهاب إلى مكتبي، وإكمال عملي. وفي لحظة وقوفي رأيت وجهاً في شاشة (التلفاز)، سقطت على الكرسي الموجود خلفي، وربما صدر مني صوت دلّ على المفاجأة؛ لأن زوجتي سألت: دونالد، هل أنت بخير؟ ما الذي شاهدته على شاشة التلفاز؟.

-ماذا؟.. أوه؟ أنا.. أنا.. لا.. أو، لم يكن التلفاز؟-.

-لكن وجهك ابيضّ-.

-أوه.. لا تقلقي.. ألم بسيط فقط.. ربما كان الطعام؟ إنني بخير الآن، يجب ألاّ تقلقي عليّ-.

ثم تمنّيت لها ليلة سعيدة، وغادرت إلى مكتبي وأنا أشعر بأنني كائن تعيس. لقد كذبت على زوجتي، كذبت بإخبارها عن شعوري بالألم، مع أنني لم أكن أتألم. أخبرتها بأن ما شاهدته على شاشة التلفاز لم يكن السبب. كذبت: فقد رأيت وجه ويندي أبوت على الشاشة، لكن لا.. لا.. لم أرها، لم تكن ويندي على الشاشة؛ إذ لا يمكن للموتى أن يظهروا في التلفاز، ويندي ميتة.

جلست إلى طاولة المكتب، حاولت أن أتذكر ما الذي شاهدته. لقد كانت الأخبار تعرض صوراً لحريق في داخل شقة بأحد المباني، وظهر في الخبر عدد من البشر الذين يقيمون في ذلك المبنى - ربما خمسون أو ستون شخصاً - وهم يخرجون من ذلك المبنى، وفجأةً شاهدت وجهها: وجه ويندي. لكن، لا، لم يكن وجهها، ويندي ماتت منذ زمن، ولم يتمكنوا من إيجاد جثتها قط، تلك حقيقة لا يرقى إليها الشك، لكنهم وجدوا سيارتها وهي ملطّخة بالدماء، يومها حاولت الشرطة العثور على جثتها المفقودة في الغابات والحقول مسافات طويلة وصلت إلى عدة أميال، لكنهم لم يتمكنوا من العثور عليها، أو على أي شيء من ممتلكاتها الشخصية.

في النهاية، كان تقريرهم مقتضباً كالآتي: -لم نتمكن من إيجاد الآنسة أبوت، ونحن مضطرون أن نعلن الآتي: إنها جريمة قتل تمّت بواسطة شخص أو مجموعة أشخاص-. بتلك العبارة كانت نهاية قضية ويندي.

حاولت أن أفكر في الأمر بكل هدوء، رأيتُ الوجه على الشاشة



مدة قصيرة، ربما ثانية. وبدأت الشك؛ فأنا لم أرَ ويندي منذ وقت طويل؛ أي: منذ أن وُجدت سيارتها ملطخة بالدماء. لقد مرّ عام على الحادث؛ لذا فأنا مخطئ. وما رأيته لم يكن ويندي. إنها واحدة تشبهها بالتأكيد. لا بد من أنها مجرد مصادفة غريبة. حسناً، سأنسى الأمر، وأحاول الانشغال بالعمل.

حاولت النسيان والانغماس في العمل، لكني فشلت. كان وجه ويندي يقف حاجزاً بيني وبين أوراقي. لم أكن راغباً في تذكّرها حقاً. حاولت جاهداً أن أنسى أمرها، لكن ها أنذا أرى وجهها مدة ثانية واحدة فقط على شاشة التلفاز لأعود فأتذكر كل شيء عنها كأن كل شيء قد حدث الآن.

قابلت ويندي أول مرة منذ أربع سنوات. كنت وقتها أعمل أستاذاً في جامعة مابيل، وفي الوقت نفسه أنجز أبحاثاً في تخصّصي. وتمكّنت من إنهاء بعض الأبحاث عن الدم البشري. استطعت قطع بضع خطوات باتجاه النجاح. وتوّجت خطواتي باكتشاف مادة جديدة في الدم البشري. كنت موقناً أن أبحاثي ستفيد جميع أطباء العالم. لكني واجهت بعض المشكلات؛ إذ كان يجب أن أحوّل تلك المادة إلى شكلها النقي. وكنت أحتاج إلى مساعد جيد وذكي. لكن أين أجد الشخص المناسب؟ لقد جرّبت ثلاثة مساعدين أو أربعة، لكنهم لم يكونوا بالمستوى الذي أتوقعه. وحين كدت أيأس أخبرني أحد الزملاء عن ويندي. قال لي يومها: لقد قمت بتدريسها في كمبريدج. إنها ذكية جداً. وستتفهم المشكلات والصعاب التي ستواجهك، وأعتقد أنها ستساعدك على الحصول على المادة النقية.

قلت له: حسناً، سوف أجرّبها.

بعدها حضرت ويندي أبوت للعمل معي.

كانت فتاةً يانعةً تبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً، وكنت وقتها قد بلغت السادسة والأربعين. كانت الأعوام الثلاثة التالية أسعد أيام حياتي؛ فقد كانت ويندي مساعدة رائعة، وعالمة جيدة، وجميلة. إضافةً إلى معرفتها الواسعة بالدم البشري. وقد علّمتها كذلك كثيراً؛ إذ أظهرت أنها شابة ذكية وسريعة التعلّم؛ لذا أصبحت مساعدتي الحقيقية التي تعمل معي طوال الوقت، ولم تخطئ قط. وفي الواقع أنا من كان يقارب على ارتكاب الأخطاء، وكانت هي من يوقفني. لقد كان عملنا ممتعاً بالنسبة إليها. في بعض الأحيان كنا مضطرين إلى مراقبة الأشياء ليلاً ونهاراً؛ لذا كنا ننام في المعمل في أسرة التخييم التي لم تكن مريحة قط. إضافةً إلى كون المعمل مكاناً بارداً وغير مريح أيضاً. لكن ويندي لم تهتم قط. غالباً ما كنا نتناول طعامنا معاً، ونتحدث كثيراً عن العمل، وليس عن العمل فقط. كلانا كان يحبّ الموسيقا، وكنا نذهب إلى حفلات موسيقية معاً. في نهاية العام أصبحنا أصدقاء جيدين. في تلك الأيام لم أكن قد تزوجت بعد؛ فقد كانت الأبحاث تملأ وقتي.

لقد عملنا معاً بجد ثلاثة أعوام. وفي النهاية نجحنا. ملأت نتيجة أبحاثنا في قارورة زجاجية صغيرة. كانت المادة تشبه الملح، لكنها كانت خلاصة أبحاثي. المادة النقية من الدم البشري سمّيتها (هيمن). منذ ستة أشهر تسلّمت جائزة نورث جايت على إنجازنا العملي. لكن ويندي لم تكن معي لتسلّم الجائزة. لقد كانت ميتة.

بعد وفاتها شعرت بالوحدة الشديدة. كانت المدينة الجامعية صغيرة، وكنت أتذكّر ويندي في كل جزء منها. لقد كانت معي في الشوارع والمباني؛ أعني بعد وفاتها. لقد كانت هنا في أفكاري وعقلي ومخيلتي. وفي النهاية أصبحت محبطاً. فتركت



مهنة التدريس،
وانتقلت إلى لندن.
بدأت بتأليف كتاب عن بحثي (الهيمن).
ثم قابلت جين في إحدى الحفلات، وبعد أشهر قليلة طلبت يدها للزواج، ووافقت. كانت في مثل عمري، لم أكن زوجها الأول؛ فقد كان زوجها الأول متوفًى.

يجب أن أعترف بأني لم أحبّ جين، لكني كنت وحيداً، وطلبي للزواج منها كان لذلك السبب فقط. وهي تملك منزلاً جميلاً في منطقة جيدة من لندن. ذهبت للعيش هناك. ومع أني لم أكن أحبها لكن حياتنا معاً لم تكن مخفقة؛ فالإعجاب بيننا كان متبادلاً.

لم تكن جين تعمل، كانت حياتها سعيدة؛ ولأنها تملك كثيراً من الأموال كانت تذهب يومياً إلى المتاجر. وفي كل مساء كانت تريني ما اشترته من فساتين أو قبعات جديدة، وكنت أتظاهر بالاهتمام. كنت أبقى في مكتبي يومياً. لقد أردت إنهاء كتابي. كنت سعيداً، حسناً لم أكن تعيساً، ثم رأيت ذلك الوجه على الشاشة، فأصبحت غير سعيد.

ويندي! ذلك الوجه على الشاشة.

لم أتمكن من إنجاز عملي جيداً عدة أسابيع. كنت أفكر وأفكر، لكني لم أكتب. ثم تدريجياً وببطء بدأت أنسى، وعدت إلى العمل في كتابي.. كنت أعمل وأكتب مدة أسبوعين أو ثلاثة أسابيع. ثم حدث الأمر مرة أخرى، رأيتها للمرة الثانية!.

في هذه المرة كنت الشخص الوحيد الموجود في المنزل. لقد كانت جين مع بعض الأصدقاء. كان الوقت في بداية المساء، قمت بإعداد بعض العشاء، وأردت أن أكمل عملي بعد العشاء، ففكرت «لكن لم لا أتناول وجبتي أمام التلفاز؟»... وهكذا أدرت التلفاز، وجلست أمامه، وبدأت بتناول طعامي.

كنت أشاهد برنامج (في لندن اليوم). في البداية كان الموضوع عن محلات شارع أكسفورد، ثم عن كرة القدم، ثم عن الموسيقا، وعندئذ حدث ما جعلني أصاب بصدمة. كان يوجد على الشاشة بعض المغنّين (فرقة كنسينجتون في لندن). سمعت صوتاً يعلن: «سيغنون لنا الآن».

لقد كانت رؤوسهم منحنية لقراءة النوتة الموسيقية: فلم أتمكن من رؤية الوجوه. لكن فتاة تقف في الأمام كانت السبب في صدمتي. لا. لا. ليست الفتاة، لكنها الثياب. ملابس الفتاة كانت السبب في إصابتي بالصدمة.. إنني أعرف التنورة البيضاء والخضراء، وأعرف الوشاح الأبيض. لقد كانت ويندي ترتدي تلك الملابس في الأيام الماضية. لقد اخترت أنا وويندي ذلك الوشاح معاً.. كنت على وشك أن أصاب بالإغماء، تأملت تلك الفتاة، وببطء رفعت رأسها.. لقد نظرت نحو كاميرا التلفاز. نظرت إليّ. لقد بقيت في مركز الشاشة. استمرت الفرقة في الغناء، لكن ويندي توقفت، لم تكن تغنّي. لقد تبسّمت.. لم يكن هناك خطأ، إنها ويندي أبوت. صرخت، وقفزت واقفاً، جريت نحو التلفاز وأغلقته.. ثم تحركت مبتعداً من الشاشة نحو الحائط.. توقفت ونظرت نحو الشاشة خائفاً، بل مرعوباً. بقيت هكذا بالقرب من الحائط بعض الوقت، ثم اتجهت نحو التلفاز، وكنت لا أزال خائفاً.. فكرت «لا بد أن أراها مرة أخرى»، وضغطت على زر التشغيل. وبعد ثانيتين أو ثلاث عادت الألوان إلى الشاشة، رأيت بعض الناس في الشوارع، ونظرت إلى كل وجه، لم تكن ويندي موجودة. ضغطت على الأزرار لمشاهدة قناة أخرى، شاهدت إعلاناً، ويندي لم تكن موجودة في ذلك الإعلان. ضغطت الزر السابق مرة أخرى، لم أجد ويندي، وبقيت أغيّر بين القنوات نحو الساعة، وكنت أردّد: «تعالي إلى الشاشة مرة أخرى ويندي، احضري مرة أخرى، لا تقدرين، أليس كذلك؟». لكني لم أحصل على ردّ. في النهاية أغلقت الجهاز، وذهبت إلى مكتبي، وجلست إلى طاولتي وبدأت أفكّر «ماذا يعني ذلك؟ ويندي ميتة. لا يمكن أن تكون إحدى المغنيات. لا يمكن أن تقف أمام كاميرا التلفاز. لكني رأيتها منذ لحظات، وهذه المرة لم أكن مخطئاً، تلك الفتاة لم تكن تشبه ويندي، بل هي ويندي. إنني أعرف ويندي. لقد عملت معها

ثلاثة أعوام. أنا متأكد. إن ويندي ميتة. ومع ذلك فقد رأيتها مرتين. مرتين خلال ستة أسابيع. في المرة الأولى خرجت من مكتب بناية. والمرة الثانية كانت مغنية. لكنها لم تغنِّ. شفتاها لم تكن تتحرك. لكنها تبسّمت فقط أمام الكاميرا».

فجأة أدركت أن ابتسامتها كانت من أجلي! لي أنا.. لقد امتلأت عيناي بالدموع.

لم لمْ تبتسم لي كذلك في الأيام الخوالي؟ تلك الابتسامة كانت طافية وحنونة. إن ويندي الحقيقة كانت خجولة. ابتسامتها كانت خجولة وسريعة. لم تبتسم هكذا قطّ. لم لمْ تفعل؟ لماذا لم تبتسم لي هكذا في تلك الأيام. تلك الأيام التعيسة؟

لقد تساقطت الدموع على وجهي. تذكّرت. تلك الليلة ذهبنا إلى حفلة موسيقية. وبعد الحفلة ذهبنا إلى مطعم صغير لنتناول عشاء متأخّراً. تحدثنا وضحكنا. وفي أثناء تناول القهوة طلبت منها أن تتزوجني. خرجت الكلمات هكذا: «هلا تزوجتني ويندي؟!». أظن أنني كنت آمل سماع ردّ مثل «نعم،

لا. متى؟». لكنني لم أسمع ذلك. لقد نظرت نحوي بتعاسة. سألتها. حسناً ما رأيك؟.

لقد ابتسمت غير مرتاحة. وشربت بعض القهوة. فحاولت مرة أخرى.

ويندي؟ هل تتزوجيني؟.

ضحكت غير سعيدة. وقالت: «لا. لن أفعل».

وفكّرت بغباء «إنها تراوغ». وقلت بخفة: «حقاً. ألا تريدين الزواج مني؟».

«لا؟ لا أريد».

هذه المرة كان صوتها جاداً. لم تكن تضحك. وكانت تبدو غير مرتاحة. لكن ذلك لم يقلقني. لم أفهم فقط. وسألتها: «لكن لمَ لا؟».

«أنت تبلغ من العمر ٤٩ عاماً. وأنا أبلغ ٢٧ عاماً. إنني أرغب في الزواج من رجل مناسب لعمري».

«لكن هل تعرفين رجلاً ما؟».

«لا. لكني سأفعل يوماً ما».

«لكنك تحبينني».

«نعم. أحبك. وأحترمك. وأتمنى أن أكون صديقتك دائماً. وأتمنى العمل معك مرة أخرى. لكني لا أريد أن أتزوجك».

قلتُ بهدوء: «فهمت». ثم بعد ثانية أكملت: «لقد كنت مخطئاً وغبياً في طلب يدك للزواج. أنا أسف».

لقد كنت أسفاً بطريقة مختلفة. كان الألم والصدمة كبيرين. وفكرت «لا يهم. لكن الأهم عملنا معاً».

لقد اشتغلت وعملت. وكذلك ويندي كانت مضطرة إلى العمل. بعد ذلك لم نخرج معاً؛ فلم آخذها إلى الحفلات الموسيقية. ولم نتناول الطعام معاً. كنت أشتغل ليلاً ونهاراً. لم أرغب في التفكير فيها. وكان ذلك هو السبب في كلّ ذلك العمل.. هذا ما أدركه الآن.

أخيراً. أنهينا عملنا كله. حصلنا على الهيمن بشكله النقيّ وقدمناه إلى العالم. لكني لم أتوقف. حاولت إيجاد عمل لنا معاً. لكن ذلك لم يعجب ويندي. في صباح أحد الأيام اضطررت لأن أقول لها: «لم تحضري إلى





المعمل بالأمس؟».
- «لا يوجد أيّ عمل».
- «لكني طلبت منك الحضور».
أول مرة أسمع صوتها غاضباً.
- «إنك فقط تصطنع العمل. إنني لا أحب ذلك. لديّ أشياء أخرى أفضل القيام بها».

فهمت أن لديها صديقاً. وكنت على وشك الإغماء. شعرت بالألم في رأسي.. حاولت ألا أرى الحقائق. أيّ حقائق؟ كنت مجنوناً. تلك كانت أول حقيقة. وغاضباً كانت تلك الحقيقة الثانية.

لقد جُننت بغيرتي. لكني لم أرغب في رؤية ذلك حينها.

بعد ذلك بعدة أيام رأيتهما معاً. كنت في سيارتي. ولم يشاهداني.

لقد عرفت الرجل. كان يعمل في الجامعة مساعداً لأحد الأساتذة. كان اسمه كولن ستون. كان شاباً قصيراً وغبياً ودماغه فارغ. كان يضحك كثيراً بلا سبب. فكّرت «كانت ويندي تحبه ولا تحبني. لا يمكنها أن تحبه. لكنها تحبه». وماذا يمكنني أن أفعل؟ ماذا يمكن أن أفعل؟ لقد قاربت الجنون. ربما بدأت أجنّ. لكن موت ويندي أوقف جنوني.

ربما أنا مجنون؟ رأيت فتاة ميتة مرتين في التلفاز. وذلك لم يحدث في الحقيقة. لكني لست مجنوناً. إنني أعرف ذلك. ألفت كتاباً جيداً. هل يستطيع رجل مجنون عمل ذلك؟ لا! ومع ذلك فأنا لا أريد مشاهدة التلفاز مطلقاً!.

أحياناً كانت زوجتي جين ترغب في مشاهدة مسرحية أو الأخبار معي، لكني كنت دائماً أعتذر قائلاً: «إني متعب». أو «عيناي تؤلماني الليلة».

ذات مرة. كنا في منزل أحد الأصدقاء. حالما أدار التلفاز خرجت. وجلست داخل سيارتي. خرجت جين خلفي. وكانت غاضبة. لكني أخبرتها أنني احتجت إلى استنشاق بعض الهواء: شعوري بأنني لست بخير.

لم أشاهد التلفاز أربعة أشهر. لكني اضطررت إلى مشاهدته يوماً. أنا من كان في التلفاز. نلت جائزة نورث جات مكافأة لعملي في الهيمن.. إنها جائزة كبيرة جداً. وكنت مضطراً إلى إلقاء خطاب. وكانت كاميرا التلفاز هناك. ألقيت خطابي في قاعة كبيرة أمام عدد كبير من المستمعين. لقد أراد رجال التلفاز عرض البرنامج على شاشة التلفاز في تلك الليلة.

بعد خطابي، ذهبت إلى منزلي، وقالت لي جين: «لقد دعوت

بعض الأصدقاء إلى منزلنا الليلة».

-لماذا؟».

«ليشاهدوك في التلفاز».

«لكن ذلك سيكون مدة دقيقتين أو ثلاث: فهم لن يعرضوا الخطاب كاملاً».

«أوه! بلى سيفعلون.. إن جائزة نورث جات مهمة».

وهكذا اضطررت إلى الحضور. جاء عشرة أشخاص تقريباً، قدّمنا إليهم العصير، ثم أدارت جين التلفاز. حقيقة، ذلك لم يقلقني. فكرت «لقد كنت هناك. أليس كذلك؟ ويندي لم تكن موجودة. أعرف ذلك».

بدأ العرض. وكنت هناك على الشاشة. كنت واقفاً على المنصة، وكان معي على المنصة خمسة أشخاص أيضاً. لقد كانوا خلفي. تفحّصتهم بدقة، لم تكن ويندي بينهم. ثم أظهرت الكاميرا المستمعين. كان يوجد مئة مستمع، ولم تكن ويندي بينهم. عرفت ذلك لأنني تحدثت مدة ساعة في القاعة. لكن العرض كان فقط مدة خمس دقائق. وصلت إلى نهاية خطابي على الشاشة. صفّق لي المستمعون، وأمسكوا بيدي. وعندئذ كانت فتاة في القاعة من الخلف قد بدأت بالرحيل والتحرك على امتداد خط البشر في نهاية الصف. هربت من الكاميرا، وأسرعت نحو الباب، خرجت مبتعدة من المشهد.

صرخت.

سألتني جين: «ما الأمر؟».

نظر أصدقاؤنا نحوي.

قلت: «تلك الفتاة».

«أيّ فتاة؟».

«ألم تريها؟ لقد تركت الصالة. ألم تريها؟».

«لا، لم أرها. لكن ذلك غير مهم، أليس كذلك؟».

«حسناً، حسناً، لقد كان تصرّفاً فظاً، ألا تعتقدين ذلك؟ أن ترحل في ذلك الوقت؟ أليس ذلك فظاً؟».

نظرت جين نحوي نظرة غريبة. بعض الضيوف كان مستغرباً. أغلقت التلفاز، وملأت كؤوس الأصدقاء بالعصير. لم أكن متأكداً. ربما لم تكن ويندي، ربما لم تكن. لم أكن واثقاً.

بعد ذلك حاولت يائساً ألا أشاهد التلفاز. ونجحت مدة ستة أشهر. انتهى الشهر السادس بالأمس. حقاً، لم تكن لديّ فرصة. أعرف ذلك. الآن أنا متأكد. اليوم هو الثالث من مايو وقد توفيت ويندي في الثالث من مايو منذ عامين.

ماذا حدث بالأمس؟ لقد ذهبت بالحافلة إلى منطقه الويست إيند. أردت شراء آلة طابعة. ونزلت من الحافلة بالقرب من أفضل محلات بيع الآلات الطابعة. وقد وجدتها هناك. أمامي على الجانب الآخر من الشارع المقابل شاشة تلفاز. في الشارع؟ حسناً. لقد كانت على واجهة محل. توقفت. كنت مضطراً للنظر. لقد كانت شاشة كبيرة. وكان وجه ويندي الجميل والمحبب يملؤها. كانت تبتسم لي. وببطء حرّكت يدها. لقد أرادت مني أن أذهب إليها.

بدأت بالركض عبر الشارع، وسقطت أمام حافلة. لكن السائق أوقف الحافلة.. لقد كان سائقاً ماهراً، وما زلت على قيد الحياة.

كل ذلك حدث بالأمس. والآن أنا في غرفة في فندق. إنه فندق كبير وجديد. وفي كل غرفة يوجد تلفاز ملوّن. يجب أن أبقى وحيداً هذه الليلة. ويجب التأكد من ذلك. كما يجب أن أكون متأكداً من وجود جهاز تلفاز لديّ أيضاً.

خلال ثلاث دقائق سأتمكن من رؤية ويندي للمرة الأخيرة. لقد رأيتها للمرة الأولى على شاشة التلفاز منذ عام. في مثل هذا اليوم منذ عامين ماتت.

إنني أكتب رسالة على الطاولة أمام التلفاز. سوف أنهي هذه الرسالة وأضعها في داخل مغلّف. وسأرسلها إلى جين. ربما ستفهم. ويوجد هناك على الطاولة مظروف آخر عنونته إلى البوليس. توجد بداخله خريطة. وعلى الخريطة إشارة X. إن جثة ويندي توجد حيث وضعت الإشارة X. والشيء الأخير المتبقي الموجود على الطاولة هو قارورة زجاجية. إنها مملوءة بمادة بيضاء شبيهة بالملح. لكنها في الحقيقة (الهيمن) الذي صنعناه أنا وويندي. سرعان ما سيقرأ الأطباء والعلماء كتابي. وبعدها سيتمكنون من صنع شيء رائع بكمية قليلة فقط من الهيمن. لكن يوجد كمية كبيرة منه بالقارورة. تلك الكمية ستقتل رجلاً في الحال. فتحت الأنبوبة. والآن لقد حان الوقت لإشعال التلفاز.


قضية

الشركات العسكرية الخاصة

مرتزقة في خدمة الحكومات

زبير سلطان حميد قدوري

دير الزور – سورية

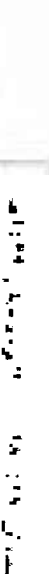
الشركات العسكرية الأمنية الخاصة (Private Security Firms) هي تطور حديث لمؤسسات المرتزقة التي ظهرت عبر مراحل التاريخ. كما يُطلق على هذه الشركات أسماء: شركات عسكرية أمنية خاصة، أو شركات الحماية الأمنية، أو المتعاقدون، أو المقاولون الأمنيون، وغيرها. وهي تضم مرتزقة من جميع أنحاء العالم تمّ توظيفهم في تلك الشركات لتأدية مهام قتالية، أو حربية، أو تجسّسية، أو لوجستية، وغيرها من مهام عسكرية وأمنية. وعمل الشركة الأمنية العسكرية تأجير قدراتها العسكرية المادية والبشرية لمن يريد من حكومات، ومؤسسات، وشركات مالية وتجارية، وشخصيات رسمية وغير رسمية سياسية أو فنية أو مالية، مقابل أجر مالي يتم التعاقد عليه. ومعظم العقود التي تبرم بين الشركة الأمنية والجهة المستأجرة تتمّ بسرية تامة، ويجري التكتم بشدة على المهمة التي ينصّ عليه العقد.

ومرتزقة (Mercenaries) تلك الشركات مدرّبون تدريباً عسكرياً عالياً؛ فمعظمهم ممن خدم سابقاً في فرق عسكرية ذات نوعية عالية في التدريب الجسدي والتقني: كالوحدات الخاصة في جيوش بلادهم أو جيوش بلدان أخرى، وتخضع الشركات العناصر بعد انضمامهم إليها إلى تدريبات بدنية وعسكرية قاسية وعالية التقانة في السلاح والأجهزة العسكرية الحديثة، بما فيها قيادة المركبات والدبابات والطائرات القتالية والهيلوكبتر.

ظهرت أولى الشركات الأمنية الخاصة على يد عسكري بريطاني كان يخدم في الفرقة البريطانية الخاصة يُدعى جيم جونسون. وكان الهدف من تأسيس الشركة الأمنية الخاصة حراسة الأثرياء من أصحاب البنوك ورجال الأعمال وحمايتهم، ثم وسّع جونسون عمل شركته بعد سنوات إلى حماية بعض السياسيين في بعض دول العالم.

ويرى الناس عناصر الشركات المؤجرين في صورة مُرافق يضع على عينيه نظارة سوداء، حليق الرأس، يلازم ثرياً أو فناناً مشهوراً، ويطلق عليه (الحارس الأمني الخاص). وقد شرحت هذا المصطلح صحيفة الهيرالدتريبيون الأمريكية في مقال لها، فقالت: «إن مصطلح الحارس الأمني الخاصّ لا يعبّر عن العمل الحقيقي المُوكل إلى هؤلاء الرجال والنساء المسلحين، إنهم يجلسون خلف مكاتب لكي يوجّهوا الزائرين إلى كيفية الدخول إلى أروقة هذا المبنى أو ذاك، ولا يكاد يستخدمهم أحد في حراسة آبار النفط على سبيل المثال»[1].

لاقت شركة جيم جونسون نجاحاً في الوسط المالي والسياسي والفني؛ مما دفع بعض العسكريين السابقين ورجال المال إلى إنشاء عدد من الشركات الأمنية الخاصة في الولايات المتحدة والدول الغربية، ومع تزايد أعداد الشركات في الربع الأخير من القرن الماضي تطوّر عملها من الحماية إلى تنفيذ مهام حربية وعسكرية في بعض البلدان الإفريقية: كأنجولا،



استطاعت الشركات الأمنية بعد تصاعد الحرب في العراق أن تستقطب عدداً من القادة الكبار في الجيش الأمريكي ممن يحملون رتبة (جنرال) لإدارة العمليات الحربية في العراق

أو الكونغو، أو سيراليون. كما استخدمت عناصر الشركات في حماية زعماء محليين إفريقيين، واستخدموا أيضاً في المشاركة في عدد من الحروب الداخلية في البلقان والبوسنة والهرسك. ثم جرى تطوّر نوعي وكمي للشركات في الحروب الجارية في أفغانستان والعراق بعد أن تعاقدت الشركات مع عسكريين من مختلف الرتب ممن عملوا في جيوش الدول الغربية والمعسكر الشيوعي السابق من الذين أحيلوا على التقاعد، أو ممن استقالوا من جيوش بلادهم بسبب الإغراءات المادية نتيجة الفوارق المالية الكبيرة في الأجور المالية بين الأجر الذي يحصلون عليه في جيوش بلادهم والأجر الضخم الذي تعطيه إياهم الشركات الأمنية؛ فقد رصدت دوائر البحوث والدراسات تعاقد مئات من القادة العسكريين الغربيين والروس وغيرهم من دول أخرى، يُضاف إليهم آلاف الجنود من تلك البلدان، مع الشركات الأمنية الخاصة، وتقديم استقالات كثيرة من عسكريين مدربين تدريباً عالياً في الجيوش الأمريكية والبريطانية والفرنسية والروسية واليوغسلافية والأسترالية، وغيرها من أجل التعاقد مع الشركات.

استطاعت الشركات الأمنية بعد تصاعد الحرب في العراق

أن تستقطب عدداً من القادة الكبار في الجيش الأمريكي ممن يحملون رتبة (جنرال) لإدارة العمليات الحربية في العراق. كما تعاقدت مع مرتزقة مهرة ومدربين تدريبات خاصة ممن عملوا سابقاً ضمن منظومة حماية المسؤولين الخاصة في بلادهم. أو كانوا مرافقين شخصيين لأثرياء ومشاهير معروفين في الأوساط الاقتصادية والفنية على مستوى العالم. كما استفادت الشركات من انضمام ضباط كبار ممن عملوا في مواقع مهمة في الوزارة والمخابرات في توسيع دائرة عملها. كما تطور العتاد العسكري لدى الشركات مع تطور عملها في بعض بلدان العالم، فامتلكت أسلحة متطورة عالية التقانة.

نبذة تاريخية من المرتزقة

تعدّ مهنة الارتزاق ثاني أقدم مهنة في العالم بعد البغاء؛ فقد تم استخدام المرتزقة من قبل الأطراف المتحاربة في العصور القديمة، وتشير المصادر التاريخية إلى أن الفراعنة في مصر جنّدوا في حروبهم مرتزقة منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أو الفرعون رمسيس الثاني جنّد ما يقارب الأحد عشر ألفاً من المرتزقة في معاركه الخارجية، ومنها معركة (قادش) في سورية ضد جيش ملك الحثيين سنة ١٢٨٨ ق. م. وكشفت آثار مصر القديمة عن وجود فيالق من المرتزقة في جيوش مصر القديمة، كان يطلق عليهم اسم (ميدجاي). وكانت تلك الفيالق مؤلفةً من مستكشفين قبليين للتجسّس وكشف الطرقات أمام الجيوش الزاحفة. إضافةً إلى جنود مشاة مقاتلين، وقد تمّ جلبهم من منطقة النوبة التي تقع اليوم شمال السودان وجنوب مصر. كما جنّد الفراعنة مرتزقةً من ليبيا، ومجموعات من المرتزقة من بلاد كنعان. ومن جزيرة سردينيا. وتظهر بعض الرسوم الفرعونية الجدارية جنوداً مرتزقة وهم يرتدون خوذات مقوّسة تمييزاً لهم من الجيش الفرعوني الرسمي. واتخذ الفرعون رمسيس الثاني من المرتزقة حراساً له[٢].

كما أن الدولة الفارسية القديمة استأجرت جنوداً مرتزقة؛ إذ قام الأخ الأصغر للملك الفارسي سايرس عام ٤٠١ قبل الميلاد بتجنيد جيش من المرتزقة قدّر بعشرة آلاف من اليونانيين من أجل خلع أخيه عن العرش، والاستيلاء على الحكم. وفي أوربا القديمة استخدم إمبراطور اليونان كوزينوفون المرتزقة في حربه ضد الفرس، فجند عشرة آلاف من المرتزقة ليشاركوا مع قواته النظامية في الحرب

تعريف المرتزق

المرتزق هو من احترف مهنة الجندية، واستخدمها في خدمة من يدفع له المال، وسخّرها لأغراض تتنافى مع القوانين العسكرية الوطنية والدولية، ومارس حرفة الجندي بعد أن تمّ تأهيله في الجيوش النظامية الرسمية أو في منظمات شبه عسكرية وغير رسمية، وتلقى خلال وجوده في الشركة الأمنية الخاصة التأهيل العسكري بكفاءة عالية، وقدرة قتالية متميزة، وتقنية جيدة في استخدام السلاح المتطور والحديث؛ مما يؤهله لخوض معارك ضارية مع الآخر.

والمرتزق ليست لديه قضية أو قيم وطنية أو قومية أو إنسانية يقاتل من أجلها أو يدافع عنها، بل يؤجر نفسه لمن يريد مقابل المال الذي يتم الاتفاق عليه مع المستأجر، ولا يكترث بقانون دولي أو وطني، ولا بحقوق الإنسان التي أقرّتها المحافل الدولية، وفي مقدمتها الأمم المتحدة، بل كلّ همّه تنفيذ ما تعاقد عليه مقابل الأجر المادي من دون حساب نتائجه القانونية.

ومن صفات المرتزق الشخصية: القوة البدنية، والقلب القاسي، والشراسة، والعدوانية، ولا يمتنع أن يكتب على قميصه أنه «عدو الرحمة والشفقة»، أو أنه «مغتصب سفّاح». ويعلم المرتزق أنه شخص غير مرغوب فيه في المجتمع الإنساني، وأنه يخالف القانون الدولي، وأنه إن قتل أو مات أو أسر فلن يطالب به أحد.

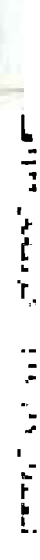
تعدّ مهنة الارتزاق ثاني أقدم مهنة في العالم بعد البغاء؛ فقد تم استخدام المرتزقة من قبل الأطراف المتحاربة في العصور القديمة

ضد الجيوش الفارسية مقابل أجر مالي قدّمه إليهم.

وفي العصور الوسطى جنّد البيزنطيون المرتزقة قوات حراسة خاصة، سُمّيت باسم (حرس فارانجيان)، وأغلب هؤلاء المرتزقة من قبائل الفايكنغ المحاربين الأشداء، وكانت مهمتهم حماية الإمبراطور والإمبراطورة. كما تم استخدامهم في قمع الثورات اليونانية ضد الاحتلال البيزنطي. وكان اختيار المرتزقة من قبائل الفايكنغ يعود إلى كراهيتهم اليونانيين. وكان من بين هؤلاء المرتزقة رجل شجاع يُدعى (هارالد). التحق بحرس الإمبراطور في عام ١٠٢٥م، وشارك معه في ثمانية عشر معركة، كلها كانت دفاعاً عن بيزنطة. وبسبب بسالته وصل إلى مرتبة عسكرية كبيرة (أكولينوس)؛ أي: قائد حرس الإمبراطور. ثم عاد بعد ذلك إلى بلاده النرويج فاعتلى عرش النرويج، ولقب بالملك (هارالد هاردرادا)[٢].

وفي الحروب الصليبية ضمّ الجيش البريطاني مرتزقةً، وذكر الملك البريطاني إدوارد الأول (١٢٣٩- ١٣٠٧م) الفائدة التي يستفيد منها الحاكم من استخدام المرتزقة في القتال ضد أعدائه. فقال: «إننا باستخدام المرتزقة نستطيع التأكد من أنهم لم يتركوا غير عظام الأعداء؛ فليس لهم من الشفقة ما يجعلهم يعتنون بالأرامل واليتامى، وبعد ذلك فإنه من السهل علينا التخلص منهم عندما نريد»[٣].

وخدم المرتزقة في صفوف الجيوش الأوربية منذ بداية القرن



الثامن عشر، فجنّدت معظم دويلات المدن الإيطالية المرتزقة لأغراض الدفاع أو شنّ الحروب. كما أن البابا استخدم المرتزقة للدفاع عن الفاتيكان. واشتهر المرتزقة السويسريون في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين بكتائبهم الجاهزة للإيجار لاستخدامها في الحروب والحماية والحراسة".

وفي حروب السنوات السبع كان ثلث الجيوش الأوربية من المرتزقة؛ فمثلاً كان الجيش الفرنسي في عهد الملك لويس الخامس عشر يضم ١١ فرقة سويسرية، إضافة إلى الحرس السويسري الخاص بالملك، و٦ فرق ألمانية، و٥ فرق أيرلندية، وفرقتين إيطاليتين، وغيرها.

وقد حظي المرتزقة بالاحتقار الشعبي في أوربا؛ لأنهم أينما حلّوا، سواء في المدن أم في القرى الأوربية، يعيثون فيها فساداً وإرهاباً ورعباً. فكانوا يستولون على الطعام والثروات من بيوت المدنيين، وكثيراً ما كانوا ينهبون البيوت والكنائس، كما كانوا

حاولت الأمم المتحدة مواجهة جرائم شركات المرتزقة في العالم، فأصدر مجلس الأمن عدة قرارات للحد من انتشار شركات المرتزقة

ينكلون بالسكان الذين يقاومونهم، فكانوا يحرقون القرى، ويقتلون الرجال، ويذبحون النساء والأطفال؛ مما دفع السكان إلى ترك أراضيهم وقراهم والهجرة إلى المدن الآمنة".

وفي فرنسا الحديثة جنّد نابليون بونابرت ما يقارب ثلاثة ملايين من المقاتلين خدمةً لحروبه وطموحاته، كان نصفهم من المرتزقة، خصوصاً بعد أن غزا روسيا عام ١٨١٢م. كما جنّد مرتزقة من أبناء المستعمرات الفرنسية؛ من أبناء المغرب العربي والدول الإفريقية ودول جنوب شرق آسيا، بعد قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة عام ١٨٤٨م؛ خدمةً لمتطلبات الاستعمار، وتشير المصادر إلى ارتفاع نسبة تجنيد المرتزقة في الجيش الفرنسي بين عامي ١٨٧١ و١٩١٤م من ٢٪ إلى ٣٠٪.

وفي شرق آسيا شهدت المقاطعة اليابانية (كي) خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر نشاطاً واسعاً للمرتزقة، وقد أطلق عليهم في اليابان اسم مجموعة (سايكا)، وكان لهذه المجموعة دور مهم في حصار (هونجان)، الذي امتد من شهر أغسطس/ آب عام ١٥٧٠م إلى أغسطس/ آب عام ١٥٨٠م. وفي الصين خلال القرن العشرين شُوهد وجود عدد من المرتزقة الأمريكيين والبريطانيين، كان أبرزهم: هرمولي، وفيلو نورتون، وماكجريفين، وموريس، وفرانسيس آرثر، وغيرهم من المرتزقة الغربيين ممن شاركوا في الحروب الصينية.

وفي الولايات المتحدة تمّ إشراك جيش كبير من المرتزقة الألمان المعروفين باسم (الهسيانز)، بلغ تعدادهم ثلاثين ألفاً، في الحرب الأهلية الأمريكية. واستخدمت الإدارة الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر شركة خاصة بالمرتزقة، هي (وكالة المحققين الوطنية)، التي تختصر باسم (بنكرتون)؛ لوقف الإضراب الذي قام به عمال الفحم والحديد والمزارعون، وبعد أن نجحت في إنهاء الإضراب تعاقدت مع وزارة العدل الأمريكية لتقديم خدماتها إليها.

كما شهدت إفريقية في النصف الثاني من القرن الماضي وجود المرتزقة الأوربيين على أراضيها، فشاركوا في الانقلابات العسكرية ضد الحكومات الوطنية، كما حدث في دولة جزر القمر عام ١٩٧٥م، حين قام مرتزقة كان يطلق عليهم اسم (السترات السوداء)، يقودهم المرتزق الفرنسي بوب دينار، الذي استولى على السلطة في الجزر، وعيّن نفسه حاكماً عليها، وبعد طرده من الجزر عاد ليقود انقلاباً آخر عام ١٩٩٥م من أجل الاستيلاء على الحكم فيها؛ مما دفع الحكومة الفرنسية إلى إرسال قواتها وطرده منها نهائياً.

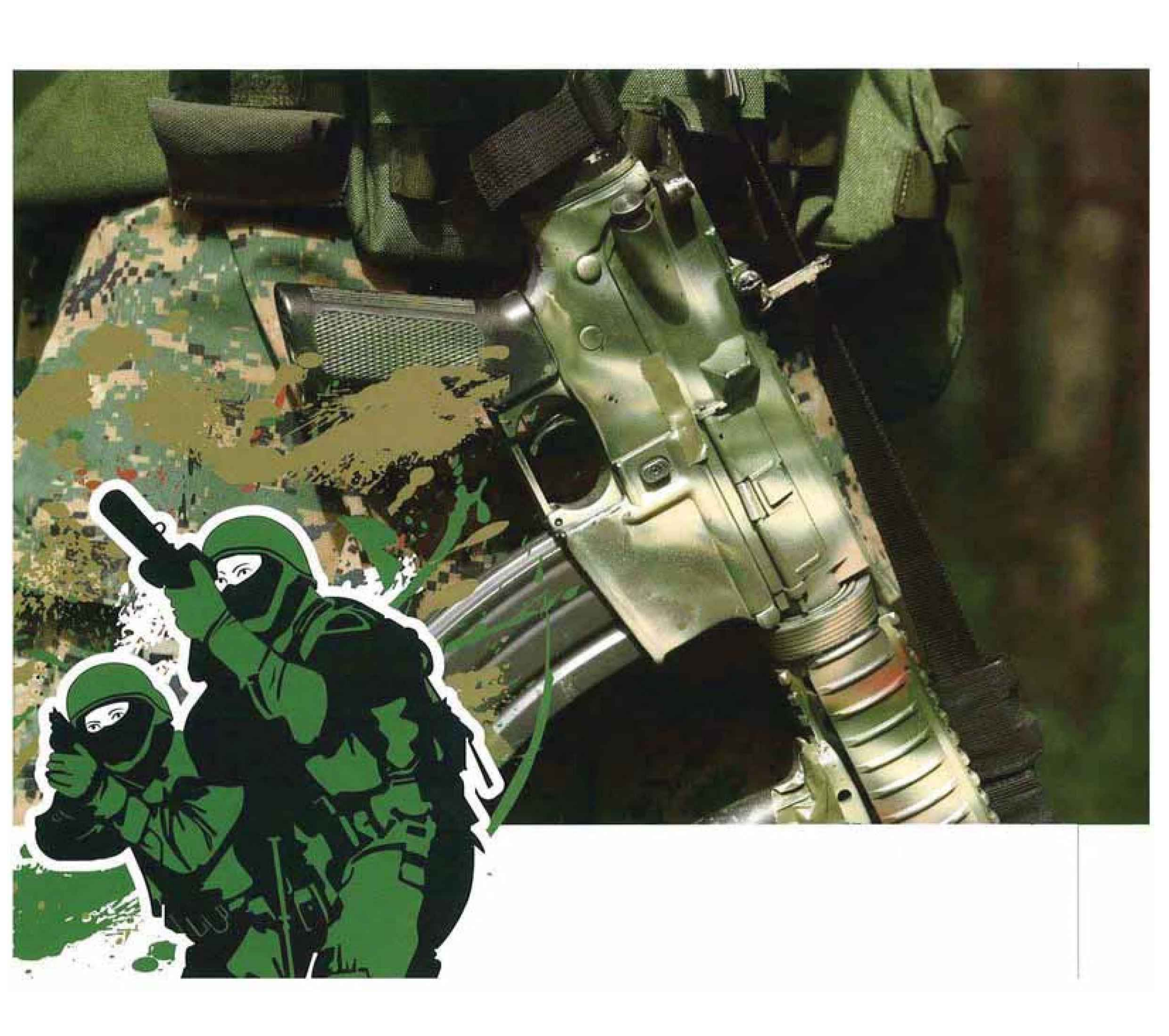
كما ارتكبت مجموعة من المرتزقة المتوحشين، يطلق عليهم جماعة (مايك المجنون)؛ نسبةً إلى قائدهم مايك هوار، مجازر دموية في الكونغو وعدد من البلدان الإفريقية في القرن الماضي، كما شاركت في الانقلاب الفاشل الذي

حدث في جزيرة سيشل عام ١٩٨١م.

ومن المرتزقة الذين أدوا أدواراً تاريخية في القارة الإفريقية المرتزق الشهير سايمون مان، الذي كانت له علاقات مع شركة مرتزقة تعمل في جنوب إفريقية العنصرية، يطلق عليها (شركة أكريكيوتيف أوتكمز الأمنية العسكرية الخاصة)، وشارك مع مجموعته في الصراع الداخلي في أنجولا، وسيراليون، وحُوكم هذا المرتزق في عام ٢٠٠٤م في زيمبابوي بتهمة محاولة شراء أسلحة لتنفيذ انقلاب في غينيا الاستوائية[١١]. كما شاركت مجموعة (تيم سايس) المرتزقة في الانقلاب الفاشل الذي حدث في (بابوا) في غينيا الجديدة[١٢].

مهام الشركات الأمنية الخاصة

تعمل الشركات الأمنية الخاصة على تأجير عناصرها للأشخاص الرسميين وأصحاب الشركات والبنوك والمشاهير، وهم عناصر يطلق عليهم (حراس أمنيون): لحماية المؤسسات والقصور ومكاتب زعماء تلك الشركات ورؤسائها، ويطلق بعض



الناس عليهم (بودي جارد): لتوفير الحماية للشخصيات السياسية والمالية والتجارية، بما أسمته حفظ الأمن الشخصي (Personnel Security)، كما يتم التعاقد لحراسة رجال الدبلوماسية والأمم المتحدة وحمايتهم.

ومن المهام أيضاً تقديم خدمات لوجستية إلى القوات الوطنية أو الأجنبية، تتضمن تأمين طرق الإمداد والتموين للقوات، وتمويلها (Escort Services)، كما تعمل على توفير خدمات الاتصال والمواصلات للقوات المسلحة، وتشارك في

خدم المرتزقة في صفوف الجيوش الأوروبية منذ بداية القرن الثامن عشر، فجندت معظم دويلات المدن الإيطالية لأغراض الدفاع أو شن الحروب

إدارة الأزمات، وتقوم بعلميات اختطاف، وتقدم الاستشارات الأمنية، وتكتشف المخاطر المحتملة (Advisory Consulting and Risk)، وتتعاقد على تطوير أنظمة الحماية والرقابة، والدعم اللوجستي والإسناد، ومرافقة قوافل الإمدادات والأغذية، وتأمين المواقع والمنشآت والبعثات الدبلوماسية والشركات الاستثمارية، وتوفير الحماية الإلكترونية وقواعد البيانات، وتقوم باحتجاز السجناء واستجوابهم، وجمع المعلومات وتحليلها[١٣].

وقد أتاح الترخيص لهذه الشركات الأمنية العسكرية في الولايات المتحدة إبرام عقود مع الحكومات الأجنبية: لتدريب جنودها، وتنظيم الأمن في نيجيريا وبلغاريا وتايوان وغينيا الاستوائية، وتقديم طيارين إلى قيادة طائرات الاستطلاع والمروحيات الهجومية لتدمير محاصيل المخدرات في كولومبيا، وإدارة عدد من أنظمة المخابرات والاتصالات في القيادة الشمالية للولايات المتحدة الأمريكية في كولورادو، وهي المسؤولة عن تنسيق ردّات الفعل تجاه أيّ هجوم تتعرّض له الولايات المتحدة.

وتطورت مهامّ شركات المرتزقة بعد أن امتلكت القوة العسكرية الأكثر تنظيماً وتسليحاً من كثير من بلدان الثالث، والقدرة على سرعة الحركة للوصول إلى الخصم عبر ما تملك من تقنيات وأسلحة متطورة، وبذلك استطاعت تلك الشركات أن توفّر الحماية المطلوبة لاستثمارات المعادن النفيسة ومصادر الطاقة وخطوط النقل وموانئ تصدير الطاقة، وحماية آبار البترول في نيجيريا أو مناجم الماس في بعض البلدان الإفريقية.

ومع نهاية الحرب الباردة تطوّرت مهامّ الشركات الأمنية الخاصة، فتعاقدت مع بعض الدول والأجهزة الأمنية والشركات لتدريب القوات الخاصة، وإعطاء المشورة العسكرية لقوات الجيش والشرطة، أو تقديم الدعم اللوجستي للانتشار العسكري، وصيانة نظم الأسلحة، وحماية المباني والمنشآت، وجمع المعلومات العسكرية وتحليلها، واحتجاز السجناء واستجوابهم، أو تكليفها في المشاركة في القتال.

عولمة مرتزقة الشركات

المرتزقة الذين يعملون في الشركات الأمنية الخاصة ليسوا من جنسية واحدة، بل هم من جنسيات من بلدان كثيرة: فمثلاً أشار عدد من المصادر البحثية والإعلامية إلى أن المرتزقة الذين يعملون في العراق كانوا من الأمريكيين والنيبال وتشيلي وكولومبيا والسلفادور وهندوراس وأيرلندا وإسبانيا وبولندا والبرازيل والكيان الصهيوني، ثم دخل إلى العراق مرتزقة قدموا من روسيا ولبنان وجنوب إفريقية وسيراليون ومن دول إفريقية أخرى، ثم جاء مرتزقة من الصرب وكرواتيا ومن بعض الدول الأوروبية الشرقية ومن دول شرق آسيا، كما أعطيت الأفضلية للمرتزقة الروس الذين اكتسبوا خبرة قتالية في أفغانستان والشيشان. فالشركات الأمنية الخاصة تجنّد مرتزقةً من معظم بلدان العالم، والعقد بين الشركة والمرتزق قد يتم تجاوزه في المهنة التي تمّ التعاقد عليها إلى مهمة أخرى: فقد نقلت صحف من موسكو تصريحات لضابط روسي عمل مرتزقاً في العراق، وكان يعمل سابقاً في قوات المظليين

في روسيا، قال فيها: إنه عُرض عليه عمل مغرٍ في العراق، هو مرافقة قوافل المساعدات الإنسانية، وحراسة بعثات المنظمات الدولية أو المنشآت النفطية للشركات الأمريكية، وذكر أن العرض كان في الحقيقة غطاءً لمهام أخرى؛ كتمشيط الأحياء السكنية في المدن بحثاً عن المقاتلين، والقيام بأعمال الاستطلاع، والتفتيش على الحواجز.

وقد تجنّد الشركات الأمنية الخاصة مرتزقةً من عتاة المجرمين، أو من المطلوبين من الإنتربول (البوليس الدولي)؛ إذ تم تجنيد مرتزقة مجرمين من الصرب مُلاحقين دولياً لارتكابهم جرائم يعاقب عليها القانون الدولي ضد المسلمين والكروات خلال الحرب في البوسنة والهرسك، وتم تجنيد مرتزقة ممن ينتمون إلى المنظمة الإرهابية الصربية المعروفة باسم (النسور البيضاء)، التي اشتهرت خلال حرب البلقان بارتكاب جرائم الإبادة والاغتصاب والقتل الجماعي للمدنيين العزل، واستفادت الشركات في أوربا الشرقية وروسيا من تجنيد عدد من قادة الجيش اليوغسلافي السابق بعد تسريحه، الذي قدّرت مراكز البحث عدده في أثناء اشتعال الحرب الأهلية في البلقان بما يقارب نصف مليون جندي؛ إذ انتشرت الشركات الأمنية الخاصة بكثرة في البلقان وشرق أوربا، حتى بلغ عددها ما يقارب ثلاثة آلاف شركة، وتشير الدراسات إلى أن عدد الشركات الأمنية الخاصة في رومانيا فقط، حتى بعد اندماج عدد من الشركات بعضها مع بعض، بلغ ٨٠٠ شركة أمنية عسكرية، وفي صربيا بلغ عددها ١٢٠٠ شركة، وفي كرواتيا ٣٠٠ شركة، ويوجد في البوسنة عدة شركات، لكن يقال: إنها مدنية وليست عسكرية.

الفقر وتجنيد المرتزقة

استغلت الشركات الأمنية الخاصة الأوضاع المادية المتردّية، والحروب الأهلية، وفقدان الأمن، وانتشار الفوضى والقتل والاغتصاب في المجتمعات الفقيرة في عدد من دول

تعمل الشركات الأمنية الخاصة على تأجير عناصرها للأشخاص الرسميين وأصحاب الشركات والبنوك والمشاهير، وهم عناصر يطلق عليهم (حراس أمنيون)؛ لحماية المؤسسات والقصور



العالم، فجنّدت كثيراً من أبناء تلك المجتمعات، خصوصاً ممن خدموا في الفرق الخاصة في جيوش بلادهم مرتزقةً لديها، وكلّفتهم مهام قتالية في المناطق الساخنة في العالم، فاستفادت من الصراعات الدموية والحروب الداخلية الطاحنة التي جرت في موزمبيق وأوغندا وبوروندي وغيرها، فجذبت إلى صفوفها آلاف العسكريين السابقين الذين خاضوا تلك الحروب، كما جنّدت المئات من المرتزقة ممن عمل في عصابات القتل والنهب والاغتصاب والحرق والتدمير في تلك البلدان، يُضاف إليهم العقود التي أبرمتها مع مجموعات من المرتزقة الذين كانوا يعملون في جنوب إفريقية، الذين قدّر عددهم بأربعة آلاف مرتزق"[١١].

وقد شعرت بعض البلدان الإفريقية بالخطورة التي تقوم بها الشركات باستغلال الوضع المادي لعسكرييها؛ فتجنّد خيرة عسكرييها وترسلهم إلى خارج بلادهم ليقاتلوا في المناطق الساخنة، فطردت بعض ممثّلي تلك الشركات من بلدانها؛ فمثلاً في خريف عام ٢٠٠٧م ضاقت حكومة ناميبيا ذرعاً من عملاء الشركات الأمنية، الذين يجنّدون عسكريين من ناميبيا للعمل مرتزقةً، فقامت بطرد اثنين من كبار مسؤولي الشركة الأمنية الخاصة (إس أو سي- إس إم جي) على إثر الاحتجاجات الشديدة التي قامت بها جمعيات حقوق الإنسان في ناميبيا، التي استشعرت خطر استغلال الناميبيين الفقراء، وقد كشف فيل بانانجولو - مدير الأمن الوطني الناميبي - عن سعي الشركات الأمنية الخاصة إلى فتح مكاتب لها لتجنيد آلاف الناميبيين من العسكريين السابقين، مستغلةً الفقر الذي يسود هذا البلد الواقع في جنوب غرب إفريقية، وترتفع فيه معدلات البطالة إلى مستويات عالية جداً، ولا يجد العسكريون السابقون فيها أيّ عمل شريف يعينهم على الحياة بعد خروجهم من الخدمة العسكرية؛ لهذا فهم يعانون الفقر والحاجة المادية، فاستغلت هذه الحالة الشركات الأمنية الخاصة، فعرضت عليهم رواتب عالية تعادل مئة ضعف الرواتب التي كانوا يتقاضونها في بلادهم، فوقعوا في شبكة الإغراء القاتلة، فالتحقوا بالعمل في هذه الشركة مرتزقةً، التي أرسلتهم ليقاتلوا في المناطق الساخنة الأخرى.

وكذلك كشفت الدراسات عن استغلال الشركات الأمنية الخاصة الوضع الاقتصادي الضعيف لبعض دول أمريكا اللاتينية؛ فعملت على تجنيد آلاف العسكريين القائمين على رأس عملهم والمسرحين والمتقاعدين مرتزقةً من دول كتشيلي وهندوراس والسلفادور وبيرو وبوليفيا، وعدد من البلدان الأخرى.

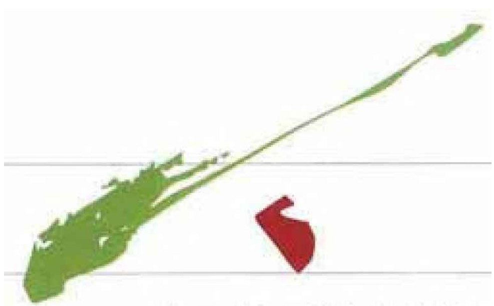
أما رواتب المرتزقة، فتختلف من جنسية إلى أخرى؛ فمثلاً المرتزقة القادمون من لبنان رواتبهم أقلّ من الرواتب التي يحصل عليها المرتزقة الأمريكيون والأوربيون، بل أقلّ من المرتزقة من أبناء دول أمريكا اللاتينية؛ فقد ذكرت صحيفة النهار البيروتية أن عدداً من اللبنانيين الذين ينضمون إلى صفوف المرتزقة يُعطون رواتب شهرية تراوح بين ألف وأربعة آلاف دولار شهرياً، وأنها رواتب متدنّية قياساً برواتب الفرنسيين والأمريكيين حتى الكرواتيين، وأشارت الصحيفة إلى أن رواتب بعض الخبراء أو المدربين والقادة تراوح بين ألف وعشرة آلاف دولار في اليوم الواحد.

من هنا نرى أن شركات المرتزقة استغلت أبناء الأسر الفقيرة والعائلات المعدمة في إفريقية وأمريكا اللاتينية وآسيا ودول أوربا الشرقية لتجنيدهم مرتزقةً يعملون لديها، فاستغلت حاجتهم إلى العيش لتجني الأرباح المالية الكبيرة من رخص أجور هؤلاء الفقراء التي لا تقارن مع أجور غيرهم من الأمريكيين والأوربيين.

جرائم المرتزقة

ارتكب مرتزقة الشركات جرائم في عدد من بلدان العالم، خصوصاً في العالم الثالث، ونقلت وسائل الإعلام الدولية جرائم من بلدان إفريقية وأمريكية لاتينية وشرق آسيا والصرب والبوسنة في أوربا في حق المدنيين في تلك البلدان، ومارست جرائم أخرى كالاتجار بالمخدرات والأطفال والدعارة والأسلحة وغسل الأموال وشنّ هجمات إرهابية على القرى والمدن الآمنة"[١٢].

وكشفت وسائل الإعلام الغربية جرائم كالتجارة الجنسية للنساء والأطفال؛ فقد كشف موظّفان يعملان في شركة (داين كورب) عام ١٩٩٨م أن الشركة تقوم بأعمال التجارة الجنسية الدولية، وأنها تشارك عملياً في تسهيل عمليات تهريب الرقيق



الأبيض البوسني إلى أمريكا وأوربا، وقد طلبت الحكومة الأمريكية من الشركة أن تقوم باتخاذ الإجراءات اللازمة لمعاقبة موظفيها المتورطين في هذه الجرائم.

استغلت الشركات الأمنية الخاصة الأوضاع المادية المتردية، والحروب الأهلية، وفقدان الأمن، وانتشار الفوضى والقتل والاغتصاب في المجتمعات الفقيرة في عدد من دول العالم، فجندت كثيرا من أبناء تلك المجتمعات

القانون الدولي والشركات الأمنية الخاصة

جاء في المادة السابعة والعشرين من البرتوكول الإضافي لعام ١٩٤٩م الملحق باتفاقيات جنيف رفض إعطاء المرتزق حق المطالبة بمعاملته كعسكري نظامي في الحرب، أو وضعه كأسير حرب، بل سمحت تلك المادة للدول التي تضرّرت من أعمالهم بمحاكمتهم كجناة عاديين ومعاقبتهم. وقد قدم البرتوكول الإضافي لاتفاقية جنيف عام ١٩٧٧م، المعروف باسم (APGC 77)، تعريفاً متقدماً للمرتزقة. كما تمّ سنّ البرتوكول الإضافي في الثامن من حزيران/ يونيو عام ١٩٧٧م، الذي أضاف فقرةً إلى اتفاقيات جنيف عام ١٩٤٩م تتحدث عن حماية ضحايا النزاعات المسلحة الدولية. ونصّت المادة السابعة والأربعون من الفقرة تحت عنوان (المرتزقة) على ما يأتي:

- لا يحق للمرتزق أن يعدّ محارباً أو أسيراً.
- المرتزق هو كل شخص:
- جنّد خصيصى محلياً أو دولياً للمشاركة في نزاع مسلّح.
- شارك مباشرة في الأعمال العدائية.
- حفز إلى المشاركة في الأعمال العدائية بنية تحقيق ربح شخصي، أو يعدّ حصوله على وعد من أحد طرفي النزاع بالحصول على مكافآت مادية تزيد على تلك التي تدفع إلى الأفراد في الجهة المشاركة في النزاع.
- لا يكون من جنسية أحد طرفي النزاع نفسها، أو لا يكون قاطناً المنطقة التي يسيطر عليها أحد طرفي النزاع.
- ليس عضواً في القوات المسلحة لأحد طرفي النزاع.
- لا يتم إرساله في مهمة رسمية من قبل دولته التي لا تشكّل أحد طرفي النزاع إلى أحد طرفيه.

وطبقاً لاتفاقيات جنيف، فإن الجندي الأسير يجب أن يعامل كمحارب قانوني؛ أي: يحمل وضع أسير حرب، وأن تكون محاكمته محاكمة عادلة.

وانطلاقاً من المعايير التي وضعتها اتفاقية جنيف، فإن ثبت لدى القوات التي أسرت الأسير أنه من المرتزقة فإنه يعدّ محارباً غير قانوني، لكن يجب أن يعامل معاملة حسنة، وأن يخضع لمحاكمة عادلة لا تحرمه أياً من حقوقه الشخصية. وفي أثناء المحاكمة إذا اكتشف القاضي أن الجندي الأسير من المرتزقة فإنه يعامل على أساس أنه مجرم، وليس جندياً نظامياً في القوات الأخرى؛ لهذا قد يواجه عقوبات تصل إلى عقوبة الإعدام.

لهذا فالجنود المرتزقة لا يعدّون أسرى حرب؛ لذلك لا تتوقع إعادتهم إلى أوطانهم مع نهاية الحرب. وهناك وضعية قانونية خاصة للمتعدين المدنيين تعتمد على طبيعة عملهم وجنسياتهم مقارنةً بالمحاربين: فإذا لم يكونوا قد شاركوا بصورة مباشرة في الأعمال العدائية فإنهم لا يعدّون مرتزقة، لكن فقط الجنود هم الذين تنطبق عليهم قواعد اتفاقية جنيف[illegible].

كما أن القانون الدولي فرض - فيما ورد في اتفاقيات جنيف خاصةً - على الدولة التي تحتلّ بلداً ما في أثناء الحرب وبعدها أن تلتزم حماية المدنيين العزل، وأن تتحمل قواتها المحتلة المسؤولية الأمنية.

وفرض القانون الدولي على دولة الاحتلال أن تضبط عمل الشركات الأمنية الخاصة التي تعمل تحت ظلالها، وأن تحاسب ما يقدم عليه أيّ عنصر من عناصر تلك الشركات من عمل إجرامي ضد المدنيين، وأن يحاكم أمام القضاء في البلد المحتل أو قضاء دولة الاحتلال.

كما أوجب القانون الدولي على الدول التي تستخدم الشركات الأمنية احترام القانون الدولي؛ إذ بيّنت إحدى مواده: «حظر أنشطة معينة: كالاشتراك المباشر في العمليات العدائية، ما لم تكن الشركة مدمجة في القوات المسلحة، وفرض حصولها على ترخيص بممارسة نشاطها استناداً إلى الوضع القادم في البلد الذي تعمل فيها الشركة، مع تحديد عقوبات من ينتهك هذه الشروط أو ليس لديه تصريح»[illegible].

وحظر القانون الدولي على الشركات القيام بالعمليات العدائية ضد الدول والأشخاص، وذكر المرتزقة بأنهم سيفقدون الحماية القانونية في حال «قيامهم بأعمال تعدّ بمنزلة اشتراك مباشر في العمليات العدائية. أما إذا وقعوا في الأسر فلا يحقّ لهم التمتع بالوضع القانوني كأسير حرب، وتجوز محاكمتهم لمجرد مشاركتهم في العمليات العدائية، حتى لو لم يكونوا قد ارتكبوا أيّ انتهاكات للقانون الدولي الإنساني»[illegible].

وطالب القانون الدولي من دولة الاحتلال التي تستقدم الشركات إلى البلد المحتل أن تحدد شروط التعاقد وفق القانون الدولي، والعقوبات التي تنال من ينتهك تلك الشروط، وفرض عليها احترام موظفي الدولة وعناصرها العسكريين، وأوجب أيضاً «إجراء التدقيق في تعيين الموظفين، وتوفير التدريب المناسب في مجال القانون الدولي، واتباع إجراءات العمل الموحدة وقواعد الاشتباك المطابقة للقانون الدولي الإنساني، مع اتخاذ تدابير تأديبية داخلية»[illegible].

وطالب القانون الدولي وفقاً للمادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة: لضرورات الأمن الجماعي الدولي، من دول العالم المنضوية تحت راية الأمم المتحدة بصفتها الرسمية تقديم المساعدات بمختلف أنواعها، بما فيها المساعدة العسكرية، إلى الدولة التي تتعرض لعدوان من قبل قوات المرتزقة على أراضيها ومقراتها الرسمية وغير الرسمية، وسمح القانون الدولي بأن تشارك قوات شعبية ورسمية مع قوات الدولة المعتدى عليها ومع قواتها الشعبية في صد العدوان.

ولا تزال المنظمات الدولية الإنسانية والجمعيات الحقوقية والقانونية تسعى إلى إصدار قانون دولي لملاحقة المرتزقة الذين يرتكبون الجرائم بحق المدنيين أمام القضاء الدولي، ومحاسبتهم على الجرائم التي ارتكبوها.

الأمم المتحدة والشركات الأمنية الخاصة

حاولت الأمم المتحدة مواجهة جرائم شركات المرتزقة في العالم، فأصدر مجلس الأمن عدة قرارات للحد من انتشار شركات المرتزقة، وقد صدرت عدة قرارات ضد مهنة الارتزاق عن الجمعية العامة للأمم المتحدة وبعض المنظمات الدولية



التابعة للأمم المتحدة، نذكر منها:

- أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في جلستها رقم (٧٩) القرار رقم (٤٠/٧٤) الصادر في ١١/١٢/١٩٨٥م، الذي تضمن التنديد بممارسات المرتزقة ضد الدول النامية وحركات التحرر الوطني.

- أصدر المجلس الاقتصادي والاجتماعي قراراً يحمل الرقم (١٩٨٦/٤٣) بتاريخ ٢٣/٥/١٩٨٦م، دان فيه تزايد تجنيد المرتزقة، وتمويلهم، ونقلهم، واستخدامهم.

- أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم (٤١/١٠٢) بتاريخ ٤/١٢/١٩٨٦م، الذي عدّ المرتزقة وسيلة لانتهاك حقوق الإنسان، وإعاقة ممارسة الشعوب حقها في تقرير المصير. وجاء في مقدمة القرار (٤١/١٠٢) تذكيراً بمجموعة القرارات السابقة الصادرة عن الأمم المتحدة، سواء الصادرة عن الجمعية العامة أم عن مجلس الأمن أم عن المجلس الاقتصادي والاجتماعي حول المرتزقة وشركائهم، وأكدت حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، وكان سبب التأكيد ما ارتكب المرتزقة من جرائم لتغيير النظم السياسية في بعض البلدان الإفريقية عن طريق الغزو الخارجي، أو بمساندة قوات المعارضة المسلحة في تلك البلدان، وغير ذلك من أعمال تتنافى مع القانون الدولي. وأهم ما جاء في بنود القرار: «إن ظاهرة الارتزاق تشكّل تهديداً للسلم والأمن الدوليين، وتخالف المبادئ الأساسية للقانون الدولي، الذي يدعو إلى عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، كما يهدد السلامة الإقليمية والاستقلال، كما أنها تعرقل حق الشعوب في تقرير مصيرها وكفاحها المشروع ضد الاستعمار».

ودانت بنود القرار ظاهرة تزايد عمليات اللجوء إلى تجنيد المرتزقة، وتمويلهم، وتدريبهم، ونقلهم، واستخدامهم؛ لأنها تقوّض الاستقرار في البلدان النامية، ونددت بالدول التي تلجأ إليهم، أو تساعدهم، وطالبت الدول كافة باتخاذ الإجراءات الحازمة لمنع تزايد ظاهرة تجنيد المرتزقة، ودعتها إلى محاربة ظاهرة المرتزقة من خلال القرارات والقوانين التي يجب إصدارها من قبل مؤسسات الدول التشريعية والإدارية، وطالب القرار دول العالم بتقديم المساعدات المطلوبة والكافية لضحايا جرائم المرتزقة، وأكدت الجمعية العامة في قراراتها أن يولي المجتمع الدولي مسألة المرتزقة الاهتمام المستمر في دورات الجمعية العامة اللاحقة.

وفي اجتماع الجمعية العامة رقم (٧٣) في ٤/١٢/١٩٨٩م تم استعراض ما تمّ تنفيذه من قرارها رقم (٣٥/٤٨)، الذي تضمن تشكيل لجنة مختصة لصياغة اتفاقية دولية تناهض تجنيد المرتزقة، واستخدامهم، وتدريبهم، وتمويلهم، فأصدرت القرار رقم (٤٤/٣٤) بتاريخ ٤/١٢/١٩٨٩م، الذي تضمن موافقة الجمعية العامة على إقرار الاتفاقية الدولية المناهضة لتجنيد المرتزقة، وتمويلهم، واستخدامهم، وتدريبهم. وقد اعتمدت الجمعية العامة هذه الاتفاقية في الرابع من كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٨٩م بموجب القرار (٤٤/٣٤) للجمعية العامة للأمم المتحدة، واعتمدت النصّين الخاصين بشأن المرتزقة، وتجدر الإشارة إلى المادة (٤٧) من البرتوكول الإضافي الأول لعام ١٩٧٧م لاتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩م، واتفاقية (القضاء على المرتزقة في إفريقية)، الذي اعتمدته منظمة الوحدة الإفريقية في ليبرفيل في تموز/ يوليو عام ١٩٧٧م، ويتألف من ٢١ مادة، واتفاقية عام ١٩٨٩م، وطالبت الجمعية بتتبع الخطوات التي اتخذتها دول العالم الثالث، والعمل على مكافحة الارتزاق في جميع أنحاء العالم.

وأكّدت الجمعية العامة أن تعريف المرتزق يجب أن يكون مستمداً من المادة (٤٧) من البروتوكول الأول، وذهبت إلى أبعد من ذلك حين رأت أن تعريف المرتزق ينطبق على تعريف (النزاع المسلّح) كما جاء في الفقرة (١) من المادة (١)، وكذلك إلى (أيّ وضع آخر) في المادة (١) من الفقرة (٢).

الجنود المرتزقة لا يعدون أسرى حرب لذلك لا تتوقع إعادتهم إلى أوطانهم مع نهاية الحرب، وهناك وضعية قانونية خاصة للمعتدين المدنيين تعتمد على طبيعة عملهم وجنسياتهم



ودانت الفقرة (٣) كلّ الأنشطة التي يقوم بها المرتزقة بغض النظر عما إذا كان يرتكبها المرتزقة أنفسهم أو أشخاص آخرون كما جاء في المادة (٢).

ودانت الاتفاقية الدولية لمناهضة تجنيد المرتزقة وتدريبهم كل محاولات التواطؤ لارتكاب أيّ من الجرائم المنصوص عليها في المادة (٤). وأن التواطؤ يعدّ جريمةً أيضاً. وتعهدت الدول الموقّعة على الاتفاقية بمحاكمة المجرمين من المرتزقة، وتسليمهم إلى الدول التي تطالب بهم كما جاء في النصوص الواردة في الاتفاقية، وهي المواد (٩- ١٢). وحدّدت الاتفاقية ماهية العلاقة بينها وبين القانون الدولي، ورأت أنها تحتفظ بحقّ كل دولة طرف من هذه الاتفاقية في أن تدعو إلى أراضيها اللجنة الدولية للصليب الأحمر لزيارة المجرمين المزعومين في انتهاك هذه الاتفاقية، والتواصل معهم كما جاء في المادة (١٠) الفقرتين (٤) و(٢٠).

كما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة عدداً من القرارات التي تحظر الارتزاق، واستخدام المرتزقة في الأنشطة المخالفة للقرارات الدولية والقانون الدولي، نذكر منها: القرار رقم (١٥٠/٤٩) الصادر في ١٩٩٤/١٢/٢٣م، والقرار رقم (١٣٨/٥٠) الصادر في ١٩٩٥/١٢/١م، والقرار رقم (٨٣/٥١) الصادر في ١٩٩٦/١٢/١٢م. وحذّر القرار رقم (١١٢/٥٢)، الصادر عن جلسة الجمعية العامة رقم (٧٠) بتاريخ ١٩٩٧/١٢/١٢م، من استخدام المرتزقة وسيلةً لانتهاك حقوق الإنسان. وعدّ ذلك نوعاً من الإعاقة التي تمنع الشعوب من ممارسة حقها في تقرير المصير. وأكدت الجمعية العامة في قرارها المذكور خطورة شركات المرتزقة. وعدم شرعية استخدام المرتزقة وتمويلهم أو تدريبهم أو حشدهم أو نقلهم؛ لأن في ذلك مخالفة لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة وأهدافه، وقواعد القانون الدولي. وحثّت الجمعية العامة للأمم المتحدة دول العالم على الانضمام إلى الاتفاقية الدولية حول عدم شرعية استخدام المرتزقة. وأن جماعات المرتزقة غير شرعية بكل صورها وأشكالها. وطالبت جميع الدول باتخاذ الخطوات اللازمة كافة، وممارسة أقصى درجات اليقظة، واتخاذ التدبيرات التشريعية كافة لمحاربة المرتزقة، وطلبت من دول العالم التعاون في محاربة المرتزقة. وطلبت الجمعية العامة من مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الإعلان عن الآثار الضارة للمرتزقة في حقوق الإنسان والسلم والأمن الدوليين. كما طالبت الأمين العام للأمم المتحدة بأن يقوم بدعوة الدول لتقديم اقتراحات لتبني تعريف قانوني أوضح للمرتزقة، وقرّرت أن تناقش مسألة المرتزقة في الدورة الثالثة والخمسين.

وأصدر مجلس الأمن الدولي عدداً من القرارات تضمنت إدانة أيّ دولة في العالم تعمل على إجازة تجنيد المرتزقة





أقرت اتفاقية منظمة الوحدة الإفريقية التي تدعو إلى تصفية شركات المرتزقة، وإنهاء ظاهرة المرتزقة المتجددة في القرن الحالي

وإباحته، أو تقديم التسهيلات إليهم بهدف الإطاحة بحكومات دول أعضاء في الأمم المتحدة. ومن هذه القرارات: القرار رقم (١٩٦٧/٢٣٩) الصادر في ١٩٦٧/٦/١٠م، والقرار رقم (١٩٧٧/٤٠٥) الصادر في ١٩٧٧/٤/١٤م، والقرار رقم (١٩٧٧/٤١٩) الصادر في ١٩٧٧/١١/٢٤م، والقرار رقم (١٩٨١/٩٤٦) الصادر في ١٩٨١/١٢/١م، والقرار رقم (١٩٨٢/٥٠٧) الصادر في ١٩٨٢/٥/٢٨م.

وفي جلسة مجلس الأمن الدولي بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٢٨م أصدر القرار رقم (٢٠٠٣/١٤٦٧)، الذي تضمن اعتماد البيان المرفق بحظر بيع الأسلحة الخفيفة والأسلحة الصغيرة، وكذلك حظر نشاط المرتزقة؛ لما تشكّله من أخطار تهدد السلام والأمن في غرب إفريقية، واتخاذ كل التدابير لمحاربة المرتزقة. وأعرب عن قلقه البالغ من أنشطة المرتزقة، وطالب بتوعية الدول بالخطر الذي يشكّله المرتزقة في مناطقها، وطالب الدول الإقليمية وغير الإقليمية بضرورة التعاون لوضع حدّ لظاهرة الاتجار في الأسلحة الصغيرة، وكذلك الحدّ من انتشار ظاهرة المرتزقة.

وشكّلت الجمعية العامة لجنة لدراسة ظاهرة نمو الشركات، وأقرّت اتفاقية منظمة الوحدة الإفريقية التي تدعو إلى تصفية شركات المرتزقة، وإنهاء ظاهرة المرتزقة المتجددة في القرن الحالي، وأقرّت الاتفاقية الدولية لمناهضة تجنيد المرتزقة، واستخدامهم، وتمويلهم، وتدريبهم. وشكّلت لجنة من الخبراء مكونة من اثني عشر خبيراً برعاية الأمم المتحدة لإعداد تقرير عن سلوك شركات الأمن الخاص، إلى جانب تقديم تعريف بظاهرة المرتزقة، يأخذ في الحسبان المعطيات الجديدة على الأرض[11]. وقد عقدت اللجنة أولى اجتماعاتها في المقر الأوربي للأمم المتحدة في جنيف عام ٢٠٠١م لإعداد تقرير للجمعية العامة عن ظاهرة المرتزقة، وسلوك الشركات الأمنية التي تحويهم، وما تلاقيه شركات المرتزقة من ازدهار ونمو مطرد في بعض المناطق الساخنة من العالم. وطرحت المجموعة خلال الاجتماعات التي عقدتها اللجنة في جنيف مقترحات للحد من ظاهرة المرتزقة، منها: فرض حظر عام على أنشطة محددة للشركات الأمنية، وقد واجه هذا الاقتراح معارضةً من بعض أعضاء اللجنة؛ إذ قال المعترضون: إن الشركات الأمنية تؤدي دوراً ضرورياً، وادّعاء بعض الدول المستفيدة من الشركات الأمنية المصدرة لها، أو المستفيدة من خدماتها على أراضيها، أن دولهم تحرّم وجود المرتزقة على أراضيها. واقترح بعض أعضاء اللجنة إنشاء هيئة دولية مهمتها تنظيم عمل شركات المرتزقة، وطلب الاقتراح من الدول التي تحتضن تلك الشركات الأمنية، وسمحت بإنشائها في أراضيها، أن تتخلى عن

احتكارها التقليدي عمليات التصدير المتعلقة بالخدمات العسكرية. وتقدم بعض المشاركين بمقترح أن توقّع اتفاقية دولية تتضمن الحد الأدنى من معايير الرقابة والإدارة الخاصة بتلك الشركات، وأن يتم تحديد الحد الأدنى من خلال مجموعة شروط ملزمة لمن يريد الترخيص لإنشاء شركة أمنية خاصة، ومن تلك الشروط ما يخصّ المواصفات التي يجب أن يُختار بها موظفو الشركة قبل تعيينهم، وما يتضمن الهيكل التنظيمي للشركة، وتحديد صلاحيات الشركة، وإلزام الشركة تقديم لائحة بما تتضمن سياستها تجاه القانون الدولي، وإلزامها تنفيذ القانون الدولي خلال النزاعات المسلحة، واحترام حقوق الإنسان وحمايتها. وتضمن الحد الأدنى أيضاً تحديد الشروط المتعلقة بالمنافسة بين الشركات، وطلب ضرورة الشفافية في عمليات الشراء، وطرح العطاءات، وإبرام العقود الخاصة بهذه الشركات.

كما قدّم اقتراح آخر بوضع نظام للترخيص بإنشاء شركة أمنية، يشتمل على قائمة محددة بالخدمات التي تقدمها هذه الشركات، وأن تخبر الشركة السلطات في دولة الترخيص بأعمالها وعقودها الداخلية والخارجية، وأن تقدم لائحة بأسماء العاملين فيها. وتضمن الاقتراح كذلك أن يتم فرض رقابة برلمانية على عمل الشركات وأنشطتها التي تنفذها[٢٢].

ومع التطور الكبير لنمو الشركات الأمنية الخاصة؛ إذ بلغ تعدادها المئات في بلدان العالم، تطلّب الأمر من الهيئات الدولية ومنظمات حقوق الإنسان أن تستمر في الدعوة إلى اتّسامها بالعقل، والحد من ضررها على شعوب العالم من خلال فرض قوانين دولية ملزمة يقرّها مجلس الأمن ومنظمات الأمم المتحدة.

المراجع

١- هيرالد تريبيون الأمريكية، ٢٢/٤/٢٠٠٤م.

٢- مركز دراسات الخليج: http://www/alkhaleej.ae.

٣- إليزابيث وربين، المرتزقة، Crimes of War Project ١٩٩٩-٢٠٠٣.

٤- مركز دراسات الخليج: http://www/alkhaleej.ae.

٥- د. حسن عيسى عبيد، العراق والمرتزقة الجدد، المؤتمر، ٢٨ تشرين الأول/ أكتوبر عام ٢٠٠٦م.

٦- د. ليلى صباغ، معالم تاريخ أوربا في العصر الحديث، دمشق، المطبعة الجديدة، ١٩٨١م، ص٣٤٦.

٧- ليلى صباغ، معالم تاريخ أوربا في العصر الحديث، المرجع السابق، ص٣٤٧.

٨- بسام العسلي، جيوش المرتزقة وحروب المستقبل، مجلة الحرس الوطني، العدد ٢٧٩، ١٠/٨/٢٠٠٥م.

٩- د. حسن عيسى، العراق والمرتزقة الجديد، المصدر السابق.

١٠- ليسلي فينبرغ، الولايات المتحدة الأمريكية تموّل جيش المرتزقة- عن صحيفة ووركز وورلد، صحيفة البعث السورية، ترجمة: ميشيل متير، العدد ١٣٢٩١، ٢٩/١١/٢٠٠٧م.

١١- مركز دراسات الخليج: www/alkhaleej.ae.

١٢- عبدالسلام القاري، دور القانون في وجود مهام الشركات الأمنية الدولية الخاصة، ملحق البعث الفكري، العدد ٦٦، ٣/٣/٢٠٠٨م.

١٣- عبدالسلام قاري، المرجع السابق، نقلاً عن موقع الجزيرة على شبكة الاتصال الدولي.

١٤- ستيفاني هانس، إس إم جي، نقلاً عن صحيفة كريستيان ساينس مونيتر، ترجمة: ريما الرفاعي، صحيفة الثورة، ١٨/٢/٢٠٠٨م، العدد ١٣٥٢٩، ص١٧.

١٥- باسل يوسف النيرب، المرتزقة وجيوش الظلّ، الرياض، مطبعة العبيكان، ٢٠٠٨م، ص٨٣.

١٦- مركز دراسات الخليج: http://www/alkhaleej.ae.

١٧- رائد العزاوي، المرتزقة في العراق: مليشيات وشركات مأجورة، موقع الجبهة الإسلامية العراقية.

١٨- المرجع السابق.

١٩- المرجع السابق.

٢٠- منتدى للاعتماد، الجمعية العامة للأمم المتحدة، تاريخ الاعتماد ٤/١٢/١٩٨٩م.

٢١- عبدالسلام القاري، دور القانون في مواجهة ومهام الشركات الأمنية الدولية الخاصة، ملحق البعث الفكري، العدد ٦٦، ٣/٣/٢٠٠٨م، ص٢١.

٢٢- عبدالسلام القاري، المرجع السابق.



بـــرد الشتـــاء وقصور الدورة الـــدمـــويـــة

نزار محمد الناصر
حلب – سورية

يرتبط بعض الأمراض بفصل الشتاء، ومنها قصور الدورة الدموية؛ مما يقلّل من عملية تدفّق الدم واندفاعه داخلها. ومن مسبّبات هذا القصور أيضاً التعرّض للانفعال بشكل دائم، والإصابة بارتفاع ضغط الدم ومرض السكر، وزيادة نسبة الكولسترول في الدم، والتدخين؛ لأن أنسج الجسم وأعضاءه وخلاياه هبة الشرايين؛ فلولا تلاقي الأوعية التي تنتشر شبكةً مترامية الأطراف تتفرّع منها الشعيرات الدقيقة التي تغذّي كل خلايا الجسم بالدم لماتت تلك الأنسجة. فالقلب مضخة تدفع الدم خلال الشرايين، فتمد الخلايا بالماء والغذاء والأكسجين، وتنقّيها مما يؤذيها من الفضلات. وترتبط حيوية الخلايا والأعضاء بكفاءة تدفّق الدم، ولو حدث قصور فيه لمرضت أو تلفت.

وينتج قصور الشرايين من ضيقها أو انسدادها، ويحدث هذا الأمر نتيجةً لتصلّب جدرانها بسبب تراكم الدهون فيها مع تقدم السن أو من جراء تزايد الإشارات العصبية المسببة لانقباض الأوعية الدموية، في حالات التوتر العصبي، والقلق والغضب والانفعال، وعند التعرض للبرد القارس.. كما أن تدفق الدم قد يتوقف في الشرايين بسبب تجلط الدم داخلها في بعض الحالات المرضية.

ويصيب تصلب الشرايين كل شرايين الجسم بدرجات متفاوتة؛ فقد تكون بعض أوعية الجسم في منطقة معينة أسوأ حالاً من غيرها لسبب غير واضح، ويفسر ذلك اختلاف الأعراض التي تظهر على المرضى في السن نفسه الذين يعانون المرض نفسه؛ فقد تتأثر عضلة القلب بسبب قصور تدفق الدم في شرايين القلب الإكليلية المغذية له؛ مما ينتج منه ألم في الصدر عند القيام بأي مجهود، وإذا حدث انسداد في الشريان المغذي منطقة معينة من القلب تلفت تلك المنطقة، وتحولت من نسيج عضلي إلى نسيج ليفي، وفقدت وظيفتها. كما أن نقص الدم قد يؤدي إلى اختلال كهرباء القلب وانتظام النبضات، وإذا قلّ تدفق الدم في شريان مغذٍ مركزًا من مراكز المخ تأثرت وظيفة ذلك الجزء من الجهاز العصبي؛ إذ قد يفقد جزءاً من مجال الرؤية، أو يتأثر الإحساس في جزء من الجسم، أو يقل السمع، وقد تتأثر القدرة على الحركة في جزء معين مثل اليد أو القدم، أو القدرة على النطق أو الفهم أو مضغ الطعام أو البلع، وإذا قل تدفق الدم في شرايين الساق يعاني المرء من آلاماً كلما أقدم على المشي السريع، ويضطره الألم إلى التوقف عن الحركة. وإذا حدث قصور في تدفق الدم إلى الأمعاء فقد تحدث آلام في البطن، وتتأثر وظائف هضم الطعام والامتصاص، وحركة الأمعاء وحيوية جدرانها.

وإذا حدث قصور في تدفق الدم في شرايين الجلد يحدث زرقان في الجلد، كما يفقد الجلد حيويته، وقد يتعرض للأمراض والتقرحات، وإذا حدث قصور في تدفق الدم في الأعضاء التناسلية تتأثر قدرته على الجماع.

وفي فصل الشتاء تعمل البرودة على تقلص الأوعية الدموية،

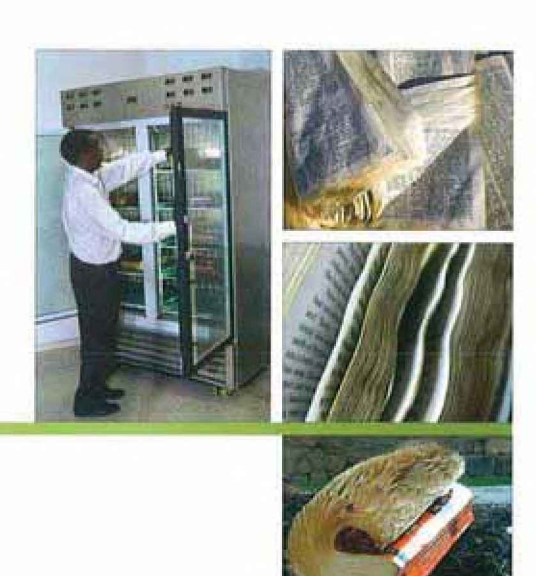


وخصوصاً الشرايين. ومن هنا يقل تدفق الدم وانسيابه داخلها، ثم تعاني الأنسجة والأعضاء قلة وصول الدم إليها، والشعور ببرودة الأطراف. وأسوأ أمراض الشتاء تلك التي تصيب الأطراف، وتسمى بظاهرة رينو، وهي اضطراب بسبب حدوث الانقباضات في الأوعية الدموية الصغيرة عند نهاية الأطراف. ولدى حدوث تغيرات في درجات الحرارة من الدفء إلى البرودة تحدث آلام مع تشنجات وشحوب في الأصابع.

الوقاية والعلاج

- ممارسة الرياضة، خصوصاً رياضة المشي السريع (الهرولة).
- معالجة أسباب الأمراض والعوامل المؤدية إليها، وعلى رأسها السكر، وارتفاع كولسترول الدم والشحوم، وارتفاع ضغط الدم، ونقص التروية في الشرايين.
- تجنب المواد الدسمة، والإكثار من تناول الخضراوات والفواكه.
- عمل تحليل دوري للكولسترول والشحوم.
- تناول الأدوية المخفضة للكولسترول والشحوم.
- تناول (٥٧) أو (٨١) أو (١٢٦) ملغ أسبرين يومياً ما لم يكن هناك أي مانع لتعاطي ذلك العقار، لمنع تجلط الدم داخل الأوعية.
- الفحص الدوري لضغط الدم، ونسبة السكر في الدم، وفحص قاع العين من وقت إلى آخر؛ لأن شرايين العين تعد نافذة قصور حالة شرايين المخ والشرايين الأخرى في الجسم.
- الابتعاد من التوتر والضغط النفسي، وتعديل السلوك العاطفي والسلوك الذهني.
- احم نفسك من البرد، وارتد طبقات من الملابس، وقفازات دافئة، وجوارب مبطنة، وغطّ الرسغين، ودفّئ السيارة قبل قيادتها في أيام البرد.
- تجنّب دخان السجائر والنرجيلة، وتجنّب الإكثار من شرب القهوة والشاي.





جهاز «الفيصل»

Wei T'o

للتعقيم بالتبريد

الأمثل للحفاظ على التراث المخطوط

سعى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية إلى حماية التراث الإسلامي والإنساني مما يضرّ به من آفات طبيعية، فابتكر وسيلةً ناجعةً، وأكثر فعاليةً، وأقلّ تكلفةً، وأوفر للجهد، وآمن لأوعية التراث المخطوط، من خلال جهاز «الفيصل Wei T'o»، وهي طريقة التبريد الجافّ بأكثر من ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر؛ مما يقضي على جميع الحشرات والفطريات مرةً واحدةً بتعريضها فجأةً لدرجات برودة منخفضة جداً وجافة؛ فلا تستطيع هذه الآفات أن تتواكب مع هذا التغيّر السريع.

وسائل الاتصال بالمركز:

هاتف: ٥٥٢٢٥٦٤ تحويلة ٨٣٦٦ – مباشر: ٦٠٧١٢٦٤



أسماء الفائزين

العدد المزدوج ٤١١- ٤١٢ رمضان- شوال ١٤٣١هـ

الفائز الأول:	هيفاء حسن أحمد - صنعاء - اليمن.
الفائز الثاني:	محمد عبدالستار مأمون - الغربية - مصر.
الفائز الثالث:	شذى عبدالغني محمود - عمان - الأردن.
الفائز الرابع:	ويس محمد وحيد الشمري - دمشق - سورية.
الفائز الخامس:	سعود حمد عبدالرحمن - الرياض - السعودية.
الفائز السادس:	أنيسة محمد القليزوري - الحسيمة - المغرب.
الفائز السابع:	أنس زهير الربيعي- دبي- الإمارات العربية المتحدة.
الفائز الثامن:	أحمد محمد البواب - المنستير - تونس.

حل مسابقة

العدد المزدوج ٤١١- ٤١٢ رمضان - شوال ١٤٣١هـ

١- يقع شق رونالدو في الدماغ.

٢- اسم إله الحرب عند الرمان هو مارس.

٣- بحتري المغرب هو ابن زيدون.

CUT IT OUT

أسئلة مسابقة

العدد المزدوج ٤١٧- ٤١٨ ربيع الأول - ربيع الآخر ١٤٣٢هـ

(١) أستاذ كلمة تعني المعلّم، فإلى أيّ لغة يرجع أصلها؟

....

(٢) من هو منشئ حدائق بابل المعلّقة؟

....

(٣)من أول من رسم الحمام رمزاً للسلام؟

....

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب:.................. هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة ثالثة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

تأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات الإخوة القراء المتابعين للمسابقة تمت زيادة قيمة الجوائز، بعد أن سبق مضاعفتها من قبل.

فقد تم رفع قيمة الجائزة الأولى من ١٠٠٠ ريال إلى ١٥٠٠ ريال، والجائزة الثانية من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ريال، والجائزة الثالثة من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ ريال، والجائزة الرابعة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ريال، والجائزة الخامسة من ٢٥٠ ريالاً إلى ٣٥٠ ريالاً، والجائزة السادسة من ١٥٠ ريالاً إلى ٢٥٠ ريالاً. وتظل الجائزتان السابعة والثامنة على ما كانتا عليه.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



قسيمة اشتراك أفراد (مخفضة)



الاسم: ....

العنوان: ....

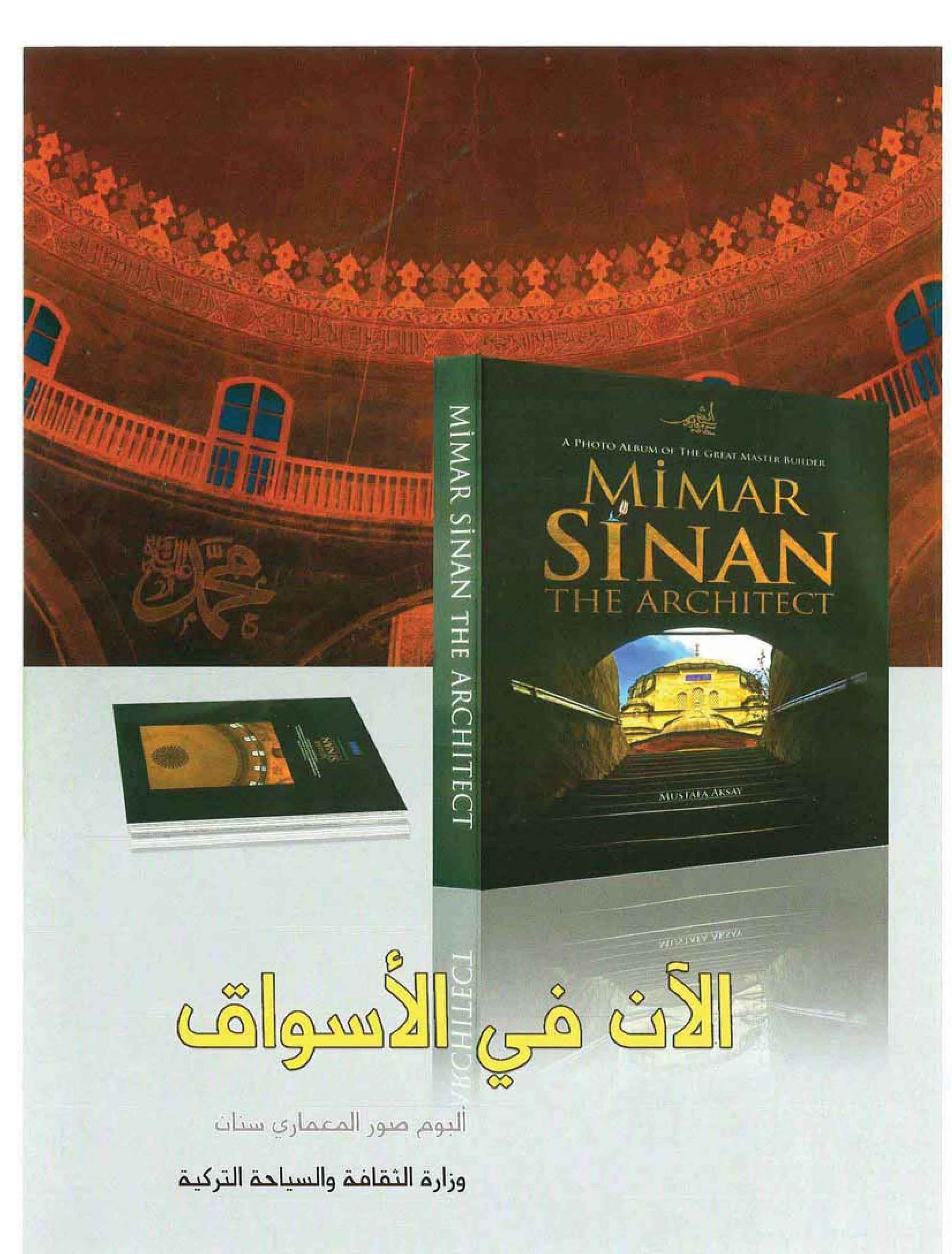
المدينة: ....

الدولة: ....

ص.ب: .... **الرمز البريدي:** .... **هاتف:** .... **ناسوخ:** ....

- **قيمة الاشتراك السنوي لـ (١٢ عددًا) ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.**
- **ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصدق لأمر مجلة الفيصل الثقافية، أو يتم توريدها في حسابنا رقم (٠٠١ - ٠٥٥٥٠٥ - ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني، شارع العليا العام - الرياض. آيبان: ٠٠٠١ ٥٠٠١ ٥٥٥٠ ٠٠٤٠ ٠٠٠٠ ٤٥٠٠ SA٧٩**
- **يشترط إرفاق القسيمة مع طلب الاشتراك.**

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية - هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥/٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١



MİMAR SİNAN THE ARCHITECT
A PHOTO ALBUM OF THE GREAT MASTER BUILDER
MİMAR SİNAN
THE ARCHITECT
MUSTAFA AKSAY
الآن في الأسواق
ألبوم صور المعماري سنان
وزارة الثقافة والسياحة التركية